



(فهرست بدائع الزهور)

هذا كتاب بدائع الزهور في وقائع
الدهور تأليف الفاضل الهمام
الكامل الشيخ محمد بن
أحمد بن اياس الحنفي
رحمه الله تعالى
ونفعنا به
آمين
م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القديم الاول * الازلى الذى لا يتحول * لا تغيره الدهور والاعصار * ولا يفنيه حدثان الليل والنهار * هو الذى أنشأ الوجود من العدم * وقدر ما كان قبل أن يكون فى اللوح والقلم * وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم * واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الانبياء وختم * ونسخ بشريعته جميع الشرائع * وأوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع * وجعل دول الاسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين * فهم ظل الله تعالى فى أرضه لكل طائع انتظم فى سلك المهتدين * أحمده حمدا يقتضى المزيد من النعم * وأشهد أن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ذا الفضل والكرم * وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين * وعلى آله وأصحابه

الطيبين

الطيبين الطاهرين * وسلم تسليما الى يوم الدين * وبعد فقد ألفت هذا التاريخ والسير * فاخترت أحسن الاخبار من نفائس الدرر * ليكون نزهة لذوي العقول * فلا مستخبر أن يسمع ولا مؤلف أن يقول * فان فيه من الفوائد الغرائب * ومن المنقول العجائب * وقد أوردت في هذا الكتاب من الوقائع الجيده * واختصرت من الاشياء المسائل المفيده * وابتدأت فيه بذكر السموات والارضين * وما كان قبل وجود الوجود * واظهار العالم الموجود * من مبدا خلق آدم عليه السلام * وما جاء من نسله من الانبياء الكرام * الى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام * وسميته بدائع الزهور * في وقائع الدهور * والمستعان بالله تعالى في المبدا والختام * ومن هنا نشرع في الكلام * قال أبو زيد البلخي تخرج العلوم أربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع فأما العلم الرافع فهو العلم الشريف من الاحاديث والفقه وأما العلم الساطع فهو علم الادبيات والاخبار الرقيقات وأما العلم النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه فاختر ما تنتفع به دنيا وآخرة كما قيل

ما حوى العلم جميعا أحد * لا ولو مارسه ألف سنة
انما العلم كبحر زاخر * فاتخذ من كل شئ أحسنه

(ذكر ما كان في بدا المخلوقات)

روى الامام أحمد في مسنده عن عامر العقيلي رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال كان في غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش روى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول شئ خلقه الله تعالى القلم خلقه من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء وطوله ما بين السماء والارض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من

الياقوت الاحمر وطوله ما بين السماء والارض وعرضه من المشرق الى المغرب وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا احدى وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء أقلامه من نور * قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد الى يوم القيامة ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يارب وما أكتب قال اكتب علمي في خلقي بما هو كائن الى يوم القيامة * واخرج سعيد بن منصور ان أول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب * وأخرج ابن أبي حاتم ان أول ما كتب القلم ان رحمتي سبقت غضبي والاقوال في ذلك كثيرة والاصح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ان القلم جرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين أي في اللوح المحفوظ وقال عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وانه أول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة في كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعزل ويولي ويفعل ما يشاء الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهو قوله تعالى وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير

(ذكر خلق العرش)

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسي ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تتلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الانهار

يسبحون ❁ وعن ابن أبي حاتم قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربعة قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة الى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم ❁ وعن أبي حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق الله السموات والارض جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الارض ويقال ارتفاع السحاب عن الارض اثنا عشر ميلا ❁ قال عكرمة ان الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا ان السحاب والرياح يفرقها لفسد كل ما تقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرى الآية

❁(ذكر أخبار المطر)❁

قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلا تنزل قطرة الا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى اما فى البر واما فى البحر فاذا كان على الارض أنبت الله به الزرع والاعشاب وهو قوله تعالى وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ وان كان فى البحر فيخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار ❁ قال ارسطاطاليس ان المطر يقع فى البحر المحيط بالدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمال فاذا هاج البحر بالامواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء ويفتح فاه ويلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يصعد الى مواضع فى البحر لينعقد المطر فيصير درا فاذا انعقد تغوص الصدفة الى قعر البحر فيصير لها عروق كعروق الشجر وتصير نباتا فى قعر البحر فيمد اليها الغواصون فيقطعونها كما يقطعون العشب من الارض فاذا تركت الدرة فى الصدفة وطال مكثها فى البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة اذا تركت على الشجرة وانقطف فى أوانها ❁ وحكى ان اعرابيا قدم الى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها الى عطار هناك وسأله

أن يشتريها منه فاشتراها منه ببخس الاثمان ثم ان العطار سأل الأعرابى من أين وصلت اليك هذه الدرة فقال مررت يوما من الايام بساحل البحر من أرض الصين فرأيت ثعلبا ميتا وعلى فمه صدفة فى جوفها بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة الى جانبه فأخذتها ومضيت * والذى يظهر لى من هذه الواقعة ان صدف البحر الذى فيه اللؤلؤ خرج من الماء ليتنشق الهواء وذلك عادة الصدف فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى لحمة حمراء فى جوف الصدفة وهى فاتحة فاها فوثب عليها الثعلب ليلتقمها فأدخل فاه فى الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها اذا انطبقت على شئ فلا ينفتح فاها أبدا حتى ينشق بالحديد فلما طبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضربها فى الارض يمينا وشمالا الى أن مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة فرآها ذلك الاعرابى فأخذها فلم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل فى بعض السنين فى أماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك صغار ومصداق ذلك ما حكى أن ملكا من الملوك أطلق بازاله فى الفضاء خلف طائر فصعد البازالى أعلى الجو فغاب عن الاعين ثم رجع وفى رجله سمكة فلما رآها الملك أراد أن يأكلها فأحضر الحكماء واستشارهم فى أكل تلك السمكة فأشاروا عليه فى أكلها فقام من بين الحاضرين شاب صغير وكان له اشتغال بالعلم قام على قدميه فى وسط المجلس وقال أيها الملك ان لحم هذه السمكة مسموم ولا يجوز أكله فقال له الملك ومن أين لك هذا العلم فقال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء والارض وقد ورد فيه من الاخبار بأن به أسماكا مسمومة وأنت لما أطلقت البازخلف الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وان هذا البحر لا يصل اليه الا البازات الشهب فان أراد الملك مصداق قولى فليحضر شخصا وجب عليه القتل فيطعمها له حتى ينظر صدق قولى فأتى الملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له

فلما أكلها اضطرب ومات فى الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار الملك لا يتصرف بشئ من الامور الا برأى ذلك الشاب

(ذكر أخبار الثلج والبرد)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق فى السماء جبالا من ثلج وبرد كما فى الارض جبال من حجر وهو قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد الآية * وفى بعض الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا أراد أن ينزل الثلج على مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف بأجنحتها على الثلج فما يسقط الى الارض ثلج الا برفرفة أجنحة الملائكة * قال ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ان فى القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهى قطعة عظيمة فى بعض جهات الغرب فاهتزت لها الارض وقتلت ما لا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمرا مهولا

(ذكر أخبار ما بين السماء والارض)

قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان بين السماء والارض سحابا لطيفا وفوقه طيورا بيضا رؤسها كرؤس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها فى السماء ملجأ ولا فى الارض مأوى وانها تبيض وتفرخ على السحاب فى الهواء ويقرون على السحاب كما تقر الطيور على الماء * ويقرب من ذلك ان الطاير المسمى بالحجل يعشش فى الهواء وأنه يلقح فى الهواء كما تلقح النخلة من النخل وانه يأتى الى أعشاش الطاير فيأخذ من بيضها ويحضنه فاذا تحرك الفرخ فى البيضة وصار له قوة على الطيران طارت حتى تلحق بأمها التى باضتها الى الاصل ولا تقيم فى الهواء ويقال ان العقاب لا يسافد أنثاه وان الذى يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحب السكردان * وقيل ان الحجل يكون فى أسافل الريح والطاير المسمى باليعسوب يكون فى أعلى الريح فيلقح منه * وقيل فى المعنى

ما أنت الا كالعقاب فأمه * معلومة وله أب مجهول

ومن العجائب ان فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها جبل يرى كله فيه نار من غير موقد ويقال ان بذلك الجبل طائر يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وأنه يعشش فى ذلك الجبل الذى يرى فيه النار ويفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار ويقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى فى النار فتنقى من وسخها ولا تحترق ويعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفى منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت الى الابد ويقال ان دهن هذا الطائر اذا طلى به الانسان بدنه ودخل النار فلا تضره النار فاذا أراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن يطلى فوقه بالخل فانه يفسد الدهن * ومن العجائب أن طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه أنه تهلك به الجراد وقيل أنه يأوى الى عين ماء فى أقصى بلاد العجم فاذا نزل فى بلادهم الجراد ارسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والارض فاذا أتى الماء الى الارض التى فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد ويفنيه عن آخره ويقال مادام ذلك الماء فى الارض لا يدخل اليها الجراد ومن شأن هذا الماء اذا كان فى اناء ووضع على الارض بطل السمر الذى به * وأما قولهم فى ارسال فارسين الى تلك العين التى يأوى اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية أن يموت أحدهما فيحضر الماء الآخر * ويقال ان عين الماء هى التى تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير * ومما يؤيد هذا الخبر أن فى سنة اثنين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر جقمق قمقم نحاس مختوما وزعم أن فيه ماء السمرمر فأنعم عليه السلطان بألف دينار فى مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم فى سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر * وفى بعض الاخبار ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما ان بين السماء والارض بحر من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر الذى كهيئة الطير * ومن الفوائد اللطيفة

ما نقله

مانقله الثعلبي في كتاب العرائس ان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى أحدكم اناءه فيعرف مواضع الماء فيستخرجه الشياطين وروى ان اسم الغراب أعور وانما سمي بذلك لانه يغمض احدى عينيه من قوة بصره فيقتصر على أحدهما وقد قيل في المعنى

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب بأعور

(ذكر اخبار الرياح)

قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى أربع رياح وهي الجنوب والشمال والصبا والدبور ويقال ان الرياح ثمانية أربعة منها في الجهات الاربع وأربعة منها تسمى النكب لميلها عن الجهات الاربع فريح الجنوب تجمع السحاب وقيل منها خلق الله الخيل وقيل انها سيدة الرياح وأما ريح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهي باردة يابسة ويقال لها ريح الجنوب وأما ريح الصبا وتسمى أيضا ريح القبة وهي من ناحية المشرق واذا هبت على الابدان العليلة انعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر وأما ريح الدبور وتسمى أيضا العاصف والصرصر والعقيم وهي التي تهدم البناء وتقلع الأشجار قال أهل اللغة الريح العقيم لاماء معه وسميت عقيما لانها لاتلقح ولاتنتج كالمرأة العقيم التي لاتلد تسمى عقيما وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقد جعل الله تعالى اقران الدبور بالريح العقيم واقران الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال والصبا متعاقبين وجعل لكل ريح من هؤلاء أوقاتا معلومة لاتتجاوزها فاذا أراد الله تعالى ان يعذب قوما بالريح أفرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده

(ذكر مبدا خلق الارض)

قال الله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش قوله تعالى في ستة أيام اختلف جماعة من العلماء في مقدار هذه

الايام هل هي من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء على انها من أيام الدنيا وقال كعب الاحبار وابن جرير انها من أيام الآخرة التي كل يوم مقداره ألف سنة مما تعدون والاصح ما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك قال ابن عباس لما أراد الله تعالى ان يخلق الارض امر الرياح جميعا بأن تثير فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الامواج فصارت تضرب بعضها بعضا فلم تزل الرياح تضرب الماء حتى أزبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينمو كما أمره الله تعالى حتى بلغ واحدق الماء من حوله فصارت الارض كالكرة البارزة في الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الارض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعا كما فعل في السموات وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي قال وهب بن منبه لما فتق الله تعالى الارض وجعلها سبعا فكان اسم الطبقة الاولى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطحا والخامسة حينا والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفي بعض الروايات يختلف اسماؤها قال الثعلبي ان الارض الثانية يخرج منها الريح وسكانها أمم يقال لهم الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة سكانها أمم وجوههم كوجوه بني آدم وافواههم كافواه الكلاب وأيديهم كايدي بني آدم وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كاذان البقر وعلى أبدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم ثياب ويقال ان ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها أمم يقال لهم الحلهام وليس لهم أعين ولا اقدام بل لهم اجنحة مثل أجنحة القطا والطبقة الخامسة بها أمم يقال لهم الخشن وهم كامثال البغال ولهم أذناب كل ذنب نحو ثلاثمائة ذراع وفي هذه الارض حيات كامثال النخل الطوال ولهم أنياب مثل الجمل والطبقة السادسة بها أمم يقال لهم الخثوم وهم سود الابدان ولهم مخاليب كمخاليب السباع

و يقال ان الله تعالى يسلطهم على ياجوج وماجوج حين يخرجون على الناس فتهلكهم والطبقة السابعة فيها مسكن ابليس اللعين وجنوده من المردة والشياطين * وقال بعض علماء الهيئة ان الارض مبسوطة وقال آخرون انها كالدرة وهي واقفة في الافلاك والافلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة وهي موضوعة في جوف الفلك وبعدها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وسبب وقوفها في الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما لو وضعت ترابا في قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وأما من قال ان الارض مبسوطة فان البحر المحيط الذي هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالاصبع * قال ابن عباس رضي الله عنهما ان حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل ق ويروى ان الله تعالى لما خلق الارض صارت واقفة في الهواء فحركها الريح فاضطربت ومادت فشكت ذلك الى ربها وقالت يارب قد ضعفت قوتي واستخفني الريح وحركني فأوحى الله تعالى اليها اني مؤيدك بالاطواد وهي الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب * وقال وهب بن منبه ان الجبال خلقت من أمواج البحر قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها الآية وهذا يدل على ان الله تعالى خلق السموات قبل الارض بمدة طويلة قال الثعلبي لما خلق الله تعالى الارض بعث اليها ملكا من تحت العرش فدخل من تحت الارضين السبع وأخرج احدى يديه من المشرق والاخرى من المغرب وقبض على اطراف الارض فلم يكن لقدميه قرار فاهبط الله تعالى ثورا من الجنة اسمه نون له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة ومن القرن الى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن لاقدام ذلك الثور قرار فانزل الله تعالى ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والارض وهي الصخرة

التى قال لقمان لابنه انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية واسم الصخرة صيخور * وروى ان فى هذه الصخرة تسعة آلاف ثقب فى كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى فدخلت تحت تلك الياقوتة الخضراء فلم يكن للصخرة قرار فاهبط الله تعالى اليها حوتا عظيما من البحر السابع الذى تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت على ظهر الحوت وقيل لا يقدر احد ان ينظر الى ذلك الحوت من بريق عينيه ولو وضعت البحار كلها فى احدى منخريه لكانت كالخردلة فى أرض فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار واقفا مكانه لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لى قوة على حمل ما استعملتنى اياه فاذن لى يارب بالسجود شكرا لك على ذلك فاذن الله تعالى له بان يسجد فادخل رأسه فى الماء حتى غاب ثم اخرجه من الماء فهو يسجد فى كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك ينقطع علم الخلائق ويروى فى بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغذائه فى كل يوم على قدر شبعه فيأتونه من البحر المسجور بألف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة وأما الثور فوكل الله تعالى به ملائكة يأتونه بغذائه فى كل يوم بألف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ ويروى فى بعض الاخبار ان ابليس اللعين لم يزل يغوص الى الارض السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت فتقدم اليه وقال له يا بهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التى عليها الارضون وانك لا حمل لك مع حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذى حملته وحملتها ولو كلف الثور بحمل ذلك لم يطق فاعجب الحوت فى نفسه وبقوته فظن ابليس اللعين انه قد أغوى الحوت وانه سيفسد ما عليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الامة فأوقعها بين عينى الحوت

فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من تلك الدابة ثم ان ابليس اللعين مضى الى الثور واغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة واجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين مادبره من الحيلة للفساد أورد ذلك الثعلبي * قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة * وقد اختلف جماعة من العلماء في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه بالمخلوقات وهو على ثلاثة أقوال فقال ابن اسحاق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار هو يوم الاحد * وقال أهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى في يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر يوم الجمعة واهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة وقال وهب بن منبه انما سمي يوم الجمعة لان طينة آدم جمعت فيه فلذلك سمي الجمعة وقال حذيفة اليماني روي في بعض الاخباران الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب * وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ستة وهي الشرق حيث تطلع الشمس والقمر والنجوم والغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجدي وقد أفرط هناك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو مما يلي كرة السماء والتحت وهو مما يلي كرة الارض والفوق وهو الافلاك قال بعض الحكماء فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدي وقد أفرط هناك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائما مستمرا وهذه مدة الشتاء لا يرى هناك النهار وتجمد في هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شئ من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة

الجنوب فحيث مدار سهيل فيصير هناك ستة أشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هناك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك فلا تسكن تلك الجهات

(ذكر اخبار اجزاء الارض)

قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة اجزاء فجزء منها للترك وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة اجزاء منها ليأجوج ومأجوج وقال ان الاقاليم أيضا سبعة وهي اقاليم الصين واقاليم الحجاز واقاليم الهند واقليم الروم واقليم يأجوج ومأجوج واقليم العرب *وقال اطراف الدنيا أربعة والنواحي خمسة وأربعون والمدائن والحصون أحد وعشرون ألف وستمائة مدينة ففي الاقليم الاول ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفي الاقليم الثاني ألف وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وفي الاقليم الثالث ثلاثة آلاف وتسعة وسبعون مدينة وفي الاقليم الرابع ألف وتسعمائة وأربعة وسبعون مدينة وفي الاقليم الخامس ثلاثة آلاف وست مدائن وفي الاقليم السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة مدينة وفي الاقليم السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى والرساتيق وذكر ان مساحة الدنيا خمسة آلاف ألف فرسخ وخمسمائة ألف فرسخ وثلاثة وستون ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل أربعة آلاف ذراع بالذراع القديم وهو ستة وثلاثون أصبعا بخلاف الذراع الهاشمي ويقال ان العالم السفلي مقسوم أيضا على سبعة اجزاء وفيه أيضا اقاليم كما في أعلى الارض انتهى ذلك

(ذكر خلق البحار)

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ان الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحرا غير ما ظهر من الانهار والعيون *فائدة لطيفة في الفرق بين البحر والنهر قال الجوهري في الفرق انما سمي البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق في الارض شقا وفي كلام العرب الشق هو البحر

فكانوا يقولون للناقة اذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذي ماء فهو بحر لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك فيكون الماء اذا اتسع ولم يجر فهو بحر واذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة قال ابن الجوزي ان الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففي جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفي جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفي جزيرة الجنوب اثنان وفيهم من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفي جزيرة الشرق ثمان جزائر وفي جزيرة الغرب ستة عشر جزيرة وفي جزيرة الشمال أحد وثلاثون جزيرة وفي جزيرة الجنوب ستة عشر جزيرة ❁ وأما البحار الكبار المشهورة سبعة وهم المحيط بالدنيا وهو أولهم ويقال ان مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمي البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم ارسطاطاليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الرأس وهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر المحيط ستة بحار كبار أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن في قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فاحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر يخرج من جهة الغرب فالشرقي يقال له الصيني والهندي والفارسي واليمني والحبشي والغربي يقال له البحر الرومي وأما ذكر عجائب البحر المحيط قال ابن الجوزي ان به جزائر فيها غنم لا يحصى عددهم ولحومهم مرة لا تؤكل فيذبحون منها أهل الجزائر ويصنعون منها الانطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيأ مثل التين ومن شأنه اذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفي هذه الجزائر حيات عظيمة تبتلع الجاموس وفي هذا البحر اسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى في عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا مسكه أحد من ذوي الحوائج ودخل على سلطان أو حاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفي هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر

مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه ولا يعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة اخباره سوى ماعرف من بعض سواحله وماقرب من جزائره اه البحر الثاني وهو البحر الصيني ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه من بحر المحيط ومن عجائبه ان به مغاوص اللؤلؤ وبه معدن المرجان فيقال انه ينبت في قاع البحر كما تنبت الاشجار في الارض وتتشعب له عروق في الماء وهي لينة مثل عروق الشجر فاذا قلعت تجف في الهواء ويتحجر بها ويحملونها فتصير جامدة وقيل ان الغائصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة حتى انهما تدورها من اصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقلع ويخرجونها الى البر ويتركونها حتى تجف ثم يفصلونها قطعا قطعا كبارا وصغارا على قدرها * وأما أخبار اللؤلؤ قيل ان الذين يغوصون على اللؤلؤ يعمدون الى اخشاب من شجر المقل ويدلونها بحبال من الليف في اماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ ويحملون في تلك الاخشاب حجارة سودا كبارا نحو ستين رطلا وسبب ذلك ان في تلك الاماكن من الحيوانات اشياء كثيرة فتبتلع الغائصين فتنفر من الحجارة السود وقيل ان الغائصين اذا رأوا شيأ من الحيوانات الكواسر يتجهون عليها كنبح الكلاب فتنفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم ان الغائص يقطع الصدفة بآلة من حديد ويضعها في مناخل مثل الشبكة من شريط الخوص فيسيل منه الماء فاذا اخرجوها الى البر استقر جواهر بطونها اللؤلؤ فمنه صغار ومنه كبار ويقال ان تلك النواحي لا أكل لهم الا من لحم تلك الصدف وقيل ان لحومها مثل قوانص الدجاج نقل ذلك التيفاشي في منافع الاحجار ومن الحكايات الغريبة ان بعض التجار سافر الى مغاوص اللؤلؤ فانفق جميع ما يملكه للغواصين ولم يطلع له شئ من اللؤلؤ فلم يبق معه شئ فساعده التجار واعطوا له شيأ للغطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا غابوا في البحر ساعة ثم طلعوا اليه بنبت من نبات البحر له ذوائب مثل شعر النساء وهي

حسنة الصورة فأخذها ذلك التاجر ومضى بها الى منزله فقعدت عنده ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالاشارة أتسيرى الى البحر فأشارت اليه برأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها الى المكان الذى أخرجوها منه فلما رأت ذلك المكان الذى أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما سارت فى قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيجا عظيما فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف يرمى فى المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار * وأما ما كان من اخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضا ثم يمتد من المغرب الى المشرق ويخرج منه أربعة خلجان نخالج يمتد خلف أرض الهند ويمشى من خوالف سبعمائة ميل وخليج يمتد الى أيلة ويقال ان بهذا الخليج ألف وثلاثمائة وسبعون جزيرة عامرة بالسكان وامتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه من العجائب ما لا يحصى قيل ان فى بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل وجوه البغال وجسدهم مثل جسد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها عنبر الخام * وقد روى فى بعض الاخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فسارت تفسد الزرع وتأكل الاشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والاعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام نجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم مرة قدر خمسمائة رطل * ويوجد فى هذه الجزيرة دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها * ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب اشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة * ويوجد فى هذه الجزائر احجار براقة لها لمعان يتلألأ نورا وتسمى هذه الاحجار ضحكة البلادت ومن شأن هذه الاحجار اذا نظر

اليها انسان ضحك في الحال واستمر يضحك الى ان يموت * وفي هذه الجزائر سباع لهم قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس ان يقابلهم فيشبون عليه * وفيها افيال عظيمة الخلقة فنهم من لونه أبيض أو اسود وفيها النمورة والفهودة واشياء كثيرة من الوحوش الكواسر * قال حتى تكبر فتصير عظيمة الخلقة على ماذكرناه اه ما أوردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله أعلم

(ذكر اخبار الانهار والبحيرات)

فأما البحيرات المشهورة فهي بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة نسترة وهي بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنس وبحيرة زغر التي ماؤها منتن وخم ومنها نهر الاردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى بلدة هناك وهي خراب على شاطئها الغربي وفيها حمام ماؤها حار بصنع الله تعالى قال الثعلبي في قصص الانبياء ان هذه الحمام بناها سليمان بن داود عليهما السلام وكانت من جملة عجائب الدنيا حتى قيل ان من جملة عجائب الدنيا ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بني أمية وكان ماء هذه الحمام يخرج من اثني عشر عينا فكان ماء كل عين منها مخصوص بمرض من الامراض فاذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفي باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافي اللون ولم تزل هذه الحمام عامرة على ماذكرناه حتى خربها بخت نصر لما استولى على البلاد كما سيأتي * وبحيرة بانياس الكبيرة التي يخرج منها عدة انهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وانطاكية وبحيرة دست أرزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح وبحيرة ارجيس وهي شرقي اخلاط وماؤها مالح أيضا وهي بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف بالطارخ الذي يحمل منه الى سائر البلاد قال أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوما في بحيرة ارجيس فاصطدت منها سمكة فرأيت على جنبها

الايمن مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيت ذلك قذفتها فى الماء احتراما لما رأيته عليها من الكتابة

(ذكر اخبار الانهار)

المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل فأما الدجلة فيقال ان الذى حفرها وأجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم وأما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلاثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومن عجائب الدجلة الدوى والجزر وهو دائم فيها سامع الريح كل يوم صيفا وشتاء * وأما الفرات فبدؤها من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية من جبال هناك تدعى ابو دخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وأما الآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيخرج منها أنهارا كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى

ان للشام فراتا * لم تصل مصر اليها
كم بمصر من وجوه * فضلى النيل عليها

وأما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار ان النيل يصير نهر العسل فى الجنة والفرات يصير نهر الخمر فى الجنة وسيحان يصير نهر الماء فى الجنة وجيحان يصير نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم بذلك *(فائدة) وهى ان الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم

نهر وهو سيحان وجيحان والنيل والفرات فانه سائر من ساعته اسريعا وقد
جرب ذلك وصح * وأما نهر مهران بأرض الهند قيل انه فرقة من النيل وقد
استدلوا على ذلك بان فيه التماسيح والضفادع بأن المراكب في بعض
الاوقات يتوقف سيرها مع شدة الريح فيجدون المانع لها من السير انها
قد سلكت بين شرافات تلك القنطرة وقد طاش عليها الماء حتى صار بحرا
كبيرا عرضه ثمانية عشر ألف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه
مائة وسبعون جزيرة منها الادقية وبيروت واقريطش ويمر على بلاد البربر
و بلاد الغرب قاطبة منها افريقية وبرقة والاسكندرية وارض فلسطين
من سواحل الشام ثم ينعطف من هنالك الى انطاكية فيمر على بلاد كثيرة
الى بلاد القسطنطينية وغيرها الى بلاد المغرب ثم ينتهي الى البحر المحيط
الذي أخرج منه وقال ابن عبد الحكيم في تاريخ مصر ان الذي خرق هذا
النقب وأجرى ماءه هو الاسكندر ذو القرنين فسلطه على أهل تلك البلاد
لما عصوه ولم يدخلوا تحت أمره وقال بعض علماء التفسير ان هذا المكان
هو مجمع البحرين الذي تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر
في القرآن العظيم أ قول وقد كانت ملوك الافرنج تهمع باخبار هذا النقب
قديما وانه يمكن ان ينفذ الى بحر الهند منه وكانوا يوصوا أولادهم بان لا يغفلوا
عن النقب حتى يتسع لهم النقب فكانوا يتوارثون التوصية ويوسعون
في النقب فصارت تدخل المراكب الكبار في ذلك النقب في أوائل
القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتقان يدخلون
من هذا النقب في المراكب الكبار ويصلون الى بحر الهند نحو عن
ثلاثين مركبا مشحونة بالمقاتلين بأنواع السلاح والمدافع فصاروا يغيرون
على التجار المسافرين في بحر الهند وملكوا منهم عدة قرى من بلاد الهند
فارسل الملك الاشرف وزيره الغوري بتجريدة في مراكب وصحبته
الامير حسين فكسرهما العسكر المصري وكسبوا منهما مراكب
مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعدما كسروا

المدافع قال وقتل ابن البرتقان في هذه الوقعة ثم بعد ذلك كبست الافرنج بعد مدة يسيرة مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين * وأما بحر طبرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق الى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وامتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ما هو خراب * ومن عجائب هذا البحر ان فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فاذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهي كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط أخضر أشد من خضرة الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل ان عبدة الاوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من ليلتها فعمدوا الى رصاص فذوبوه وقلبوه في جدرها فطلع حول تلك الشجرة اربعة جذوع وقيل ان في بعض جزائره شجرة تطرح نوعا مثل التفاح نصفها حلو في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة وذلك التفاح أبيض اللون مكتوب عليه على هيئة الجلالة بخط أحمر جيد الكتابة وفي بعض جزائره وحش يشبه خلقة بني آدم وهو ملفوف القامة وظهره عظمة واحدة وأهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولى عنهم ويشتمهم بالفارسية واذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائرة وفي بعض جزائره اناس لهم ثلاثة أعين فالثلاثة بين حواجبهم اهـ * وأما البحر الزفتي فهو البحر السابع ولونه أسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم الهواء ويقال ان النيل ينحدر من أعلى جبل القمر ويشق على هذا البحر فيصير فوقه كالخيط الابيض على الثوب الاسود فتبارك الله احسن الخالقين سبحان الذى اتقن كل شئ وهذا البحر قليل المسالك لصعوبته لا يرى فيه شمس ولا قمر انما اذا طلعت الشمس في الدنيا يظهر فيه بعض شفق أحمر من ضوء الشمس وبه جزائر يطلع فيها قصب فارسي

يدخل في جوف القصبة الجبل بحمله وفي هذا البحر اسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها وقد روى في بعض الاخبار عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان تحت العرش بحرا فيه اسماك لها اجنحة تطير بها الى الارض فتحرق الشمس اجنحتها فتقع على الغمام فيلقيها الغمام الى هذا البحر فتتربى فيه وقال بعض العلماء والعلم لله تعالى ان الوحوش الكواسر ضررها اكثر من نفعها وقال من نسلها فكانت اللبوة لا تحمل الا في كل سبع سنين مرة واحدة واذا حملت اقامت عشر سنين حتى تضع * نقل بعض الحكماء ان الفيل اذا احتلم وطلب النكاح لا يعلوا انثاه بل يحك جنبه بجذع احتى يجد اللذة فيرتجي ثم يرتجي ذكره فينزل المني في زلومته فيضعه في فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لا تحمل ومن هنا قل نسل الافيال والله أعلم بحقيقة الحال * ويوجد في هذه الجزائر شجر الحصا لبان وشجر الابنوس وفيها الحصا واذا انقعت في الزيت فتضيء مثل الفتيلة ولا يطفي ذلك * وأما البحر الغربي وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه الا ما ظهر من جهة الغرب وينتهي الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية وهو صعب المسلك لا يعرف له منتهى وفي بعض جزائره اشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهي تقرب من شكل بني آدم ولا تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد فلا تلحقه الخيل الغائرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرر النار واذا اطلع عليه النهار يختفي في مغاير هناك الى ان يدخل الليل * وفي بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفي هذه الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهي تسبح في البحر وتسد ما بين البرين فاذا اشرقت الشمس وثبت عليها البكر تبلعها وكذلك اذا غربت وفي هذا البحر أمم على صور مختلفة ما بين شكل بني آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه اقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلاب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك

كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البر من الاجناس قال بعض الحكماء ان حيوان البحر اذا اقام فى البر هلك وحيوان البر اذا أقام فى البحر هلك وسبب ذلك ان الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر وقال كعب الاحبار خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد ان ينظر اليه وأما البحر الرومى وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا ويمتد من على أفريقية والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بنى الاصفر وغيرهم وفيه من العجائب قيل ان فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنة من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة فى البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعونها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها المراكب * ونقل الباشورى فى بعض مصنفاته ان ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربى و يرفع البرزخ من بينهما وكانت جزيرة الاندلس و بلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الارض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الارض الطائر المعروف بالقفقس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل ان يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحد يسمع صوته الا و يموت و يقال ان عامل المويسيقا كان من الفلاسفة فاراد ان يسمع صوت القفقس وهو فى شدة صياحه فخشى على نفسه ان يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح أذنيه شيأ فشيأ ثم استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة أيام الى ان وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة وقيل ان ذلك الطائر هو وافراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك و يقال ان الملك الذى أجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية

عشر ميلا في عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبيه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربي فتح منه قدرا يسيرا من نقب في جبل كان حاجزا بين تلك الارض والبحر فلما دخل الماء في ذلك النقب كان ماء البحر الغربي أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة * وقيل ان بعض المسافرين في هذا البحر يخبر والعهدة عليه بعنى التربة وهي لاتوجد الا في بحر النيل * وأما نهر العوجاء ويسمى أيضا نهر أبي قطرس وهو من شمالى مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهي حتى يصب في البحر الرومي وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهي الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الانهار وانها تجري من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيف والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وينتهي الى بحر فارس وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصي فانه يجري من جهة الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فانه لاتسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة تمضي الى بعلبك وينتهي في مصبه الى البحر الرومي وقد قالت الشعراء فيه فمن ذلك ما قيل فيه

ناعورة في النهر أبصرتها * تشوق الداني والقاصي
قد نهتنا للهدى والتقى * لانها تبكي على العاصي
اضحت حماة للورى جنة * يدخلها الداني مع القاصي
ولم يكن يسمع قبل ذا * بجنة في وسطها عاصي

قال بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله تعالى حيث جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لان ركودها نعمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الانهار وماء السيول والعيون وهي لاتزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لاغرقت الارض وهذا من رحمة الله كما أخبر في القرآن العظيم مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان

(ذكر اخبار النيل المبارك)

قال الواقدى ان معاوية بن أبى سفيان قال يوما لكعب الاحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذى فلق البحر لموسى انى لاجد فى التوراة ان الله يوحى اليه عند ابتدائه ويأمره ان يجرى حيث ماشاء الله تعالى ثم يوحى اليه عند انتهائه ان الله يأمره ان يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعنى يوحى اليه عند زيادته ونقصانه فصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل وفى المكان الذى يذهب منه قال المسعودى فى مروج الذهب نقل صاحب الاقاليم السبعة ان أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين فى بطيحة هناك ثم يجريان وذكر ان صفة جبل القمر انه منقوش وعلى رأسه شرار يف كبار وذكر ان جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وان القمر يطلع من عليه * وقال المسعودى ان النيل يجرى على وجه الارض ألف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى الى بلاد السودان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط وعلى اميال من اسوان جبال واحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهى الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هناك اه كلام المسعودى وقال الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهران احدهما يجرى الى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو أرض الزنج * وقال هرمس يخرج من هذه القبة أربعة أنهار وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل * ومما يحكى ان ملك نقراوش الجبار بن مصرايم توجه الى منبع النيل فحفره واصلح مجراه وكان ينبطح فى الارض ويتفرق من غير حائز فهندسه وساق منه عدة انهار الى اماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل

هنالك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة للماء حتى لا يخرج
ماء النيل وجعل لها معاقد مدبرة يخرج من حلوق التماثيل النحاس الماء
وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع معلومة فتخرج تلك الانهار ثم تصب
فى بطيحتين فتخرج منهما المياه الى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل الملك
التماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد
وقدر ذلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين اصبعا ثم
جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين تلك التماثيل وعن
شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء
ولولا ذلك لغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا ان
ماء النيل يمر فى البحر الزفتى المالح ويكتسب من ملحه لشرب من مائه ماهو
أحلى من العسل وأبيض من اللبن * وقال بعض الحكماء لولا الليمون بمصر
لخم أهلها من حلاوة النيل لماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفرا
وقال الكندى ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج
وقال ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك أمر اقواما بالمسير الى حيث يجرى
النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى
وهدير حتى لا يكاد أحد يسمع صوت من الى جانبه من أصحابه من دوى
الماء ثم ان أحد القوم تسبب فى الصعود الى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك
فلما وصل الى اعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم
أصحابه ما شأنه ثم ان رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ما وراء ذلك الجبل
وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم
يعلم أصحابه ما شأنه فطلع ثالث وقال لاصحابه اربطونى فى وسطى بحبل فاذا
أنا وصلت الى ما وصل اليه أصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل
فلا أبرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى أعلى الجبل صفق وأراد ان
يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل اليهم فانجذب الرجل اليهم ونزل عندهم فلما
وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا واقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا

غير ذلك من اخبار النيل * قال الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بلغنى ان رجلا يقال له حامد بن أبى سالم وهو من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما رأى نيلها اتعجب منه وحلف على نفسه ان لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبل ذلك فسار على ساحل النيل نحو عن ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال له ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ثم قال له حامد من أنت قال انا أبو العباس الخضر فما يجيئك الى ههنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولك أمرها وهى دابة معادية للشمس اذا طلعت الشمس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسر فى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال واشجار فلما مضى حامد فعل ما قاله الخضر فلما وصل الى أرض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهر يجرى الى جهة من الارض وهم سيحان وجيحان والفرات والنيل فاراد حامد ان يمضى الى ما وراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف يا حامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وما وراء ذلك الا الجنة فقال حامد أريد ان أنظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وقيل فى المعنى

ونيل مصر من الجنان * وماؤه يحيى الغصون
فبالعيون ان قايسوه * قل ما ترى مثل العيون

ويقال ان حامد رأى الفلك الذى يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل انه ركب الفلك ودار فى الدنيا كلها وقيل انه لم يركبه وقيل ان

ذلك الملك أتى حامدا بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة ألوان أخضر كالزبرجد وأحمر كالياقوت وأبيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم ان حامدا رجع من هناك الى شاطئ البحر الزفتي وركب على تلك الحية لما هوت الى الشمس عند الغروب لتلتقمها نقذفت به الى جانب البحر الزفتي الى المكان الذي ذهب منه فاتى الى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له بما جرى له وقيل ان حامدا لم يأكل من أكل الدنيا الا نه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة

(فصل في بيان زيادة النيل ونقصانه)

قال المسعودي ان زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار وقالت الروم زيادته من عيون في شاطئه تفور من أوله الى آخره وهذا هو السبب في تكدره عند الزيادة لان العيون اذا انبعث من الارض اختلطت بالطين عند نبعها فتكدره * وقال الكندي ان في ايام الزيادة يستمر في بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع في هذه المدة و يتنفس النيل بالزيادة * قال المهتدي في تفسيره عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق الى المغرب فاذا أراد الله تعالى ان يجري نيل مصر أمر كل نهر على وجه الارض ان يمده بالمياه فاذا انتهى جريانه الى حيث شاء الله تعالى أمر كل نهر ان يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت الانهار كلها واذا ازادت نقص هو فصح ان يمد بماءها والله أعلم * وقال بعض الحكماء ان النيل اذا زاد يصب في البحر المالح فيجتمع بخاره ويرتفع في الجو فتحمله الريح الى الغمام فيذهب به الى حيث شاء الله فينزل حيث يريد الله تعالى والى هذا أشار الزمخشري في قوله تعالى والسماء ذات الرجع والمراد بالسماء الغمام والرجع المطر لان ماء المطر من البحر ثم يرجع اليه بعد أخذه منه ثم يعود به وفي قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح من السماء ماء قال البغوي اللواقح من الرياح التي تحمل الندا ثم تمجه

فانزلنا في السحاب فاذا اجتمع صار مطرا فان السحاب تلقح كما تلقح البقر بالابن وقال المسعودى ليس في الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفي ذلك يقول

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال أيضا

انظر الى النيل السعيد وقد أتى * في عسكر الموج المديد معبسا
حصر البلاد فسلمته أرضها * فكسى ثراها حين ولى سندسا

قال المسعودى ومن عادة النيل اذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه فيقول أهل مصر توخم النيل ويرون ان الشرب منه مضر وسبب ذلك ان البطيحات المتقدم ذكرها اذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الامداد من المياه فيتغير ماؤه عن لونه ويخضر فاذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمة التي هي في اعالي النيل التي كانت راكدة فيقول العوام قد توخم البحر وقيل في المعنى

عجب لنيل ديار مصر لانه * عجب اذا فكرت فيه يعظم
يطأ الارض فهي تلقح دائما * من مائه وهو الذي يتوخم

ومن عجائب النيل فيه فرس البحر قال عبد الله بن أحمد الاسرأيني ان فرس البحر غلظ الجاموس قصيرة القوائم ولها احقاف وهي في ألوان الخيل ولها معرفة واذنان صغار كأذني الخيل ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها انياب كانياب السباع ولها حافر مشقوق كحافر البقر واذا ظفرت بالتمساح تأكله واذا طلعت الى البر يحصل منها الضرر الشامل لاهل النواحي فترعى الزروع فاذا حصل منها ضرر ولازمت تلك الجهات يطرح لها اهل القرى شيأ من الترمس في الموضع الذي تطلع منه فتأكله وتعود الى الماء فاذا شربت باذلك الترمس في جوفها فتنتفخ فتموت وتطفو على وجه الماء وقيل ان المكان الذي تكن فيه لا يقيم به التمساح

وأكثر ما ترى فرس البحر في دنقلة وله واز من جهات الصعيد قال الكندي ان النيل أشرف أنهار الارض فانه يسقي عدة أقاليم من ديار مصر وماؤه أفضل المياه وبذلك يشهد جماعة من الحكماء منهم ابن سينا وابن نفيس وذكر وا ان ماءه يهضم كل المياه الرديئة ويقوي المعدة لانه يمر على أرض الذهب وقال بعضهم الشرب من ماء النيل ينسي الغريب الوطن وأعظم من هذا كله ما جاءت به اخبار الشريعة ان منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك اخبار نبوية

قال الشيخ زين الدين بن الوردي

ديار مصر هي الدنيا وسكانها * هم الانام فقابلها بتفضيل

يامن يباهي ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ما أوردناه من ذكر الانهار وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر اخبار الجبال)

قال الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ان الذي عرف من الجبال في سائر أقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ما سنذكره دون غيره من الجبال * أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الورع ان أول جبل وضع على وجه الارض جبل أبي قبيس الذي بمكة وقال الواقدي ان جبل ق أبا الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروق متصلة به * وروي في بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بجبل ق ملكا عظيم الخلقة يقال له ق فاذا أراد الله تعالى زلزلة في الارض أو خسف ناحية أمر ذلك الملك الموكل بجبل ق ان يحرك عرقا من عروقه فاذا حركه تزلزلت تلك الارض أو يخسف بها وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبل ق محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد أقسم به في القرآن العظيم فقال عز من قائل ق والقرآن المجيد قال كعب الاحبار رضي الله عنه ان خلف جبل ق سبعون ألف أرض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهي مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى

فيها قر ولا شمس ولا حر ولا برد وطول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى الى يوم القيامة * وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى أرضا بيضاء مثل الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها أمم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يارسول الله آمن ولد آدم هم قال لا يعلمون غير الله وليس لهم علم بآدم قالوا يا رسول الله فاين ابليس منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون * قال وهب بن منبه ان بالقرب من جبل ق أرضا رجراجة لا تستقر عليها الاقدام وبها صنم من نحاس وهو ماد يده الى ورائه كانه يقول ليس ورائى مسلك ويقال ان ذا القرنين وصل الى تلك الارض فى سبعين ألف من عسكره فماتوا جميعا وأما الجبل الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وقد روى فى بعض الاخبار ان الله تعالى أوحى الى الجبال انى ارسى السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها الا جبل الجودى فانه تواضع وخر ساجدا لله تعالى فارسى الله السفينة عليه ويقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودى حتى يصيرثقله فى ميزان من يحج وأما جبل الراهون وهو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة ويروى ان فى هذا الجبل أثر اقدام آدم وهى مغموسة فى الحجر وطولها نحو عشرين ذراعا ويرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق لا يزال ليلا ونهارا وهو محيط بأرض الهند مشرف على وادى سرنديب وان أهل تلك الناحية أقوام يقال لهم البرهت وانهم يقرون بالله تعالى ويجحدون الانبياء وهم عراة الاجسام ولهم شعور تغطى عوراتهم وطعامهم من أشجار تلك الناحية وشرابهم من عيون هناك وبهذا الجبل دابة تسمى الكركند وهى مشهورة وبهذا الجبل معدن الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وبه حجر الماس وحجر السنباذج وغير ذلك من المعادن

الفاخرة وبتلك الارض أنواع الطيب كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من العطر الطيب * ويقال ان ذلك لليا قوت حصى ذلك الجبل وا ينحدر منه بالسيول وفيه تعشش النسور فاذا لم ينحدر منه شئ بالسيول تذبح أهل تلك النواحي شيأ من الحيوان ويسلخون جلده ثم يقطعون لحمه قطعا كبارا ويتركونها تحت ذلك الجبل فتأتي اليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على الجبل عمدا أو كارها فاذا وضعته على الارض تعلق به حصى الياقوت ثم تأتي اليه نسور أخرى فتخطفه وتطير به الى أرض أخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور أخرى فربما هم طائرون به فيقع منه حصى الى أسفل الجبل فيلتقط الحصى المراقبون له وهذا الجبل شاهق في الهواء صعب المسالك جدا وبأرضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس والآدمي فاذا ثقل في بطنها عمدت الى أصل شجرة والتوت عليها فتقذف ما في بطنها وقال ارسطاطاليس ان السفن في بحر الهند اذا قربت من هذا الجبل تناثرت مسامير الحديد التي فيها جميعا وتأتي فتلتصق بهذا الجبل وهذا من سر حجارة المغناطيس فان الحديد عاشق بحجر المغناطيس وهو من جملة حجارة هذا الجبل * وأما جبل القمر فقد تقدم ذكره في اخبار النيل وأما جبل الفتح ببلاد التتر يسكنه أمم من قبائل التتر نحو سبعين أمة ولكل أمة لسان وهو جبل عال وفيه مغاير وشعاب وأودية ومفاوز لا تنتهي ذلك * ومن العجائب ان ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهي مغارة تدخلها الناس ويمشون تحت الارض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفي ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة اناس قاطنون بها وفي ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفي ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شئ وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام وظهورهم الى حائط المغارة فيهم جماعة على وجوههم اثر الضرب

بالسيوف وفي أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم من ذهبت أصابعه
وفيهم من قطعت شفته العليا وظهرت اسنانه وفيهم الطويل والقصير
والابيض والاسمر وهنالك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبي صغير وحلومة
ثديها في فمه وهنالك سرير وعليه اثناعشر رجلا وهم نيام على ظهورهم
وبينهم صبي مخضب بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا
من أي طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا في زمن
عيسى بن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا في زمن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وذكر أهل تلك الناحية ان في كل سنة يكسونهم
الثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقلمون أظفارهم وهم عظام عليها
جلود ولا ارواح فيهم وأما جبل كوزرستم من اعمال الشرق فيه أعجوبتان
وهما ان فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد في ذلك الغار حزمة من الحطب
فيها قضبان عددهم خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أي الاخشاب هي فاذا
أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها في الحال
فهي على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر اخذها في النهار مرارا
سقط بدل ما أخذ والاعجوبة الاخرى ان به مغارة أخرى فيها عظم
ميت وهو واقف في المغارة فيأتي اليه انسان فيضعه على الارض ممدودا
ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن
ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه في البرية ملقى على الارض ثم يسوق
فرسه مشوارا واحدا ويجيء الى تلك المغارة فيجده قد سبقه الى المغارة
وهو واقف كما كان فيها أولا وأهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك
وأما جبال مكة فمنها جبل حراء وجبل ثور الذي به الغار وجبل بشير وجبل
مقرح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنا وغير ذلك
من الجبال * ومن العجائب ان جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه
فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف
ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة وأما جبل قافونا فيمتد فيه من

كتف السد الذى على يأجوج ومأجوج وينتهى الى أرض الصين وأما جبل المجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه ان به اناسا أعينهم فى مناكبهم وافواههم فى صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بزرا اذا بذروه عندهم ينبت حملا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف وأما جبل بكرسقانا ومبتداه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند * وأما جبل الالكان بأرض دمشق ومبدأه من مكة والمدينة وهذا الجبل يسمى هناك بجبل مفرح ثم يمتد هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويتصل هذا بانطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان ويمتد الى صفد والمتصل منه الى دمشق المطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى فى هذه الاماكن بجبل اللكام ولا يزال هذا الجبل يمتد الى ان يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاقم وهو شئ يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك * ونقل صاحب المبدا ان ببعض نواحى دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وهما هذان البيتان

ياسا كنا بالجبل البلقع * ويا ديار الظاعنين اسمعى
ماهى ديارى وامكنها * ديار من أهوى فنوحى معى

وقيل ان الناس يقصدونه وقت اتمائله فى شدة الحر وليس فى الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون عنده ذلك التمايل وان لم ينشدوا

فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب * واعجب من هذه الحكاية ما ذكره ابن وصيف شاه في اخبار مصر ان في نواحي الصعيد شجرة اذا وضع أحد يده عليها وقال لها يا شجرة العباس جاءك الناس فتجمع أوراقها وتزل واذا قال لها اعفونا عنك فترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الاوراق بهية المنظر * وأما جبل طور سينا فيلي هو بالقرب من عقبة ايليا ويقال ان به قبر هارون أخي موسى عليهما السلام * وجبل في جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار ويوجد فيهما مقاطع الرخام السماقي والزوردي والفستقي والابيض والكهرماني ويقال في البهنسا جبل فيه مغاير يوجد فيها الزمرد الدبابي قال المسعودي ليس في الدنيا يوجد معدن الزمرد الدبابي الا بمصر في نواحي البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك الى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك * وأما الجنادل فهي جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوي عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو فارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر في ضيعة يقال لها اشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها في سائر البلدان وذلك ان في آخر فصل الربيع في يوم معلوم من السنة تأتي اليه طيور كثيرة وهي بلق سود الارقاب مطوقات بالبياض وفي اصواتها بحة واذا طارت ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدن مكانا في هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره في المكان فان تعلق بمنقاره في ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وان لم يتعلق ذلك الطائر تقدم غيره فيضرب بمنقاره فان تعلق والا تأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فان تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت ويضمحل فيقع على الارض وهذا داب تلك الطيور في كل سنة وهذه

الواقعة مشهورة في تلك البلاد * وحكى ان في بعض السنين تعلق طائر بمنقاره وذهبت الطيور فلا زال ذلك الطائر المعلق يضطرب حتى أطلق نفسه ولحق بالطيور فلما رأته الطيور منطلقا جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى ان جاء الى الشعب وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب وقيل اذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق شئ * وأما الجبل المقطم فان أوله بالمشرق من نواحي بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتي الى مدينة فرغانة والى جبال التيم ويتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء انما سمي بالمقطم لان المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لانه مقطوع من النبات والاشجار فلذلك سمي المقطم وروى عن الامام الليث ابن سعد رضي الله عنه انه قال لما قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عزيز القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان في كتبنا القديمة انه كان أكثر الجبال نباتا وأشجارا فلما كانت الليلة التي ناجى موسى ربه فيها أوحى الله الى الجبال اني مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه تصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فأمر الله تعالى كل الجبال ان تمده مما عليها من الاشجار فجاد له الجبل المقطم بجميع ما كان عليه من الاشجار والنبات وكان أكثر الجبال أشجارا ونباتا فأوحى الله تعالى اليه اني معوضك على فعلك وودك بغراس الجنة وهم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى ان كعب الاحبار رضي الله عنه قال لرجل من أصحابه يريد التوجه الى مصر واذا جئت الى بيت المقدس فاصحب لي معك شيأ من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع اليه تراب المقطم أوضعه في جراب وجعله عنده وأوصى انه اذا مات يفرش ذلك التراب في قبره للتبرك

فاما

فلما مات وضعوا التراب في قبره * وأما الجبل الاحمر فانه متصل بالجبل المقطم مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الاسود وقال الكندي ان بمصر ثلاث جبال صغار تسمى الشرف احدها هو الذي وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والثاني وضع عليه جامع أحمد بن طولون ويسمى يشكر ويقال ان موسى ناجى ربه عليه والجبل الثالث وهو المطل على بركة الحبش الذي وضع عليه الرصد فعرف به * وأما جبل الكبش فهو الذي عند الجسر الاعظم وكان قديما يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمي بجبل الكبش لان الصحابة لما نزلت بأرض مصر سار كبش وهو رجل من الصحابة الى ذلك الجبل ونزل وحده فمن ذلك سمي جبل الكبش وأما جبل لوقا وهو غربي مصر قليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في مكان وتتسع في مكان وهذا الجبل اقرع مثل الجبل المقطم لا نبات به وماؤه ملح ويجفف مايدفن فيه من انواع لا كل انتهى ما اوردناه من اخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر عجائب البلدان ومافيها من الحكم)

قال القضاعي ان من البلدان العجيبة مدينة رومية قيل ان دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية اسوار من الحجارة الصوان المانع وهى على جبل داخل المالح بحرا وهو محيط بها ويقال ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من نحاس كهيئة اطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا في غلظ ذراعين وجعلوا من اول هذه المدينة الى آخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الاعمدة مجراة من النحاس قدر الخليج يجرى فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر طول كل منارة مائة ذراع وهى حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزون من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة

مقيم في ذلك المكان لا يبرح عنه أبدا وبها جثة بطرس وبولص من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وهما في توابيت من ذهب معلقين بسلاسل من فضة في هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان في صوامع بها وبهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا وهي مصفحة بصفائح الذهب والفضة وفي دائرها ألف شباك من النحاس الاصفر خارجا عن الابواب الابنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهي من الزمرد الاخضر وطولها ذراعان وعرضها ذراع وهي محمولة على اثني عشر تمثالا من الذهب باعين من الياقوت الاحمر وهي تتقد كالشمس * وأما صفة هذه المدينة فاسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بقلم العبراني فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا فاذا فرغ القمح بطلت حركتها * وبها أيضا من العجائب ان في ليلة الشعانين ينفتح في الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب أبيض ولا يزال يخرج الى الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب انه ينفع للملسوع فيفرقونه للاجر فاذا بيع بطل نفعه وكان بها من العجائب صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد ان يعلم حال الغائب أو المسافر والباقي فيجئ الى تلك الصخرة وينام عليها فيرى في منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره * وكان بها من العجائب حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايا كل ما في جوفه فما دامت يده موضوعة فهو يتقايا وان لم يرفع يده عنه كفايته والا خرجت امعاؤه فيموت * وكان بها من العجائب شجرة من نحاس أصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاس صفيرا عاليا فيأتي اليه كل زرزور في الدنيا وفي كل رجل من رجليه زيتونة وفي منقاره زيتونة فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيئا كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام الى العام وقيد أوا كالا رقيل كانوا اذا أدخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا تتغير

لانها مبنية فى مكان معتدل جدا غير وخيم

(واما اخبار مدينة الاسكندرية)

قال المسعودى هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وقد بنيت بعد الطوفان على يد مصر أيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت بعد ذلك فبنتها الملكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به قال ابن عبد الحليم فى اخبار مصر بناها الاسكندر بن فلتش المخزولى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والاقوال فى ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هى أرم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل انها بنيت فى ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنا عشر فرسخا فى مثل ذلك واقام لبنائها ألف ألف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن عبد الحليم لما ان أرادوا ان يبنوا اساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ماتبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل اشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك *وقال ابن عبد الحليم أقامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد ان يدخلها الا وعلى عينيه شعرية أوخرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالى المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة وتسير المراكب فى ظل اشجار تستره من حر الشمس و يقال ان أهلها أكثر الناس اعمارا لصحة هوائها وطيب أرضها ولم تزل الاسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص *قال المسعودى اختلف المؤرخون فى من بنى المنارة فقيل انه الاسكندر بن فلتبش الرومى وقيل الملكة رقود وقيل الذى بنى رومية بنى المنارة وقيل الاسكندر

ذو القرنين قال ابن وصيف شاه كان الاسكندر بن فاتش من اليونانيين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول انفه ثلاثة أذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسي من الزجاج كهيئة الجبل وهو في جوف البحر وكان طول هذه المنارة في الزمن القديم ألف ذراع ثم خربت حتى بقي منها مائتان وثمانون ذراعا وقد بنا في اعلاها تماثيل من النحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيديه الى البحر فاذا وصل عدو الى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التمثال صوت عالي فيعلم أهل المدينة ان العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه المنارة مبنية بحجارة من الصيوان وبينها شيء من الرصاص المذاب وقد جعلوا في هذه المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهي بحملها مما يحتاج اليه أهل تلك البيوت وكان في هذه البيوت طاقات تشرف على البحر الرومي وكان الغريب اذا دخلها يتوه فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وقيل ان جماعة دخلوها فتاه فيها أحدهم فلم يقدر على الخروج من التوهان ومات جوعا وكان بها مرابطون لاجل الجهاد لا يبرحون عنها وكان لاهل تلك المدينة في يوم مشهور يسمونه يوم العدس فيجتمعون فيه عند المنارة ويأتون بطعام العدس ويأكلون عندها ويجعلونه لا متنزه وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدي اليها المسافرون وفي حسنها وكمالها يقول القائل

لله در منار اسكندرية كم ✽ يسمو اليها على بعد من الحدق
من شامخ الانف في أرصاده شمم ✽ كأنه باهت في دارة الافق
للمنشآت الجواري عند رؤيته ✽ كموقع النوم في اجفان ذي أرق

قال ابن وصيف شاه كان في أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصيني وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشبار وقيل سبعة أشبار وهي على كرسي من نحاس أصفر وكان الموكلون بها ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الابصار فيستعدون لذلك

فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس و يستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان أرادوا أهل تلك المدينة ان يعلمون غيرهم من نواحيهم بعدوهم فيدخنوا في أعلى المنارة اعلاما فيعلم أهل تلك النواحي بالعدو فيستعدون للقتال ايضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص وأخرج جماعة كتابا مكتوب فيه ان أموال الاسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخذ الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما كانت عليه فطمع بذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيأ فعلم ان ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرهما من المنافع لهم المضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا لاتمام حيلتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه قد بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذي كانت عليه من الرؤيا والاحراق واستقرت المنارة قائمة في الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما استولى أحمد بن طولون على مصر بنى في أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقداري فسقطت تلك القبة فبناها وجعل في أعلى المنارة مسجدا وذلك في سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاون فوقعت في ايامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن آخرها ونسي أمرها من يومئذ

(ذكر أخبار عمود السواري)

قال القضاعي ومن العجائب عمود السواري الذي بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواقا يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله

مسجدا للعبادة وكان حول ذلك الرواق أربعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد في يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع في حجر أحد منهم والذي تقع في حجره يكن ملك في مصر ولو بعد حين فحضر في بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة في حجره فملك مصر بعد ذلك في زمن الاسلام وكان يحضر في ذلك الملعب ألف ألف انسان من الاقباط وغيرها من سائر الاجناس قيل لما رقعت الكرة في حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابي ان يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى ان صار ولي مصر والاسكندرية من اعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسواري * وأهل للعوامد والمباني
ويفتخرون في حق وجهل * بجلتهم وحاصله هوانى

قال المسعودي ان أهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار وكذلك قرية مريوط ووادي فرغانة بالغرب وسبب ذلك لقربهما من النيل وظهور ريح الصبا فيها وذلك مما عالج أبدانهم ويرقق طباعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل اسكندرية ليس يقرى * بغير الماء أونعت السواري
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبير * فمافيها لذاك الحرف قاري
وقال اسكندرية كربه * وجسر نار تسعر
ان قيل ثغر أبيض قلت ولكن أبخر

(ذكر اخبار صنم الاهرام)

قال القضاعي ومن عجائب مصر الصنم الذي عند الهرمين بالجيزة ويسمى بالهوية ويعرف بابي الهول عند أهل مصر فيقال انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكذان لا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة في الرمل ويقال طوله سبعون ذراعا وفي وجهه

دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان مقابله صنم مثله في مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون انه طلسم يمنع الماء عن بر مصر وكل من الصنمين مستقبل المشرق وبقي صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشر وسبعمائة ثم قطعه الملك الناصر محمد بن قلاون وصنع منه اعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر وبقي أبو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند الاهرام * ومن العجائب ان قرية من اعمال أسوان وهي شرقي النيل ولها سور وأبواب وهي قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فاذا كان أيام الشتاء يرواني كل يوم قبل طلوع الشمس اناسا غير جنس بني آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها فاذا دخل الناس الى تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون اليها ويخرجون منها وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية * ومن العجائب ان بلاد الهند ضيعة يقال كتام وبها عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زروعهم وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب الطائر في كل سنة ويقرب من ذلك انه كان ببلاد الاندلس فرس من نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا دخلت الاشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء الغزير حتى يعم أرضهم وبساتينهم وأبيارهم فاذا مضت الاشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام * ومن أعجب العجائب ان حكيما من بعض الحكماء في بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فتجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بشراب فيفرغه في ذلك الحوض فتختلط الاشربة كلها في بعضها البعض حتى تصير شيأ واحدا ثم يقف الساقي على ذلك الحوض ويسقي فلا يطلع لكل واحد في قدحه الا من الشراب الذي أتى به وصبه في الحوض ومن العجائب انه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذا مر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب

الخشب ويسلب منه عمل السحر ويقال ان بعض السحرة رمى ذلك الكلب بسهم ليتلفه فعاد السهم على راميه فقتله ❊ ومن العجائب انه كان بمدينة أبهر طلسم للبعوض فلا يدخلها البعوض فكان اذا أخرج أحد ايده من السور الى خارج المدينة وقع عليها البعوض واذا أدخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل الصور ❊ ومن العجائب انه فى بلاد الشرق ضيعة وبها دير يقال له دير الخنافس ففى يوم معلوم من السنة تمتلىء الدير والارض التى حوله بالخنافس وهى تشبه سوس الخشب فتمشى الناس عليها الكثرتها فاذا انقضى ذلك اليوم لم ير من تلك الخنافس شئ وقد احتال بعض الناس على هذه الخنافس وادخل منها شيأ فى القنانى وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد فى القنانى شيأ والشمع بحاله مختوم ومن العجائب انه فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها أقوام يعبدون النار ففى يوم معلوم من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة ويقرب نفسه الى النار فتوقد له النار بزيادة فاذا تسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم ويخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على أصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم انه فى رياض الجنة ويرغبهم فى ان يلقوا أنفسهم فى النار ثم يختفى عنهم وذلك الشخص الذى يظهر لهم انما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله لضلال هذه الطائفة ❊ ومن العجائب ان ببلاد الصين مدينة يقال لها جلسق فيها رجال على صفة النسناس لا يتكلمون الا بالاشارة ولهم ايد طوال تصل الى أقدامهم عند الوقوف ولهم وثوب نحو عشرة أذرع فى الهواء ولم يأو هذا الجنس الا فى البساتين ويسكن على الاشجار وينفر من الناس ويتناكحون ويتناسلون فى البساتين ولهم احليل طويل يصل الى أفخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل ❊ ومن العجائب ان بمدينة أذربيجان وادى وبه دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز

فيالتقطونه ويطبخونه ويصبغون به اللون الذي يسمونه الارجوان وكان ابتداء وجود هذا الدود في أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادي ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعي دودة فأكلها فبقي على خرطومه من دمها فأخذ الراعي صوفة ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له في ذلك الوادي فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيأ من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الالوان ويصبغون منه الآن * ومن العجائب انه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا والصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذوه وذوبه بالماء وشرب منه الملسوع يبرأ من ساعته وذلك طلسم العقارب * ومن العجائب ان ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفي وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاج وهي معلقة تضيء منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرة ليأخذوا تلك الجوهرة فكانت اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة أذرع خر ميتا وان احتال عليها بشيء من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فليس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها * ومن العجائب أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطرة من عسل وسبب ذلك ان رجلا نحالا في قرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح ظرفا الذي به العسل فقطرت من العسل قطرة على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات ان الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات ان أباه قد قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين لبسوا عدة حربهم ولا زالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما يقال ومعظم النار من مستصغر الشرر * (لطيفة) * منتزهات

الارض أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق أما سغد سمرقند فهو نهر تحف به اشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا في مثله وأما شعب بوان فهو من نواحي نوبندجان وهي مقدار فرسخين وفيها انهار مندفقة واشجار مثمرة طيبة وأما نهر الابلة فهو من اعمال البصرة وهو على أربع فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار وأما غوطة دمشق فقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهي مشتبكة بالاشجار كانها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها شعر

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا

قفا واقرأ مني كتابا كتبته * بدمعي لكم فاقرأ أولا تنسيا سطرا

والشقراء والخضراء اسما قريتين من قرى الشام * وقال القيراطي

ما فيه الا روضة أو جوسق * أو جدول أو بلبل أو ربرب

فكان ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب

واذا تكسر ماؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تشدو والنسيم مشبب * والنهر يسقي والجداول تشرب

وضياء ناضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب

فلكم طربت على السماع بذكرها * وغدا بوصفها اللسان يشبب

اشتاق من وادي دمشق لغوطة * كل الجمال الى حماها ينسب

انتهى ما أوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر ما كان من مبدا الخلق العالم من قبل وجود آدم عليه السلام)

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما كمل الله تعالى خلق السموات والارض على الصفة المتقدم ذكرها وأرسى الجبال ونشر الرياح وخلق فيها الوحوش والطيور فصارت اثمار تجف وتقع على الارض ويتولد العشب في الارض ويركب بعضه بعضا فعند ذلك شكت الارض الى ربها من هذا

الامر

الامر نخلق الله من الارض أمما كثيرة وهم على صور مختلفة واجناس مجنسة يقال لهم الجن والبن وقد خلقهم الله تعالى من الريح ومن البرق ومن السحاب وهم ذو نفس وحركة فانتشروا كالذر لكثرتهم فامتلا منهم السهل والجبل وسائر اقطار الدنيا فأقاموا على وجه الارض ماشاء الله من الزمان وكان منهم الابيض والاسود والاحمر والاصفر والابلق والابقع والاصم والاعمى والحسن والقبيح والقوى والضعيف والانثى والذكر وتناكحوا وتناسلوا وحن كل جنس الى جنسه فسموا الجن فلما كثروا فى الارض ضاقت بهم الدنيا لكثرتهم فزاد بأسهم فأرسل الله عليهم ريحا عاصفا فأهلكتهم ولم يبق منهم الا القليل فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصاد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهرا طويلا ثم بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح وانما كان يغنى بعضهم بعضا بالمحاصرة فى البيوت حتى يهلكوا جوعا وعطشا فلما تزايد أمرهم بالفساد أخرج الله تعالى لهم أمما من البحر وهم أعظم اجسادا منهم وأعجب خلقة يقال لهم البن فغاروا بهم فهلكت الجن ولم يبق منهم أحد ومدة أقامتهم فى الدنيا خمسمائة عام وملأت الارض بعدهم البن وتناكحوا وتناسلوا وكثروا حتى ملؤا الارض فكان أحدهم يغوص الى الارض السابعة ويقيم بها اياما فلم يحجب عنهم بقعة من الارض فهم أول من حفر الآبار وشق الانهار وأجرى المياه اليها من العيون والبحار وهم أول من صنع الدواليب وبنى القناطر على الانهار فتسلطوا على الاسماك فى البحر بالصيد وعلى الوحوش فى القفار فلم يبق فى البر والبحر دابة الا وشكت منهم الى الله تعالى وتزايد أمرهم بالفساد فخلق الله الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة فمنهم من يشبه بنى آدم فى الخلق ومنهم طائفة يسكنون السموات وطائفة يسكنون الارض وطائفة موكلون بحفظ بنى آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل

فأما جبريل فهو امين الوحي الى الانبياء وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن السائب قال أول من يحاسب جبريل عليه السلام لانه كان أمين الله تعالى الى رسله وأول من قال سبحان ربي الاعلى وأما صفته فله ستمائة جناح بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام وله ريش من رأسه الى قدمه كاون الزعفران وكل ريشة كهيئة الشمس في نورها ويروى انه ينغمس في بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستين مرة فاذا خرج سقطت منه قطرات من النور فيخلق الله من تلك القطرات ملائكة على صورته يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة ومعنى جبريل بالسريانية عبد الله وأما ميكائيل عليه السلام فانه موكل بارزاق بني آدم والطير والوحش وبالامطار والسحاب والبحار والاشجار وكل النباتات وأما صفته فيروى ان له ريشا اخضر كاون الزمرد في كل ريشة ألف وجه وفي كل وجه ألف فم في كل فم ألف لسان يستغفرون للمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويخلق الله تعالى في كل يوم سبعين ألف ملك على صفته موكلون بالارزاق على نحو ما هو موكل به كأمر ويروى انه لما عاين النار ميكائيل لم يضحك بعد ذلك ولم يتبسم من هول ما عاين من النار خوفا من الجبار وأما اسرافيل عليه السلام فانه صاحب نفخ الصور ويروى ان الله تعالى خلق اسرافيل قبل ميكائيل بخمسمائة عام ووكله بالصور ويروى ان الصور كهيئة القرن وفيه مثل خلايات النحل وهي التي تستقر فيها الارواح وطوله ما بين السماء والارض فاذا انقضت أيام الدنيا أمر الله تعالى ان ينفخ في ذلك القرن فتخرج الارواح من تلك الخليات وهي تتوهج وينفخ في الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع الثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث ويروى ان اسرافيل له اجنحة لا تحصى وقد أعطاه الله قوة على سائر الملائكة وعظما ويروى ان جبرائيل مع عظمه طار باجنحته نحو ثمانمائة عام ما بين انف اسرافيل وشفته فما بلغ مقدار ذلك ومع ذلك قيل ان أعظم الملائكة ملك يقال له الروح قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية ويروى ان هذا الملك

الذى

الذي اسمه الروح يقوم يوم القيامة صفا وحده لعظمه وجميع الملائكة صفا فيكون الروح على قدر الملائكة لعظم خلقته وأما عزرائيل عليه السلام فانه موكل بقبض الارواح من بني آدم وكذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذي روح ويروى ان صفته كصفة اسرافيل وانه جالس على سرير في السماء السادسة وله أربعة اجنحة ممتدة من المشرق الى المغرب ويروى ان في سائر جسده عيونا ناظرة الى كل ذي روح فاذا قبض روح أحد عميت منه العين الناظرة اليه فاذا مات المخلوقون جميعهم ذهبت تلك العيون كلها التي في جسده ولم يبق الا عينه ليعلم انه لم يبق الا هو وما أوردناه على سبيل الاختصار وأما اخبار الجان قال ابن عباس رضي الله عنهما الجان هم ذكور الجن وهم على اجناس مختلفة فمنهم أمم يقال لهم النهام وأمم يقال لهم النهامر وهذه الامة كبني آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون والكافرون وشيخهم ابليس لعنه الله ويروى ان الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل سكان الارض الجان فلما شكت الوحش والطير من افعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان أسكنهم الارض فلما سكنوا اتخاروا وامر البن فقوى الجان عليهم فأهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقي الجان في الارض فتناسلوا وتناسلوا حتى ملأوا الارض ثم وقع بينهم التحاسد والبغي وكثر فيهم سفك الدماء وتشوش بعضهم على بعض فشكت الارض الى ربها فعند ذلك بعث الله اليهم جنودا من الملائكة ومعهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان رئيس الملائكة فطرد الجان من الارض فتوجهوا الى شعب الجبال وسكنوا بها فملك ابليس الارض منهم فكان يعبد الله تعالى في الارض والسماء فتعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على ما في قلبه فقال عز من قائل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون وقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

يعني كمن تقدم ذكرهم من الجن والبن فانهم كانوا يفسدون في الارض ويسفكون الدماء انتهى ذلك

﴿ ذكر قصة آدم عليه السلام ﴾

قال الثعلبي في كتابه لما أراد الله تعالى ان يخلق آدم عليه السلام أوحى الى الارض اني خالق من أديمك خلقا فمنهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام الى الارض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبرائيل أقسمت عليه وقالت اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك انك لا تأخذ مني شيأ يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها شيأ ورجع الى ربه وقال يارب قد استعاذت بك مني فكرهت ان آخذ منها شيأ فأمر الله تعالى ميكائيل ان يمضي اليها ويقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ منها شيأ فأرسل الله اليها عزرائيل فلما هبط اليها وكرهها بحربة كانت معه فاضطربت فدبدبه اليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لاخويه فقال لها أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الاربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبلها واعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدي الله تعالى فقال الله تعالى له لم لم ترحمها وقد أقسمت بي عليك فقال يارب أمرك أوجب وخوفك أرهب فقال له اذا أنت ملك الموت وقابض الارواح ومنتزعها من الاشباح ولم يكن قبل ذلك ملك للموت قال فلما قبض منها ومضى بكت على ما نقص منها فأوحى الله اليها اني سوف أرد اليك ما أخذ منك وهو قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ثم ان الله تعالى أمر عزرائيل ان يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها أمر الله رضوان خازن الجنان ان يعجنها بماء التسنيم ثم أمر الله جبرائيل بان يأتي بالقبضة البيضاء التي هي من قلب الارض فخلق منها الانبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت عجينة كبيرة وقد قيل في المعنى

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجا ❁ ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت في كدر ❁ فانما أنت من ماء ومن طين

فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجنة جسدا مصورا وألقاه على طريق الملائكة التي تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال ابن عباس الحين أربعون سنة ❁ قال الثعلبي ان الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطر عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور وأنشد في المعنى

أي شئ يكون أعجب من ذا ❁ لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا ❁ والبلاء يأتي كال بالصيعان

ثم ان الله تعالى أظهر آدم الى الوجود فكان طوله ستون ذراعا وجعل فيه ثلاثمائة وستين عرقا ومائتين وأربعين عصبا واثني عشر مفصلا وفي رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين ❁ وقال أبو موسى الاشعري لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتي عندك فلا تضعها الا في حقها قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله ثلاثة بيده الاول آدم والثاني شجرة طوبى والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما أمره اذا أراد شيأ ان يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلية كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وان سبب ضرب ابليس ليعلم أم هو مجوف أم صامد فلما رآه مجوفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع أعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فانه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لانه بيت الرب ولهذا يقال ان الشيطان

خلقته وصار شيطانا رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة ثم لا تفوته بقعة من السماء والارض الاولة فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمي ابليس لانه أيس من رحمة الله وقد هجاه أبو نواس بقوله

عجبت من ابليس مع كبره ❋ وخبث ما أضمر من نيته
تاه على آدم في سجدة ❋ وصار عدوا لذريته

سؤال لطيف لم أهلك الله تعالى أعداء سائر الانبياء وأبقى ابليس وهو عدو آدم عليه السلام ❋ الجواب ان الله تعالى أبقى ابليس امتحانا للخلق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لما خلق ابليس ❋ وأيضا بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيعصمهم الله بعصيتهم لابليس ❋ وأيضا ابليس سأل ربه الانتظار الى يوم البعث اه فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فألقى الله عليه النوم لان فيه راحة للبدن فلما نام رأى حوا في منامه قبل أن تخلق فمال اليها حين نظر اليها ثم خرجها من ضلعه الأيسر فخلقت منه حوا على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية وكانت أحسن النساء اللاتي هن بناتها الى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحلي والحلل فكانت تشرق أشراقا أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فأعجبته وألقى الله الشهوة في آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدي صداقها فقال آدم وما صداقها فقال الله تعالى قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها وقيل ان الله تعالى قال له اعطها صداقا قال وما صداقها قال الصلاة على نبيي وحبيبي محمد فقال آدم يارب وما يكون محمد قال انه من أولادك وهو آخر الانبياء ولولاه ما خلقتك خلقا ثم ان الله تعالى مسح على ظهر آدم فأخرج منه ذريته كهيئة الذر ما بين أبيض واسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمنا ومن لم يصبه كان

كافراومنهم طائفة لهم نورساطع فقال يارب من هؤلاء قال الانبياء من ذريتك يا آدم ثم زوّج الله تعالى آدم بحوّا وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن عقد التزويج في يوم الجمعة وقيل كان آدم أحسن من حوا ولكن كانت حوّا ألطف والين ثم أوحى الله تعالى الى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين الولدان والحور وخلق لآدم فرسا من المسك الاذفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما أحضر بين يدى آدم ركبه وأحضر لحوّا ناقة من نوق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ فركبت فيه على الناقة فأخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره وطافوا به في السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة فتقول ما أكرمك من خلق الله على الله تعالى هذا وحوّا على الناقة تطوف معه الى أن أتوا بهما الى باب الجنة فوقفوا بهما ساعة فأوحى الله تعالى الى آدم هذه جنتي ودار كرامتي ادخلا فيها وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وأشهد عليهما الملائكة ثم دخلا الى الجنة فطافت بهما الملائكة في الجنان وأروهما أماكن الانبياء جميعهم فلما وصلا الى جنة الفردوس نظر سريرا من الجوهر وله سبعمائة قاعدة من الياقوت الاحمر وعليه فراش من السندس الاخضر فقالت الملائكة يا آدم انزل هاهنا أنت وحوّا فنزلا وجلسا على ذلك السرير ثم أتوهما بقطفين من عنب الجنة فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة فأكلا وشربا ورتعا في رياض الجنة فكان آدم اذا أراد المجامعة مع حوّا دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد وأسبلت عليهما ستور السندس والاستبرق فكانت حوّا اذا مشت في القصور يكون خلفها من الحور ما لا يحصى قال ابن السني ان أول شئ أكله آدم من فواكه الجنة النبق وقال ابن عباس انما أكلا أولا العنب وآخر شئ أكلا منه الحنطة كما سيأتي بالكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان اذا شربه يجد سرورا زائدا فمن شرب من خمر الدنيا لم يشرب من خمر الجنة * قال أبو نواس

خمراء لا تنزل الاحزان ساحتها ✽ لو مسها حجر مسته سراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكد والتعب دائما في زرعها وفي حصادها الى ان تصير دقيقا الا انها كانت اولا عالي العصيان ويروى ان المؤمنين اول ما يأكلون من الجنة العنب وقال النيسابوري اول ما يأكلون من كبد الحوت الذي هو حامل الارض حتى يعلم اهل الجنة بانقراض الدنيا اه قال وكان آدم يطوف في الجنة فاذا جاء الى جهة شجرة الحنطة ينفر عنها للعهد الذي بينه وبين الله تعالى بعدم الاكل منها وكانت شجرة الحنطة اعظم شجر الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس البعير وكانت احلى من العسل وابيض من اللبن ولما علم ابليس بدخول آدم وحوا الى الجنة وعلم ان آدم منع من الأكل شجرة الحنطة أتى الى باب الجنة واقام عنده نحوا عن ثلثمائة سنة وهي ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر الى من يأتي الى جهة باب الجنة قال فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاؤس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس تقدم اليه وقال ايها الطائر المبارك من اين جئت فقال من بساتين آدم فقال له ابليس ان لك عندي نصيحة واريد ان تدخلني معك فقال ولم لا تدخل بنفسك فقال انما اريد ان ادخل سرا فقال الطاؤس لا سبيل لي الى ذلك ولكنني آتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاؤس الى الحية ولم يكن في الجنة احسن منها خلقا فكان رأسها من الياقوت الاحمر وعيناها من الزبرجد الاخضر ولسانها من الكافور وقوائمها مثل قوائم البعير فقال لها الطاؤس ان على باب الجنة ملكا من المكرمين ومعه نصيحة فاسرعت الحية اليه فقال لها هل لك ان تدخليني الجنة سرا ولك مني نصيحة فقالت وكيف الحيلة على رضوان فقال لها افتحي فاك ففتحته فدخل فيه ابليس وقال لها اوضعيني عند شجرة الحنطة فوضعته عندها فاخرج ابليس مزمارا وزمر تزميرا طربا فلما سمع آدم وحوا صوت المزمار جاآ ليسمعا ذلك فلما وصلا الى شجرة الحنطة قال ابليس تقدم الى هذه الشجرة يا آدم فقال اني ممنوع فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن

هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فان من أكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم ثم أقسم بالله انها لا تضرهما وانه لمن الناصحين لهما فظن آدم انه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كاذبا وظن أنه من الناصحين وقد قيل في المعنى

أن من يستنصح الاعادى ✽ يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حوّا على الخلود في الجنة تقدمت وأكلت فلما نظر آدم اليها حين أكلت وبعدها سالمة تقدم وأكل بعدها فلما أوصلت الحنطة الى جوفه طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضا سؤال لاى شئ لما أكلت حوا من الشجرة لم تسقط الكسوة عنها في الحال وآدم حين أكل سقطت عنه في الحال الجواب لو سقطت في الحال عن حوا لرجع آدم ولم يأكل وأيضا الدية على العاقلة ولان الامر كان أولا لآدم ✽ وقال بعض العلماء ان آدم أكل وهو ناس قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقيل في المعنى

لقد نسيتك والنسيان مغتفر ✽ وان أول ناس أول الناس

فلما أكل آدم من الشجرة أوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بأن يقبض على ناصية آدم وحوا ويخرجهما من الجنة فأخرجهما جبرائيل من الجنة ونودى عليهما بالمعصية قال فكان آدم وحوا عريانين فطافا على أشجار الجنة ليستترا بأوراقها فكانت الاشجار تنفر عنهما حتى رحمته شجرة التين فغطته فتستر بورقها وقيل غطته شجرة العود فلذلك أكرمها الله بالرائحة الطيبة وأكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذى ليس له نوى وقيل غطته شجرة الحنا فلذلك صار أثرها طيبا مفرحا ولذلك سميت الحنا قال كعب الاحبار لما صار آدم عريانا أوحى الله تعالى اليه اخرج الى لا نظرك فقال آدم يارب لا أستطيع ذلك من حيائى منك وخجلى ولهذا المعنى قيل

بفرد خطيئة وبفرد ذنب ✽ من الجنات أخرجت البرايا
فكيف وأنت تطمع في دخول ✽ اليها بالالوف من الخطايا

قال ثم ان جبرائيل أخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به الى الارض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون وتقدمت صفة هذا الجبل بين ذكر الجبال * وأما حوا فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب فيقال أولاد آدم ولا يقال أولاد حوا وانها غرت آدم مع ابليس حيث ابتدأت بالاكل وفي المعنى قيل

وكم من أكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدري

وأهبطت حوا عند ساحل البحر المالح بجدة قال الله تعالى قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين * وأما ابليس اللعين فانه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما أهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق في كل قطر من الاقطار بيضة فجميع ما في الارض من الشياطين من تلك البيضات وقال ابن مجاهد أنه نكح الحية التي دخل في جوفها في الجنة حين أهبطت الى الارض فباضت الاربع بيضات * وأما الطاوس فانه ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن وأهبط أيضا الى الارض ونزل في أرض بابل وقيل بأرض انطاكية * وأما الحية فمسخ شكلها وصار فيها السم وسببه ان ابليس اختبى تحت أنيابها وأدخلته الى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشي على بطنها زحفا ونزلت الى الارض بأصبهان * قال ابن عباس كانت اقامة آدم وحوا في الجنة مدة نصف يوم من أيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا فلما اهبط آدم ألقى الله عليه النوم فنام فألقى الله النوم على جميع من في الارض من الحيوانات الوحش والطير وكل شئ فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمى ذلك اليوم يوم السبت فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهي تدور مع الفلك تعجب من ذلك فلما

تعالت فى الفلك أحرقت جسد آدم لانه كان عريانا مكشوف الرأس فأتاه جبرائيل فشكى اليه من ذلك فمسح على رأسه بيده فحط عن ذلك الطول خمسة وثلاثين ذراعا قال قتادة كان آدم اذا عطش يشرب من السحاب ويروى أنه لما طلع الشعر على رأسه وطالت أظفاره أتاه جبرائيل فحلق رأسه وقص أظفاره ودفن ذلك فى الارض فأنبت الله النخل ولهذا قيل عمتكم النخل * وقال ابن عباس مكث آدم فى الارض ثلاثمائة سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وأقام يبكى نحو مائتى سنة فنبت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه ثم ان آدم شكى الى جبرائيل من العرى وحر الشمس فمضى جبرائيل الى حوا ومعه كبش من الجنة فقص من صوفه ودفعه الى حوا وعلمها كيف تغزل الصوف فلما علمها وغزلته علمها كيف تنسجه فنسجت عباءة فأخذها جبرائيل ومضى بها الى آدم فستر بها جسده ولم يقل له هذه العباءة من عند حواء ثم أنه شكى من الجوع لانه أقام أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى جبرائيل وأتاه بثورين من الجنة أحدهما اسود والآخر أحمر وعلمه كيف يحرث فحرث ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع * نكتة بينما آدم يحرث فى الارض اذ وقف أحد الثورين فضربه بعصى كانت بيده فأنطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم ضربتنى فقال لاجل ما خالفتنى فقال له الثور لطف الله بك حيث لم يضربك حين خالفته فبكى آدم وقال الهى صار كل شئ يوبخنى حتى البهائم فأمر الله تعالى جبرائيل أن يمسح على لسان البهائم وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم الى الارض فلما زرع آدم نبت فى الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى فى الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال اصبر ثم قطع له من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقا قال آدم آكل فقال له اصبر ثم مضى وأتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد أن غسها فى الماء سبع مرات ولولا ذلك لاحرقت الارض ومن عليها ثم ان جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز ثم قال

لجبرائيل آكل فقال اصبر حتى تغرب الشمس ليتم ذلك الصوم فكان آدم أول من صام على وجه الارض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة فر الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبرائيل لو صبرت أتاك الرغيف من غير أن تقوم اليه ❊ ويروى ان آدم لما أكل من الرغيف اذخر منه النصف الى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا انك فعلت ذلك لما كان أحد من أولادك يدخر فصار ذلك عادة لبني آدم وقيل ان آدم لما أكل الخبز عطش فشرب عليه الماء فوجد في نفسه ثقلا لم يكن يعهده فلما أتاه جبرائيل شكا له ذلك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته قال ابن عباس رضي الله عنهما كان آدم اذا جاع نسي حواء واذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء في قيد الحياة أم ماتت فقال بل في قيد الحياة وانها أصلح حالا منك لانها على ساحل البحر تصطاد الاسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل اني رأيتها في منامي في هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم ابشر فما أراك الله اياها الا لقرب الاجتماع ❊ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم قال بعض العلماء ألهمه الله انه يقول ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل ان آدم قال يا رب بحق محمد الا ما غفرت لي خطيئتي فأوحى الله تعالى اليه وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه لا بعد فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت مكتوبا على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تقرن اسمك الا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم وقد غفرت لك خطيئتك اذ سألتني بحق محمد قال الثعلبي ثم ان الله تعالى أوحى الى آدم بأن ارحل من أرض الهند الى مكة وطف حول مكان البيت واسألني المغفرة فأغفر لك خطيئتك قيل ان الله تعالى أنزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان

الحشفة البيضاء التي امتدت منها الارض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضئ بالنور ثم أرسل الله لآدم ملكا يقوده ويرشده الى طريق مكة وأنزل عليه عصى من خشب الآس طولها عشرون ذراعا وهي من أشجار الجنة فكان آدم يمشي فتطوى له الارض فصار كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية فلما دخل آدم الى مكة أوحى الله تعالى اليه أن يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الرأس عريان الجسد وذلك سنة الحج فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب وقيل في المعنى

خزيا لابليس فقد ✻ نلنا الخلاص من يديه
وان في طوافنا ✻ دائرة السوء عليه

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ابليس اللعين قال يارب ان شأن عبادك يحبونك ويعصونك ويبغضوني ويطاعوني فأوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي فلاجعل حبهم لي كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتي اه قال ولما تاب آدم أمره الله تعالى أن يخرج الى عرفات فلما خرج الى عرفات ووقف هناك واذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج وانما سمي عرفات لان آدم وحواء تعارفا فيه ثم ان آدم أقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل الى أرض الهند هو وحواء وروي ان المدة التي كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام وروي أن آدم لما خرج من الجنة وتستر بورق الجنة فلما صار الى الارض يبس الورق وتناثر على الارض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة سببها ذلك وقيل أنزل الله على آدم ثمانية أزواج من الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وأمره أن يشرب من ألبانها ويكتسي من أصوافها وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة وخرج من دموعهما الحمص والفول ويروى أن آدم عليه السلام شكى الى الله تعالى فقال يارب لا أعلم أوقات العبادة فأنزل الله اليه ديكا من

الجنة على قدر الثور العظيم وهو ابيض اللون فكان اذا سمع الديك تسبيح الملائكة فى السماء يسبح فى الارض فعلم آدم من ذلك أوقات العبادة ثم ان آدم غرس الاشجار وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم احدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وأنزل عليه حروف الهجاء وهى تسعة وعشرون حرفا فتعلمها آدم لاجل أن يقرأ الصحف ولا يقدر أحد أن يزيد فى الكلام حرفا غير ذلك فان حكم الاله محكمة متقنة * ومن النكت اللطيفة قيل ان صبيا صغير السن أتى أبا العلاء المعرى فقال له البيت القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

فقال أبو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبى ان الاوائل أتو بحروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا فأت أنت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس اليه وينطقون به فعند ذلك سكت أبو العلاء ولم يتكلم بشئ فلما انصرف الصبى سأل عنه أبا العلاء فقيل له هو ابن فلان فقال قريبا يموت فلم تمض أيام حتى مات الصبى فقال أبو العلاء ذكاؤه قتله ثم رثاه بعض الناس بقوله

مولاى انى رأيت الدهر ذا عجب * لا يستقيم لذى فضل على سنن

يقصى الذكى ويدنى كل ذى حمق * أوفاسد صالح للجهل والرسن

مازال طبعا يعادى كل ذى فطن * كأن حتما عليه بغضة الفطن

قال الثعلبى لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين فى بطنها لوقته ففزعت حواء وكانت تقول من أين يخرج هذا المتحرك منى فلما ولدت وضعت اثنين ذكرا وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وظهرت أراد آدم أن يواقعها فأبت لما رأت من ألم الولادة فلا زال بها حتى واقعها وقيل كانت تمانعه مع محبتها لذلك ولكن تخاف من أمر الولادة كما ذكر الحكماء ان فى الرجال شهوة واحدة وفى النساء تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيأ من ذلك توفيقا وفى الحديث يتمنعن وهن راغبات قال وحملت حواء ثانيا فجاءت بذكر وأنثى فى بطن واحد

فسماهما قابيل واقليما ويقال ان مجموع ماولدت حواء عشرون بطنا في كل بطن اثنين فكان لها من الاولاد أربعون ولدا ذكورا وأناثا وقيل مائتي ولد ولم تلد في بطن واحد غير شيث وكان في جبهته نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ويروى ان أولاد آدم لم يزالوا يتناسلون في مدة حياته حتى بلغ عددهم نحوا من أربعين ألفا ذكورا وأناثا وهو قوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ويروى ان آدم لما تكاثر نسله صار وا يتشاجرون فأنزل الله تعالى لآدم عصى من الجنة ليؤدب بها أولاده اذا عصوه ولهذا يقال العصى من الجنة قال الثعلبي لما كبر قابيل فوض اليه آدم أمر الزرع وفوض أمر الغنم الى هابيل فأوحى الله الى آدم بأن يزوج اقليما بهابيل وأن يزوج ليوثا بقابيل فأبى قابيل أن يتزوج بليوثا وقال لا أتزوج الا باقليما لانها ولدت معي في بطن واحد وهي أحب الي من أخت هابيل وكان يومئذ نكاح الاخت جائز لتكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يا بني لا تعص الله فيما أمرني به فقال لا أدع أخي أن يأخذ اقليما فقال آدم اذهب أنت وأخوك فقربا الى الله تعالى قربانا وليكن من أطيب ما عندكما ثم يقف كل منكما وينظر من يتقبل قربانه فهو احق باقليما فرضيا بذلك وخرجا وتوجها الى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك في سنبلة ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران ما يكون من أمرهما فنزلت من السماء غيمة بيضاء فأشرفت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت الى قربان أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء وهو قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الآيتان فقال قابيل لاخيه لاقتلنك ولا أدعك أخذ أختي الحسناء ولا أنا آخذ أختك القبيحه وبقي قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه ابليس اللعين على صورة بعض اخوته فأخذ حجرين من الارض وضرب بعضهما ببعض فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر الى ذلك فقال لم لا أفعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته وأتى الى

أخيه هابيل فوجده نائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل الى صخرة فاحتملها وألقاها على رأس أخيه فقتله ومات وهو أول من قتل ظلما من أولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقي متحيرا كيف يصنع به فجعله في جراب وحمله على ظهره وطاف به الارض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله له غرابين فقتل أحدهما الآخر فلما قتله حفر له الارض بمنقاره وبرجله ووضعه في الحفرة ورد التراب عليه فعند ذلك قال قابيل يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فأصبح من النادمين قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله قبل حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به قال صاحب مرآة الزمان ان أرباب النجوم يذكرون ان كوكب الذنب لم يظهر في الدنيا الا عند قتل هابيل وعند القاء ابراهيم الخليل في النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لا يظهر الى عند ظهور أمر من طاعون أو قتل ملك من الملوك وقد ظهر في أول الاسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه وعند قتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهذا امر قد جرب والله تعالى أعلم قال الثعلبي لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهي أول زلزلة وقعت في الارض وكانت في يوم تزلزل الى سبعة أيام عند قتل هابيل وفي ذلك كسفت الشمس وهو أول كسوف وقع في الدنيا قال الثعلبي لما قتل هابيل نبت الشوك في الاشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان آدم بأرض الهند ولم يكن عنده علم بقتلة ابنه هابيل وكان يحبه قال ابن عباس لما قتل قابيل أخاه هابيل كان في جبل قاسون في مغارة الدم فشربت الارض الدم فأوحى الله الى قابيل أين أخوك فقال لا أدري فأوحى الله اليه ان صوت دم أخيك تنادي من الارض بأنك قتلته فقال قابيل يا رب وأين دمه فمن يومئذ حرم الله على الارض أن تشرب الدماء جميعها قال ولما رأى آدم ضيقا في صدره خرج في الارض ليرى ما حدث فيها فلما وصل الى جهة أولاده رأى ابنه

هابيل

هابيل قد قتل وأخذ قابيل الاغنام وتزوج باقليما فعند قدوم آدم هرب قابيل وساح فى الارض خوفا من أبيه وفى ذلك يقول القائل

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى * أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بائعا * للروح منه بأبخس الاثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا * ولا رضى بالذل والعصيان
وبهن صار لآدم مع يوسف * فيما حكاه الله فى القرآن
وكذاك هاروت ببابل منكس * ومعلق بالرجل فى الجدران
مجنون ليلى جن فى حب النسا * كل الاذى يأتى من النسوان
فترى البلا منهن يأتى والوفا * منهن لا يأتى مدى الازمان
خذ ما استطعت عن النساء بمعزل * ان النساء حبائل الشيطان

ومن النكت اللطيفة ما حكى ان بعض الملوك كان مغرما بحب النساء وكان له وزير ينهاه عن ذلك ولا زال ينهاه حتى قصره عن نسائه وجواريه فلما رأت النساء من الملك التقصير سألته عن ذلك وألححن عليه فى الجواب فقال من الوزير هو الذى ينهانى عنكن فعند ذلك أبرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولا رأى قط أجمل منها وسألن الملك أن يهبها للوزير وكن قد أمرنها بأن تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيأ حتى تضع على ظهره سرجا وفى فمه لجاما وتركب على ظهره فى ليلة معينة واعلمن الملك بذلك وسألنه أن يهجم على الوزير فى تلك الليلة فأجابهن الملك الى ذلك كله وأعطى الوزير الجارية فأراد الوزير أن يواقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له ان كنت تفعل ما أمرك به مكنتك من نفسى فقال لا أخالفك فى شئ فقالت له ائتنى بسرج ولجام ففعل فلما حضرا أسرجته وألجمته وركبت على ظهره فبينما هما على ذلك واذا بالملك قد هجم عليهما ورآهما على تلك الحالة فقال للوزير ألم تكن تنهانى عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال له الوزير أعز الله الملك كنت أخاف عليك أن يقع لك معهن مثل هذا الحال حتى وقعت أنا فيه فضحك منه الملك وعفا عنه وانصرف

قال فلما تحقق آدم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء صرخت فصار ذلك سنة في أولادهما وقت المصيبة وأنشأ آدم يرثي ابنه فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح
فمالي لا أنوح بسكب دمع * وأجفان مسهدة قروح
قتل قابيل هابيل أخاه * فوا أسفا على الوجه الصبيح

وقيل هذا أول شعر قيل في الارض وأجمع أهل التواريخ على صحة ذلك ماعدا الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي فانه ينكر ذلك ويقول أن آدم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده أنه كان سريانيا وان صح فانها كلمات سريانية وعربت أبيات شعر اه قال الثعلبي لما علم آدم بقتل هابيل أقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحى الله تعالى اليه يا آدم الى كم هذا البكاء والحزن اني معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقا نبيا وأجعل من نسله الانبياء الى يوم القيامة وعلامته أنه سيوضع وحده في بطن واحد فاذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان مضى من قتل هابيل مائة سنة ذكر الثعلبي انه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم الى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى أمر اخوته ويقضي بينهم بالحق فبينما آدم في خلوته يعبد الله تعالى اذ أوحى اليه يا آدم اوص ولدك شيث بما أوصيتك به فاني مذيقك الموت الذي كتبته عليك وعلى أولادك الى يوم القيامة ففزع آدم من هذا المقال وقال يارب ما هذا الموت الذي توعدني به ثم ان آدم أحضر شيثا وأوصاه بشيء كثير حتى أعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار وأخرج اليه غطاء أبيض من حرير أبيض كانت فيه صورة الانبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السفط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وأمره أن يطويه ويضعه في تابوت ويقفل عليه ثم ان آدم عمد الى شعرات من لحيته ووضعهن

و التابوت وقال يابني خذ هذه الشعرات فاذا دهمك أمر فاحملها معك فانك تظفر بأعدائك مادامت هذه الشعرات معك واذا رأيتها قدابيضت فاعلم بأن أجلك قد قرب وتموت في تلك السنة ثم ان آدم نزع خاتمه ودفعه الى شيث وسلمه التابوت والصحف التي أنزلت عليه وقال له يابني حارب أخاك قابيل فان الله ينصرك عليه اه ذلك * وروى أن آدم عاش من العمر ألف سنة من حين أهبط الى الارض وقد قال القائل في المعنى شعرا

ترجوا البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل

قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل

ومن الاخبار العجيبة ماروى ان ابليس أتى الى موسى بن عمران عليه السلام وقال له اذا اناجيت ربك فاشفع لي عنده وسله هل لي عنده من توبة اذا تبت فلما ناجى موسى ربه قال المى هل تقبل توبة من ابليس اذا تاب فقال الله عز وجل ياموسى سبق في علمي أنه لا يتوب ولكن أنا التواب الرحيم فان تاب يسجد لآدم فان سجد عند قبره قبلت توبته فلما رجع موسى أتى اليه ابليس وقال ياموسى ماصنعت بحاجتي فقال له موسى ان الامر معلق على سجودك عند قبر آدم له فقال أنا ماسجدت له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت وروى ان ابليس اذا مات عند ميعاده يرسل الله اليه ملائكة من أعوان عزرائيل ليقبضوا عليه لاجل قبض روحه فينهزم ابليس في جهات البر والبحر فلم يجد له ملجأ حتى يأتي عند قبر آدم فيسجد له فيقال له ان الله تعالى غلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول ياهلا لو علمت ان هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فتقبض عليه الملائكة ويقبض عزرائيل روحه أشد القبض ويروى اذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يأمر الله تعالى أن يخرج ابليس من النار في كل مائة ألف سنة مرة ويخرج آدم من الجنة ويأمر الله ابليس أن يسجد لآدم فيأبى ابليس من ذلك فيرده الله الى النار ويرد آدم الى الجنة وقد قال الله تعالى ان الشيطان للانسان عدو

مبين انتهى ما أوردناه من قصة آدم على سبيل الاختصار

(ذكر قصة شيث بن آدم عليهما السلام)

قال وهب بن منبه لما توفي آدم كان شيث ابن أربعمائة سنة وكان قد أعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذي أنزل له من الجنة وكان اذا صهل أجابته دواب الارض بالتسبيح وأوصاه بالقتال مع أخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل فحاربه وهو أول حرب جرى في الارض بين بني آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسير احفظ يا شيث ما بيننا من الرحم فقال له لأي شيء لم تحفظه وقتلت أخاك هابيل ثم أخذه شيث وغل يده في عنقه وأوقفه في الحر حتى مات فأراد أولاده دفنه فجاء اليهم ابليس في صورة ملك من الملائكة وقال لاولاده لا تدفنوه في الارض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوفهما وأمر أولاده بأن يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور ويلبسوه أفخر الثياب ويدهنوا جسده بأدوية مفردة حتى لا يجف ثم أمر أولاده أن يوقفوه في بيت وهو على كرسي من ذهب وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد له ثلاث سجدات وأمرهم بأن يجعلوا له في كل سنة عيدا و يجتمعوا حوله ثم ان ابليس وكل به شيطانا فكان حيا فأقام الناس يعبدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث الى الهند وأقام يقضي بين الناس بالحق قال وهب ابن منبه ان حواء زوجة آدم توفيت في زمن ابنها شيث ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها في يوم الجمعة في الساعة التي خلقت فيها ويقال أنها دفنت الى جانب قبر آدم عليهما السلام ثم أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة وأول من خرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والكيل وهو أول من استخرج المعادن من الارض ثم ان شيث ولد ولدا ذكرا سماه أنوش وكان شيث في جبهته نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي انتقل اليه من آدم فلما ولد أنوش انتقل النور الى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر الى الشعرات فوجدها قد ابيضت فمات

شيث في تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة

❊(ذكر قصة أنوش بن شيث)❊

قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده ابنه أنوش وتسلم التابوت والسمط والصحف والخاتم فسار في أحسن سيرة وقضى بالحق ثم تزوج أنوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور في وجهه وسمته قينان فاستمر أنوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف الى ابنه قينان وأوصاه واستخلفه بعده

❊(ذكر قصة قينان بن أنوش)❊

قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد أبيه أنوش ظهر بين الناس بالعدل وسارت سيرته حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عطنوك فحملت منه ولدا ذكرا فلما وضعته سمته مهلاييل فانتقل النور الى جبهته ثم ان قينان مرض مرض الموت فسلم ابنه مهلاييل التابوت والصحف واستخلفه من بعده ثم مات مهلاييل وانتقل النور الى ابنه برد ثم مات برد فانتقل النور الى ولده أخنوخ وهو ادريس عليه السلام قال وهب بن منبه ما سمي ادريس الا لكثرة دراسته في الصحف ❊ قال ابن عباس بعث الله ادريس الى بني قابيل وكانوا يعبدون الاصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا التي ذكرها الله في القرآن العظيم فلما تزايد أمرهم بعث الله اليهم ادريس عليه السلام فكان يدعوهم في الجمعة ثلاثة أيام وكان ادريس عنده شدة بأس وصلابة في أمره ونهيه وهو أول من خط بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر في علم النجوم والحساب وهو أول من خيط الثياب ولبس المخيط وكان اذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فاذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يخيط للناس بالاجرة وهو أول من صنع المكيال قيل قبل زمن ادريس كان الناس يلبسون الاوعية بغير خياطة فلما صنع ادريس الخياطة وخاط استحسن

الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم انزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة فكان
لا يفتر عن قراءتها ليلاً ونهاراً وكانت الملائكة تأتي لمصافحة ادريس وكان
يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى
تعجبت منه الملائكة وحسده ابليس اللعين على ذلك ولم يرله عليه سبيلا
ويروى أن ملك الموت استأذن ربه بأن يزور ادريس فأذن له في زيارته فأتى
اليه في صورة رجل فقال له ادريس من أنت أيها الرجل فقال له أنا ملك
الموت استأذنت ربي في زيارتك فأذن لي في ذلك فقال له ادريس ان لي
اليك حاجة قال وما هي قال أن تقبض روحي في هذه الساعة فقال له ملك
الموت ان ربي لم يأذن لي بذلك فأوحى الله الى ملك الموت اني علمت ما في نفس
عبدي ادريس فاقبض روحه فقبضها في الحال ثم ان الله تعالى أحياه
في الحال فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى فقال ما هي قال ادريس أن
تمضي بي الى جهنم لانظر حرها فأذن الله له بذلك فحمله ملك الموت وأتى به
الى مالك خازن النار فأوحى الله الى مالك خازن النار بأن اوقف عبدي
ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فلما وقف ادريس ونظر غشي عليه
من أحوالها فجاء اليه ملك الموت واحتمله الى مكانه الذي أخذه منه فصار
ادريس من ذلك اليوم لا تكتحل عينه بمنام ولا يهتنأ بطعام ولا بشراب ولا
يقر له قرار من الهول الذي رآه في النار ثم ان ادريس انعكف الى عبادة الله
تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سماه متوشلخ وانتقل
النور الذي كان في جبهة ادريس الى جبهة ابنه متوشلخ فلما كبر عهد اليه
ادريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم
الصلاة وقال له يا بني اني صاعد الى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فاقبل
مني ما أوصيتك به ثم ان ادريس دخل الى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة
كما أراه النار فأوحى الله الى رضوان خازن الجنان بأن يدلي الى ادريس غصنا
من أغصان الجنة فأدلى له رضوان غصنا من أغصان شجرة طوبى فتعلق به
وصعد الى السماء فأدخله الى الجنة فرأى ما فيها من النعيم فلما أطال

ادريس الجلوس فى الجنة قال له رضوان اخرج فقد نظرت فى الجنة فقال له ادريس ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وماهم منها بمخرجين فما أنا بخارج منها فأوحى الله تعالى الى رضوان قل لعبدى ادريس لا يخرج منها ابدا قال وهب بن منبه رفع ادريس الى السماء وهو ابن ثلاثمائة سنة وخمسة وستين سنة قال ابن الجوزى ان ادريس وعيسى بن مريم حيان فى السماء ادريس فى السماء الرابعة تارة يعبد الله فى السماء وتارة يتنعم فى الجنة وقال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قال الكنانى لما رفع ادريس الى السماء وعلمت الملائكة أن لا يبرح منها قالت الملائكة الهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ أن يصير فى مقام الملائكة المقربين فأوحى الله اليهم انكم قد عيرتم بنى آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ما قدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا سبحانك ربنا ما ينبغى لنا أن نعصيك فأوحى الله تعالى اليهم بأن يختاروا منهم ملكين من خيارهم فيهبطهم الى الارض ويركب فيهم الشهوة مثل ما ركب فى بنى آدم فاختارت الملائكة ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما بأن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم فيصعدا الى السماء فاستمرا على ذلك شهرا واحدا فأتت اليهما امرأة من أجمل النساء فى الحسن والجمال والقد والاعتدال لابسة من أفخر الثياب وكان اسمها الزهرة وكانت من أهل فارب وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهى فى زينتها وقد أسبلت شعرها من خلفها واسفرت عن وجهها ثم شكت الى ذينك الملكين من خصمها فلما رأياها افتتنا بها حبا فلما انصرفت عادت اليهما

في اليوم الثاني فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الامر راوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت اليهما في اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لهما لا أمكنكما مما أردتماه حتى تفعلا ما أريد أن تسجدا للصنم وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله تعالى نهانا عنه فأبوا عن ارادتها وأبت عن ارادتهما وانصرفت عنهما فزادهما الوجد فتوجها الى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها اذا حضرت لهما طعاما فأكلا منه ثم راوداها عن نفسها فقالت انكما تعلما ما اردت منكما فقالا ان الشرك عظيم والقتل عظيم وأما شرب الخمر فانه أهون من هذه الاشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما ان الخمرة أم المعاصي فتقدما وشربا الخمر فلما انتشيا واقعا المرأة فزنيا فرآهما انسان فقتلاه خوفا من أن ينم عليهما فأمرتهما أن يسجدا للصنم فسجدا وكفرا وقيل فيه

تركت المدام وشرابه ❊ وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى ❊ ويفتح للشر أبوابه

قال فلما فعل هاروت وماروت هذه الفعال ووقعا في الذنوب أراد أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا ووقعت أجنحتهما فعلما ان ذلك من ذنبهما ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة لعلمهما ان عذاب الآخرة أشد وأبقى وأيضا ان عذاب الدنيا ينقضي وعذاب الآخرة لا ينقضي وان انقضى بعد بالاحقاب وكل حقب مقداره ثمانين ألف سنة قال الكسائي ان هاروت وماروت بأرض بابل في جب معلقان بشعورهما منكسان على رؤسهما في سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانهما وبين الماء مقدار يسير كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل في أنفهما زيادة في عذابهما وأعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما في هذا الحال الى يوم القيامة ويروى ان رجلا أتى اليهما من أرض بابل ليتعلم منهما شيأ من السحر فلما دخل

عليهما ذلك الرجل رآهما على ماذكرناه فقال الرجل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعاه قالا له من أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له قد بعث محمد قال نعم فقال الحمد لله وأظهر الفرح فقال لهما قد ظهر تمام الفرح عند ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال نعم انه نبى يبعث وبين يديه الساعة وانه قرب فرجنا انتهى قيل لما رفع ادريس عليه السلام الى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق ولما توفى متوشلخ سلم التابوت والصحف الى ابنه لامك قال الكسائى كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيديه الصخرة العظيمة ويقلعها من الجبل ومما وقع له أنه خرج ذات يوم الى الفضاء فرأى امرأة حسناء وبين يديها غنم ترعاها فافتتن بها ثم تقدم اليها وسألها عن اسمها فقالت أنا قينوشة بنت اكايل من أولاد قابيل بن آدم فقال لها ألك بعل قالت لا فقال لها فكم لك من العمر قالت مائة وثمانون سنة فقال لها أنت صغيرة ولو كنت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتين سنة فقالت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق واخطبنى من أبى فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى الى أبيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولدا ذكرا فسماه شاكرا وقيل عبد الغفار وهو نوح قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته فى مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فانه كان يحجر على النساء ويقتل الاطفال عمدا فلما وضعته ذهبت عنه وهى تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافى على فان الذى خلقنى يحفظنى فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام فى تلك المغارة أربعين يوما فى هذه الاربعين يوما مات الملك الذى كان يقتل الاطفال فحمله بعض الملائكة ووضعه فى حجر أمه فاذا بالنور الذى كان فى جبهة أبيه لامك انتقل الى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت أمه فى تربيته حتى كبر وانتشا فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالاجرة فأقام على ذلك مدة طويلة

حتى توفى أبوه لامك فاستخلفه من بعده وسلم اليه الصحف والتابوت والسمط

(ذكر قصة نوح عليه السلام)

وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام قال الكسائي كان اسمه عبد الغفار أو شاكر وسبب تسميته نوح قيل انه رأى كلبا له أربعة أعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع فقال له الكلب يا عبد الغفار أتعيب النقش أم النقاش فان كان العيب على النقش فان الامر لو كان الي لم أختر أن أكون كلبا وان كان العيب على النقاش فهو لا يلحقه عيب لانه يفعل ما يشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح ويبكي على خطيئته واعتراضه على الله تعالى فلكثرة نوحه سمي نوح رواه السدي قال وهب ابن منبه لما أتى على نوح من العمر أربعمائة وثمانون سنة أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهي فقال له جبرائيل أنا رسول رب العالمين جئتك بالرسالة من عنده وقد بعثك الله الى قومك وهو قوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ثم ان جبرائيل ألبسه لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله درمشيل بن فويل بن جحج بن قابيل بن آدم وكان درمشيل جبارا عنيدا وهو أول من اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من تخذ الثياب المنسوجة بالذهب وكان هو وقومه يعبدون الاصنام الخمسة وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وهي التي ذكرها الله في القرآن العظيم وكان حول هذه الاصنام ألف وسبعمائة صنم وكان لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت ألف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه الاصنام كراسي من الذهب فيها أنواع الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم في السنة يجتمعون فيه فخرج اليهم نوح في ذلك اليوم وكانوا يوقدون النار حول تلك الاصنام ويقربون اليها القربان ثم يسجدون بين يديها تعظيما لها وكانوا

يخرجون

يخرجون فى اصناف الملاهى و يضربون بالصنوج و يرقصون عندها ويشربون الخمر و يزنون بالنساء جهارا من غير ستر و يركبوهن كالبهائم بين الناس فلما خرج اليهم نوح وقف على تل عال و رفع رأسه الى السماء وقال الهى أسألك ان تنصرنى عليهم بنور محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا أمما لا يحصون لكثرتهم ثم ان نوح وقف على ذلك التل ونادى بأعلى صوته يا أيها القوم انى قد جئتكم من عند رب العالمين أدعوكم عن عبادة الاصنام فلما صاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته الى المشرق والمغرب وسقطت الاصنام عن كراسيها وفزع من كان حولها من الخدام وغشى على الملك درمشيل فلما أفاق من غشيته قال لمن حوله ما الذى سمعتونه من الصوت فقالوا هذا صوت رجل يقال له نوح وهو مجنون وفى عقله خلل فقال الملك ائتونى به فجاءت اليه اعوان الملك فاخذوه واوقفوه بين يدى الملك فقال له الملك من انت قال أنا نوح رسول رب العالمين قد جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الاصنام فقال له الملك ان كان بك جنون نداويك وان كنت فقيرا نواسيك وان كنت مديونا قضينا عنك دينك فقال نوح مابى جنون ولا أنا فقير ولا على ديون وانما أنا رسول رب العالمين فكان نوح أول المرسلين وهو من أولى العزم وقد بعثه الله الى بنى قابيل لما تمادوا على عبادة الاصنام وأظهروا الشرك بالله فدعاهم الى توحيد الله وان يقولوا لا اله الا الله وان نوح رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا انه يوم عيد لقتلته أشر قتلة و يروى أنه آمن بنوح فى ذلك اليوم امرأة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة أولاد ذكور وهم سام وحام ويافث وولدت له ثلاث بنات وهن حصوة وسارة وبحيورة ثم آمنت به امرأة اخرى يقال لها ولعب بنت محويل فولدت له ولدين وهما يانوس وكنعان ثم أنها عادت الى دينها بعد اسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو من سبعين انسان فصار نوح يخرج الى القوم فى كل يوم و ينادى يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره لا شريك له فيخرجون اليه القوم من بيوتهم

فيضربونه بالعصى والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه على المزابل فلما يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلى ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فاقام على ذلك نحو من ثلاثمائة سنة ثم ان الملك درمشيل هلك واقام بعده ابنه توبين فكان أطغى من أبيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعو أباه من قبله اليه واستمر نوح يدعو قومه الى الاربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعوا اصابعهم فى اذانهم كما أخبر الله العظيم فى القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له الحجارة فوق الاسطحة فاذا مر عليهم يرمونه بها فيغشى عليه فيظنون أنه قد مات فكانت الطيور تروح عليه باجنحتها اذا غشى عليه فيفيق فلا زال حتى مر عليه ست قرون ودخل فى القرن السابع وهلك الملك توبين واستخلف من بعده ابنه طفردوس فكان أشد طغيانا من أبيه فصار كلما يدعوهم يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم أوحى الله تعالى الى نوح انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا فى بطون النساء مؤمن ليجيب دعوتك وقد اعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعى عليهم نوح كبيرا وصغيرا كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا أنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فانفتحت أبواب السماء لدعوته وهاجت عندها الملائكة قال فعند ذلك أوحى الله اليه ان اصنع الفلك الآية فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجرى على وجه الماء فأمره ان يغرس فى الارض خشب الساج وقيل هو الابنوس أمره أن يغرسه بارض الكوفة فغرسه فاقام أربعين سنة حتى أدرك وأمر السماء أن تمنع القطر وأمر الارض ان تمنع النبات ففى تلك المدة لم ينزل من السماء قطره ولا يخرج من الارض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولا يفرخ طير وذلك لاقامة الحجة على الناس قبل نزول العذاب فأمر الله نوح عليه السلام ان يتوجه الى الكوفة وينقل خشب الساج فبقى نوح متحيرا كيف ينقل الخشب فاوحى الله اليه ان عوج بن

عنق

عنق يحمل ذلك قال الكسائى ان عنقا أم عوج كانت من أولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة ماهرة فولدت عوج ثم ماتت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل أنه لما جاء الطوفان لم يجاوز الى ركبته وكان اذا جلس على الجبل يمد يده الى البحر يأخذ منه السمك ويشويه فى عين الشمس وكان اذا غضب على أهل قرية يبول عليهم فيغرقهم وقيل أنه سلط على أهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قميصا ولا نأخذ منك ثمنه الا بعد سنة فخارج أهل تلك القرية وصنعوا له قميصا من القطن فالبسوه أياه فمضى عنهم فكان كلما قصد أن يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل اليهم خوفا من الدين ويروى ان عوج بن عنق عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وأدرك أيام موسى فلما دخل موسى الى التيه ومعه بنوا اسرائيل قصد عوج ان يهلكهم فجاء الى جيش موسى لاجل أن يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخا فى فرسخ فمضى الى جبل وقلعه من الارض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فأرسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى نقبها فنزلت فى عنق عوج فصارت قفلا لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك اتى اليه وضربه بعصاه وكان طولها عشرين ذراعا ووثب موسى فى الهواء عشرين ذراعا وكان طول موسى عشرين ذراعا فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى فى الفلاة كالجبل العظيم ويروى أن ببلاد التترى نهر يسمى الطاء وعليه قنطرة عظيمة فيقال ان تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا قال الكسائى فلما أوحى الله الى نوح بان الذى يحمل له الخشب عوج من الكوفة الى أرض الحيرة وكانت الحيرة قريبة من بغداد فجاء نوح الى عوج وسأله ان يحمل له الخشب فقال عوج لا أحمل لك ذلك حتى تشبعنى

من الخبز وكان مع نوح ثلاثة أرغفة من خبز الشعير فقدم الى عوج قرصا
منهن وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لوان مثل هذا الجبل خبزا
ما شبعني فكيف أشبع بهذا القرص فكسر له نوح ذلك القرص وقال له قل
بسم الله الرحمن الرحيم وكل فأكل القرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من
نصف الثاني ولم يقدران يأكل شيأ بعد ذلك فحمل عوج ذلك الخشب من
الكوفة الى الحيرة جميعه في نقلة واحدة فلما صار الخشب عند نوح قال يارب
وكيف أصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى الى جبرائيل بأن يعلمه كيف
يصنع السفينة فكان نوح يصنع الخشب الواحا ويلصق بعضها ببعض
ويسمرها بالمسامير الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاوس وذنبها كذنب
الديك ومنقارها كمنقار البازو اجنحتها كأجنحة العقاب ووجهها كوجه
الحمامة وجعلها ثلاث طباق وقيل سبع طبقات قال بن عباس رضي الله
عنهما كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة
ذراع ويروى أنه أقام في اعلها أربعين سنه فكان القوم يسخرون منه
ويقولون له يانوح قد تركت النبوة وصرت نجارا قال الكسائي كان القوم
اذا أتى الليل يطلقون النار في خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون
هذا من سحر نوح فلما أشرفت السفينة على الفراغ طلاها بالزفت والقير ثم
أوحى الله تعالى اليه بأن يسمر في جوانبها أربع مسامير وينقش على كل
مسمار منها عينا فقال نوح يارب وما فائدة ذلك فأوحى الله اليه هذه
أسماء أصحاب محمد وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين
فلا تصح السفينة الا ان تفعل ذلك ففعل نوح ما أمره الله به فصحت السفينة
ثم أنطقها الله فقالت جهارا والناس يسمعون لا اله الا الله اله الاولين
والآخرين أنا السفينة التي من ركبني نجا ومن تخلف عني هلك فقال نوح
تؤمنون الآن فقالوا ان هذا من سحرك يانوح ثم أوحى الله تعالى اليه أنه
قد اشتد غضبي على من عصاني فأمره الله ان يحمل معه قوت ستة أشهر
وان يعمل في السفينة خازن للماء العذب ثم أنزل الله انوح خرزة من الجنة

لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت الليل والنهار ومضى الساعات ثم ان نوح استأذن ربه بان يحج فاذن له بذلك فلما مضى الى مكة أرادوا القوم ان يحرقوا السفينة فأمر الله تعالى الملائكة بان يرفعوها بين السماء والارض فرفعوها والقوم ينظرون اليها فلما مضى نوح الى مكة وطاف بالبيت سبعا ثم دعى على قومه هناك فاستجاب الله دعائه فلما رجع نوح من مكة أنزل الله له السفينة الى الارض ثم أوحى الله تعالى اليه بان يصعد الى الجبل وينادى بأعلى صوته يامعشر الوحوش والطيور والهوم وكل شئ فيه روح هلموا الى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت دعوته الى المشرق والمغرب فاقبلت اليه الوحوش والطيور والدواب والهوام أفواجا أفواجا فقال نوح انى أمرت بان أحمل معى من كل زوجين اثنين ثم أمره بان يحمل معه الاشجار قاطبة وأن يحمل معه جسد آدم وحواء فوضعهما فى تابوت ثم أمره بان يحمل معه الحجر الاسود وعصاة آدم التى أنزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت والصحف والسمط وكان الذى دخل معه فى السفينة أربعين رجلا وأربعين امرأة فوضعهم فى الطبقة الاولى وفى الطبقة الثانية الوحوش والدواب والانعام ويروى ان آخر من دخل من الدواب الحمار وقد مسك ابليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح ان الحمار يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح ادخل يا ملعون فدخل الحمار وابليس معه فلما رآه نوح قال له من أذن لك فى الدخول فقال أنت أذنت لى ألست القائل ادخل ياملعون ومافى ملعون على الاطلاق غيرى ويروى أن نوح لما ركب فى السفينة نهى جميع من كان معه عن النكاح خشية من التناسل فضيق عليهم المكان فاطاعه جميع من كان فيها الا الكلب فانه نكح أنثاه فنمت الهرة لنوح عن الكلب فلام الكلب على فعله فانكر ذلك وعاد ثانيا وثالثا فقالت الهرة لنوح فى ذلك فدعى عليهما بالفضيحة فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ وصار لهما الفضيحة عند جماعهما وقيل فيهما

قالت الهـــــرة قولا * جمعت كل المعانى
أشتهى ان لا أرى الكلاب * ولا الكلاب يرانى

(ويروى) انه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا من ذلك الى نوح فاوحى الله اليه ان أعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فار وفارة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون فى جوانب السفينه فشكت أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنانير وهم القطط فصاروا يأكلونهم أكلا ذريعا حتى افنوهم عن آخرهم فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفار *(قال ابن وصيف شاه)* لم يكن فى ملوك مصر أغنى من سوريد ومما وقع له أنه رأى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كان السماء قد انقلبت على الارض حتى صارت كالجوبة وكانت الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضا تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الدنيا سوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستغيثون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما أصبح استدعى بالكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقصون أمرا الا بالنجوم والطوالع فاختلى بهم وقص عليهم هذه الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية تهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الارض فقال لهم الملك خذوا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا فى ذلك قالوا وجدنا القمر فى برج السرطان وهو مقارب للسماك فتكون فى أمر الطوفان وان هذه الآفة مائية سماوية فقال لهم أنظروا هل تلحق هذه الآية بلادنا فقالوا له نعم يأتى اليها وتقيم البلاد خراب مدة طويلة فقال لهم الملك فانظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن ما كانت عليه قالوا نعم تعود عامرة أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الاهرامات وقد جعل اساسها بمقدار ارتفاعها عن الارض وقال نجعلها لنا نواويسا وقبورا لاجسادنا ثم أنه نقل اليها اشياء كثيرة من الاموال والجواهر

وآلات

وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والاوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما يحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة ان هذا الطوفان لا يقيم كثيرا على وجه الارض بل نحو أربعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيه الهوى بتقدير وتدبير بالحكمة وادخر ما ذكرناه من الاموال وغير ذلك وقال ان كنا نجوا من هذا الطوفان نعود الى ملكنا ونجد أموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرامات قبور الاجساد لنا لتصونها من البلاء فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وارباب دولته هرما لتكون لاجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدة الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب وهى مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم نواويس من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا ان لهذه الاهرامات مكان ينفذ الى صحراء الفيوم وهى عن مسيرة يومين ومما حكى عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الازهر احد عشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح فوقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب الذى معنا وادليناه فى البئر فنفذ السلب الذى معنا جميعا ولم ينتهى الى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية الى القاهرة ولم نعلم أحدا من الناس بحالنا فبينما نحن فى الجامع بعد مضى اسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر قد دخل علينا وهو فى غاية الضعف فلما دخل من باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه ما كان

من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علوة أعطتنى ليانة فوجدتها من زبل الوطاويط فقدحت بالزناد الذى كان معى واوقدت شمعة ومشيت فى ذلك المكان فوجدت أشخاصا واشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانتفض الى الارض هباء منثورا فأخذت عكازه من يده ومشيت فاذا أنا بباب امامى ودهليز فأخذت أمشى فى ذلك الدهليز وقد زادنى الخوف والفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورؤسا وجماجما كبارا على قدر البطيخ الكبير وأنا أمشى فى ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى قدامى فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من نقب فرأيت منها ضوء الدنيا فأردت أن أخرج منها فلم استطع فحفرت بذلك العكاز التى كانت معى فاتسع ذلك النقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسى على وجه الارض فوقعت مغشيا على فلم أدرى اين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت وأى مكان أنا فيه قال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من النقب وجدت ذلك العكاز الذى معى ذهبا جيدا فلما أعمى على فقدته واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لى لا تطمع فى عود العكاز اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت الى القاهرة اه ﴿قال أبو الريحان البيروتى﴾ فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقى موكل به صنم من جزع أبيض وأسود وله عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة فاذا دنى منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخر الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح منه حتى يموت مكانه وأما الهرم الغربى موكل عليه صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسى من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فمن دنى منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها وأما الهرم الصغير المكسى بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه

حتى يموت قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الاهرامات وكل بها جماعة من الروحانية وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقى غلاما أمردا مصفر اللون وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربى امرأة عريانة بادية عن فرجها فتضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شيخا فى يده مجمرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم وذكر جماعة من أهل الخبرة انهم يروه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم من بعد وأما مانقله محمد بن عبد الحكيم ان أحد هذين الهرمين قبر لاغوذيمون والآخر قبر هرمس وكانا من حكماء اليونانيين وكان اغاذيمون أقدم من هرمس وكان الصابئة يحجون اليها من اقطار الارض ويحملون اليها الاموال الجزيلة من طريق النذر وكان وراء هذا الاهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى واما مانقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الاهرامات كساها الديباج الملون من اعلاها الى اسفلها وعمل لها عيدا بحضرة ارباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق وقد بنى فى ستين سنة فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الثلمة التى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كاللوح وبها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخره كتابة بالقلم القديم قال ولما دخل الاستاذ أبو الطيب مصر ورأى الاهرام أنشد يقول

أين الذى الهرمين من بنيانه ✽ ماقومه مايومه ما المصرع
تتخلف عن لاثار أصحابها ✽ حينا ويدركها الفناء فتصدع

واما ماقالت الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول القائل

أنظر الى الهرمين واسمع منهما ✽ مايرويان عن الزمان الغابر
وأنظر الى سير الليالى فيهما ✽ نظرا بعين القلب لابالناظر

لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان باول وباخر

وقال آخر

فأى غريبة وعجيبة * فى صنعة الاهرام للالباب

اخفت من الاسماع قصة أهلها * وقصت عن الابداع كل نقاب

فكانما هى كالخيام مقامة * من غير اعمدة ولا اطناب

مثل العرائس جردوا اثوابها * عنها ولم تنطق عن الاعجاب

وقال آخر

تحقق صدر الارض مصر * ونهداها من الهرمين شاهد

فواعجبا فكم افنت قرونا * على هرم وذاك الثدى ناهد

انتهى ومن هنا نرجع الى ما كنا فيه قال ثم أوحى الله الى نوح يا نوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة وكان سام أكبر اولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة وكان سام متزوجا بامرأة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام فقال لرحمة يا رحمة ان مبتدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيتى التنور قد فار فاسرعى الى من وقتك وأخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب فكانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله أكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح وأخبرته بفوران التنور فقال نوح لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما اعلمته رحمة أتى الى بيت ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور وقد ملا صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما رأى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى يا قوم النجاة النجاة فاتوا الى السفينة وكان عددهم أربعين امرأة ثم ان نوح قال لابنه كنعان يا بنى أركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر

الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقد أخبر الله عنه
أنه غير صالح قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل ان يصل الى
الجبل قال بن عباس لما فار التنور تفتحت أبواب السماء بالمطر من غير
سحاب واظلمت الدنيا ظلمات شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب
باجنحتها على وجه الشمس وكانت السماء تقول لولا الحد الذى حده الله
تعالى لغاص الماء الى الارض السابعة وكان الرجل يمشى فى الطرقات
والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة القائمة فى بيتها فينبع الماء من
تحتها وهو يفور ويغلى كغليان القدور وصار الماء ينبع من سائر اقطار
الارض فلما فار الماء فى مدينة امسوس وكانت يومئذ كرسى مملكة الملك
سوريد فلما سمع صريخ العالم ركب فى عظماء قومه ووقف على تل عالى
ليرى احوال الناس وهو متفكر فى هذا الماء فلم يشعر الا والماء يفور من
تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار فى قصره الا والماء صار له موج
عظيم كالجبال ولم يبق يظهر شئ من الارض قال وهب بن منبه كان مبتدأ
الطوفان من الكوفة وبها فار التنور واما نوح فانه صار فى السفينة هو
واهله وقد تقدم ذكر ذلك ويروى ان عوج بن عنق لما رأى هذه
الاهوال اتى الى السفينة فوضع يده عليها فقال له نوح ما تريد يا عدو الله
فقال له عوج لا بأس عليك يا نبى الله دعنى امشى مع السفينة حيث
مشت فأضع يدى عليها واستأنس بها من الفزع واسمع تسبيح الملائكة
فاوحى الله الى نوح لا تمنعنى من عوج ودعه يمشى مع السفينة حيث سارت
ثم ان نوح اغلق أبواب السفينة وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها
فسارت تمشى بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى لما طغى الماء
حملنا كم فى الجارية ويروى ان الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع
البيت المعمور الذى كان أنزله فى زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى
الماء رفعه الله تعالى الى السماء وسماه البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقا
من الطوفان فلما سارت السفينة أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا

ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته وكانت السفينة لا تمر بنوح على مكان حتى تنادي يا نوح هذا مكان كذا وكذا فطافت به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة سبعون ألف ملك يحفظونها من العذب المنزل فكانت تجري في الماء كجري القمر في الفلك فلم تمكن ساعة يسيرة الا ارتفع الماء فوق رؤس الجبال بمقدار أربعين ذراعا وعم الارض والجبال ولم يبق على وجه الارض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق ولم يبق مدينة ولا قرية الا ولم يبق لها أثر الا الاهرامات والبرابي فانها كانت محكمة البناء ﴿ومن النوادر﴾ الغريبة ما رواه الثعلبي في أخبار الطوفان ان امرأة حملت ولدها صغيرا مرضعا ولم يكن في القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها وهربت وصعدت الى جبل عالي لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء الى فمها رفعته بيدها الى اعلا رأسها فلما غمست بالماء جعلته تحت رجليها ووقفت عليه ساعة فطلب النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعا فأوحى الله الى نوح لو كنت أرحم أحدا من قومك لرحمت تلك الامرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلا فيقال اذا وقع الطوفان يضع الانسان ولده تحت رجله ﴿قال الكسائي﴾ اختلف جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الارض فمنهم من قال مكث على وجه الارض ستة أشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوما ونقل جماعة من أهل التوراة أن المطر من السماء ويفور من الارض ماء ولا زال كذلك أربعين يوما بلياليها وبعد ذلك أوحى الله الى الارض يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي ويروى ان الجودي جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه ﴿قال الثعلبي﴾ كان استواء السفينة على جبل الجودي في يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم فصامه نوح شكرا لله تعالى وأمر من كان معه بالصيام في ذلك اليوم شكرا على تلك النعمة ويروى ان الطير والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم ثم ان نوحا

أخرج ما بقى معه من الزاد فجمع منها سبعة أصناف من الحبوب وهى البسلة والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والرز فخلط بعضها فى بعض وطبخها فى ذلك اليوم فصارت الحبوبية من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهى مستحبة ثم فتح أبواب السفينة فرأى الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر فى الارض قوس قدح وقيل انه لم يظهر فيما قبل الا فى ذلك وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر معه أهل السفينة قاطبة ثم ان أهل السفينة صاروا لا يقابلون الشمس بأعينهم فشكوا ذلك الى نوح وقالوا لا طاقة لنا ان نقابل ضوء الشمس بأعيننا فأمرهم ان يكتحلوا بحجر الاثمد فى ذلك اليوم لتقوى أعينهم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال من اكتحل فى يوم عاشوراء لم يرمد فى سنته ثم ان نوح فتح أبواب السفينة كلها فدخلت الشمس ونفضت الطيور اجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الاشجار ثم ان عوج بن عنق لما رأى السفينة قد أرسيت تركها ومضى يخوض فى الماء حيث شاء قال الكسائى أول ما ظهر من الجبال فى الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وظهر مكان الكعبة وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت تحت الماء كما هى لم تتغير وسلم الاهرامات وسلم البرابى التى كانت بجهات الصعيد وهى التى بناها هرمس الاول واودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها ثم ان نوح أراد ان يعلم هل انكشف الارض أم لا فارسل الغراب ليكشف له خبر الارض فلما ذهب الغراب اشتغل بأكل الجيفة فابطأ بالخبر عن نوح سبعة أيام فدعى عليه فصار يمشى وفى رأسه الرعشة لا يستقر بمكان واحد ثم ان نوح قال لبقية الطيور من فيكم يأتينى بخبر الماء ولم يفعل كفعل الغراب فقالت الحمامة أنا آتيك بخبر الماء يا نبى الله فطارت وغابت ساعة ثم رجعت وفى فيها ورقة خضراء فلما رجعت الى نوح ورأى تلك الوارقة فى فيها فقال هذه الورقة من ورق الزيتون نعلم ان الماء لم ينكشف عن الارض ثم أقام بعد ذلك أياما فأرسل الحمامة فغابت ساعة

ثم عادت ورجلاها مختضبة بحمرة وسبب ذلك انه أول ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارة ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة فاختضب رجلاها من ذلك الطين الاحمر وتطوقت فدعى لها نوح وقال اللهم أجعل الحمام أبرك الطيور وأكثر من نسله وحببها للناس فما قامت السفينة على الجبل أربعين يوما حتى جفت الارض ونبت فيها الاعشاب من كل جانب فأوحى الله الى نوح ان أهبط بسلام منا وبركات عليك ثم ان الله أمر نوح بأن يطلق ما كان معه من الطيور والوحوش والدواب والهوام فاطلقهم أجمعين وتفرقوا في الفضاء كما كانوا في الاول ثم ان الله تعالى أظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا أولا ثم بعد ذلك أمطر مطر الرحمة فزحرج ماء الطوفان عن الارض فانه كان مالحا أجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرحمة من الله تعالى ﴿ ويروى ﴾ ان نوح لما خرج من السفينة رأى الارض بيضاء كأنها فضة فصار متعجبا من ذلك فأتاه جبرائيل وقال له هل تدري يا نوح ما هذا البياض الذى تره قال وما هو قال هذا عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدري ما هذه الصلصلة قال وما هي قال هذه اصوات السلاسل التي يسحبون بها قومك الى النار وهو قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فادخلوا نارا قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانين انسان عمر لهم قرية هناك وسماها قرية الثمانين فهي أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية أوقع الله فيهم الفنا فماتوا جميعا ولم يبق منهم أحد الا نوح وأولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكان عدتهم سبعة أنفس وهو قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فجميع العالم من نسل نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثاني ﴿ قال وهب بن منبه ﴾ كان مبتدأ الطوفان في رجب وكان انتهائه في أواخر ذي الحجة قال أبو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم ألفين وماتتان وأربعين سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وسبعون سنة ﴿ ومن النكت ﴾ اللطيفة ما نقله الثعلبي قال لما

استقر نوح فى الارض فأوحى الله اليه بان يغرس الاشجار التى كانت معه فغرسها فى الارض وكان أوّل ما غرس شجرة الآس وأراد أن يغرس شجرة العنب فلم يجدها فقال لولده سام يابنى ما فعلت بشجرة العنب فقال لا أعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يانوح ان أبليس قد سرقها قال نوح لابليس أعد شجرة العنب التى سرقتها فقال أبليس ما اعيدها لك حتى تشركنى بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فابى أبليس من ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضى بذلك قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتاب حياة الحيوان لما غرس أبليس شجرة العنب فى الارض ذبح عليها طاوسا فشربت من دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما أثمرة ذبح عليها أسدا فشربت من دمه فلما زينت أعنابها ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر يعتريه هذه الاوصاف الاربعة وذلك أوّل ما يشربها وتدب فى اعضائه فيزهو كما يزهو الطاوس فاذا انتشا صفق ورقص كما يرقص القرد فاذا قوى عليه السكر عربد وزمجر كما يفعل الاسد فاذا انحدر منه السكر ينعس ويطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الاربعة لاتحول من شارب الخمر قط

وقال فى المعنى

كرمها من عهد نوح عصيرا ✱ فيه سر لسرور الانفس

ليس قولى بحديث مفترى ✱ لم يزل شاربها فى نفس

قال الكسائى أوّل من عصر الخمر ابليس وأوّل من صنع الطار والمزمار وآلات الطرب ✱ذكر ما كان من أخبار الارض✱ بعد الطوفان قال الكسائى لما استقر نوح فى الارض قسم فى الجهات بين أولاده الثلاث وهو سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان من نسله الروم وفارس والعرب وكان يرى فى وجهه سام نور النبوة وأضاف اليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان أكبر اولاده وأما حام فاستقر بالجهة القبلية مع الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشة

وأما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم ان الله تعالى أوحى الى نوح بأن يدفن جسد آدم وحوى فى المكان الذى أخذهما منه ففعل ذلك ثم أمره بأن يرد الحجر الاسود الى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى فى عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت عليه فى الاول قال كعب الاحبار لما كبر سن نوح وقرب أجله أراد أن يدعو أولاده وأولاد أولاده ويسأل الله أن يرزقه الاجابة فى دعائه فصعد الى جبل عال ونادى ابنه ساما فجاء وجلس بين يديه فوضع نوح يده عليه وقال اللهم بارك فى سام وفى ذريته واجعل فيهم النبوة والملك فكان من نسل سام أرفخشد فجاء من أولاده الانبياء والصلحاء ثم نادى ابنه حام فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل اولاده أذلا وسود وجوههم واجعلهم عبيدا وخدما لولد سام وقيل كان لحام ولد يقال له مصرايم فسمع دعاء جده نوح فجاء اليه وقال له ياجدى قد أجبتك اذ لم يجبك أبى فوضع نوح يده على مصرايم وقال اللهم كما أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته واسكنهم الارض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نيلها أفضل الانهار فسكن مصرايم بمصر وبه سميت فكان من ذريته القبط ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله شرار الخلق فكان من نسله يأجوج ومأجوج والترك كما تقدم فلما دعا نوح على ابنه حام فواقع زوجته فى تلك الليلة فحملت ولدين ذكرا وأنثى فرأى حام لونهما اسود فأنكرهما وقال ماهما منى فقالت زوجته بلى هما منك ولكن لحقتنا دعوة أبيك فتركهما وابناهما وولى هاربا على وجهه خجلا من الناس فلما كبر أولاده خرجا فى طلب أبيهما حام فبلغا الى قرية بساحل بحر النيل ثم ان الغلام الاسود وثب على أخته فحملت وولدت غلاما وجارية اسودين فتناكحوا وتناسلوا فكان من نسلهما جميع السودان الى الآن قال الكسائى ان القرية التى نزلوا بها تسمى النوبة وأما يافث فانه سار الى بلاد الشرق فتزوج هناك فولدت له خمسة من الاولاد وهم جوهر وبترس

وميا شيخ وسناف وسقويل فمن نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزرج ومن نسل مياشيخ الاعاجم ومن سناف يأجوج ومأجوج ومن نسل سقويل الارمن وأما سام فانه ولد له من الاولاد خمسة ارفخشد جاء من الانبياء والصلحاء ومن نسله عرب ربيعة ومضر ولباد من نسله قبائل اليمن وحاشم جاء من نسله أقوام بأرض اليمن يقال لهم النسانيس وكان لهم فى وجوههم عين واحدة وأذن واحدة ورجل واحدة وهويل جاء من نسله العمالقة والعادية وآدم جاء من نسله قبائل ثمود وعاد وشمليخا كان منقطع النسل عقيم (انتهى له ذلك) قال الشعبى ان سام عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت فكان نوح يسأل الله أن لا يموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن فى مدينة نوى من أعمال حوران قال وهب بن منبه ان نوح عاش بعد الطوفان مائتى سنة وحج بعد خروجه من السفينة قال وهب بن منبه بعث الى قومه وهو ابن مائتى وخمسين سنة ولبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما كما أخبر الله فى القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذى كتبه الله له جاء اليه ملك الموت وقال له السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام من أنت فقد أرعدت قلبى بسلامك فقال أنا ملك الموت جئت لاقبض روحك فلما سمع نوح ذلك تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال له ملك الموت ما هذا الجزع يا نوح ألم تشبع من الدنيا وأنت أطول الناس عمرا فقال نوح انما وجدت الدنيا دارا لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ثم ان ملك الموت ناوله كأسا من شراب الجنة وقال له اشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشربه فلما شربه خر ميتا صلوات الله تعالى عليه فلما مات شرع أولاده فى تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فى قرية قريبة من الكرك ويقال ان عند قبره عين ماء تجرى وقد قال القائل

نح على نفسك يا ✽ مسكين ان تنوح

لتموتن ولو عمرت * ما عمر نوح

﴿ذكر قصة هود عليه السلام﴾

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الآية قال كعب الاحبار الذى أتى بعد نوح من الانبياء وهو نبى الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوص من أولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الاحقاف وهى جبال من رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجلجان وكان طوله مائة ذراع اذا قام يغطى الشمس عن الارض واذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه قال وهب بن منبه وكان طول الرجل من قوم عاد مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا وكانوا لا يبلغون الحلم الا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الا ربعمائة سنة ولم يمت فيهم ميت ولا يرى عندهم جنازة وكان رأس كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا أقواما جبارين يعبدون الاوثان من دون الله قال بلغنى أن ستين رجلا من قوم موسى استظلوا فى قحف رجل من العمالقة قال زيد بن أسلم رأيت ضبعا وأولاده أوكروا فى عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من أضراسه فجاء نحو عشرة ارطال قال وهب بن منبه فلما زاد طغيان هؤلاء القوم بعث الله اليهم هودا وكان لهود من العمر أربعون سنة من بعثته فنزل اليه جبرائيل وقال ان الله قد بعثك الى قوم فانذرهم واعلمهم انى قد أمهلتهم دهرا طويلا وأعطيتهم من القوة مالم أعطها لاحد من قبلهم وجعلتهم ملوكا على اسرة من الذهب وجعلتهم أطول الناس أعمارا فامض اليهم وادعهم الى التوحيد ويرجعوا عن عبادة الاوثان فتوجه اليهم هود وهم فى يوم عيدهم وقد اجتمعت هنالك الملوك وجلسوا على اسررة الذهب وجلس الملك الجلجان على سرير من الذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا واذا بصوت هود وهو يقول ياقوم اعبدوا الله ربى وربكم مالكم من اله غيره وأن هذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله فانها هى التى غرقت قوم

نوح من قبلكم فلما رآه الملك الجلجان قال له ويحك يا هود أتظن أنك مع
جوعنا وشدة بأسنا وقوتنا تغلبنا بهذه الكلمات أما تعلم أن فى كل يوم وليلة
يولد لنا ألف ولد فلما ضج هود وهو يدعوهم الى التوحيد وهم لا يسمعون
منه فسأل الله أن يعقم نساءهم فلم تحمل منها امرأة فى تلك السنة فشكوا
ذلك الى ملكهم الجلجان وقالوا ان هودا أعقم نساءنا ونخشى أن يكون
صادقا فيما يقول ثم ان الله تعالى أوحى الى هود أن أخبر قومك أن يؤمنوا بى
والا أرسلت عليهم ريحا عقيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوه ضربا شديدا حتى
غشى عليه من الضرب فلما أفاق ضربوه بالحجارة فأقام يدعوهم سبعين
سنة وهم يرجمونه بالحجارة فلما آيس منهم قال الهى أنك تعلم انى بلغت
رسالتك الى قوم عاد وهم على كفرهم فى ضلال مبين ثم ان الله تعالى
أمسك عنهم المطر سبع سنين فلما أجدبت أرضهم ماتت مواشيهم وعزت
عندهم الاقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان ذلك الزمان اذا قحطوا
توجه منهم جماعة الى مكة ويدعون الله عند البيت الحرام فيسقون
فى شهرهم ثم ان قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا
الى مكة وأخذوا معهم كسوة للكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف
فرق تلك الكسوة ونقضها عن البيت ثم طافوا بالكعبة ودعوا الى الله
واستسقوا لقومهم فسمعوا قائلا يقول هذه الابيات

قبح الله وفد عاد أتونا ❊ ان عادا أشر أهل الجحيم
سير وا وفدهم ليسقون غيثا ❊ فيسقون من شراب الحميم

فلما دعوا الله تعالى أرسل اليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة
حمراء وواحدة سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة
فاختاروا كبيرهم السوداء وظن أنها محشوة بالمطر فساقها الله الى ديارهم
فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا قال وهب بن منبه ان
الله أوحى الى ملك الريح بأن يفتح أطباق الريح العقيم من تحت الارض فلما
عاين قوم عاد ذلك خرجوا الى الصحارى هاربين على وجوههم فلما ثارت

الريح العقيم قلعت الاشجار بعروقها وانهدمت الدور على أهلها واستمر هذا الامر على القوم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا الى البيوت ودخلوا فيها فدخل اليهم الريح فأخرجهم منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا الى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا فجاء الريح فاقتلع منهم نسمة أنفس ممن هو أعظم خلقة وأقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل في الجو نحو عشرين ذراع ثم يضرب به الارض فيصير كأنه أعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين أثواب الرجل ويحمله ويضرب به الارض فيخر ميتا ثم امطر الله عليهم الرمال المسمومة بالنار فاستمروا على ذلك أربعين يوما وأبقى الله أرواحهم في أجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم أنينا من تحت الرمال ويروى أن هودا لما خرج الريح العقيم الى الارض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الانبياء اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم الا هودا ومن آمن معه لا يصيبهم من الريح شئ فكان المؤمن يجلس والى جانبه الرجل الكافر فيخط بينهما خطا فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا ويهب على الكافر سموما صعبا وأما ملكهم الجلجان فانه عاش بعد فناء قومه أياما حتى نظر الى مصارعهم أجمعين ثم جاء الريح فدخل في فمه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبي الله هود ومن معه من المؤمنين ثم أرسل الله عليهم طيرا سودا فنقلت أجسادهم وألقتهم في البحر المحيط * ويروى ان رجلا أتى الى الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له من أي أرض أنت أيها الرجل فقال له من حضرموت بأرض اليمن فقال له أعندك خبر من قبر نبي الله هود فقال الرجل نعم خرجت في أيام شبابي ومعي جماعة من أصحابي فسرنا حتى أتينا الى جبل عالي وفيه مغارة فيها نقب ضيق فسرنا فيه بعسر الى أقصى ذلك المكان واذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبلى ولم تتغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل

واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبي الله بعث الى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم احد انتهى

﴿ذكر قصة شداد بن عاد﴾

قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح (وكان) عاد ابن شداد كثير الاولاد قيل كان له أربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر ألف سنة (قال) الكسائي لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة أولاد شداد وشديد وارم وكان شداد أكبر أولاده فخضعت له الرقاب لما ملك بعد أبيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الارض بالطول والعرض وقتلهم وملك أرضهم وديارهم فصار ملك الدنيا من مشرقها ومغربها (قال) وهب بن منبه لم يملك الدنيا بأسرها غير أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود والاسكندر ذو القرنين وأما الكافران فهما شداد بن عاد والنمرود بن كنعان وقيل بخت نصر والله أعلم وقيل في المعنى

كم سمعنا بملوك هلكوا ❊ ملكوا الدنيا وما قد ملكوا

كدر الموت عليهم عيشهم ❊ تركوا الدنيا وما قد تركوا

﴿قيل﴾ للامام على رضي الله عنه صف لنا الدنيا فقال وأي شئ بها أصفه لكم ❊ دار أولها عناء وآخرها فناء ❊ حلالها حساب ❊ وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ❊ ومن افتقر فيها حزن ﴿وقال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء وقد قيل في المعنى

والله لو كانت الدنيا بأجمعها ❊ تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا

ما كان من حق حر أن يذل لها ❊ فكيف وهي متاع يضمحل غدا

﴿قال﴾ الكسائي ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التي أنزلت على الانبياء فكان كلما مر عليه سماع أوصاف الجنة فترتاح له نفسه تخطر بباله أن يجعل له في الدنيا جنة مثلها وقد قيل في المعنى

أحببتكم من قبل رؤياكم * لحسن وصف عنكم قد جرا
وهكذا الجنة معشوقتي * لحسنها من قبل أن تبصرا

(ثم) ان شدّاد أمر بعض وزرائه وكان له ألف وزير أن يجمع له الحكماء والمهندسين وأمرهم أن ينظروا له أرضا واسعة طيبة كثيرة الانهار والاشجار ليبني له جنة عظيمة فتوجه الوزير بمن معه من أهل الخبرة وساروا في الارض فلما وصلوا الى عدن من نواحي اليمن فوجدوا هنالك أرضا على هذه الصفة فعند ذلك أخبروه بها فوجه اليها البنائين والمهندسين فاجتمعوا عند الارض فوجدوها وخطوها مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا أساس تلك المدينة وبنوا فيها الرخام الجزع وأظهروه من جوانبها مقدار النصف وأخبروه بذلك فقال لوزرائه * ألستم تعلمون اني قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال أريد أن تجمعوا الى جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجواهر واللآلي واليواقيت والمسك والكافور والزعفران وغير ذلك من الاصناف النفيسة فجمعوا له ما في بلادهم وما كان عندهم وما كان في أيدي الناس وأرسلوا الى سائر الاقطار وأحضروا ما كان فيها من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك ويتعاملون بها في كل جهة فلما أحضروا الجميع أخذوا يجعلون من الذهب لبنا ومن الفضة لبنا ويبنونه فوق ذلك الرخام حتى أتموا جوانبها فلما أحاط ذلك الصور بالمدينة أخذوا يجعلون في وسطها غرفا وقصورا على صفة الصور من الذهب والفضة ويجعلون لها قوائما من الزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر وجعل تلك القصور والغرف تشرف على أشجار من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والانهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور واحكموا ذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التي لم يكن في الدنيا مثلها بل ولا في الدنيا مثل بعضها قال الكسائي كان مدة عمارة هذه المدينة في ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها أخبروا الملك بذلك

فامر

فأمر الوزراء والامراء والحجاب بأن ينقلوا اليها الفرش الفاخرة والآنية الفاخرة فأقاموا ينقلوا ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك شداد وأركب نساؤه وخدمه ونساء وزرائه وامرائه وحجابه في هوادج من الذهب المتقنة بصنائع المهندسين فلما وصلوا الى باب تلك المدينة واراد الملك الدخول أولا واذا بملك من الملائكة ارسله الله الى شداد فقال الملك ياشداد ان أنت أقررت لله بالوحدانية مكنتك من الدخول وان لم تقر لله بالوحدانية والا أخذت روحك في هذه الساعة فلما سمع شداد ذلك الخطاب طغى وكفر وفجر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا أجمعين عن آخرهم ولم يدخل أحد منهم الى تلك المدينة ﴿قال﴾ وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة على وجه الارض وقد قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها وقد اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا ﴿قال﴾ السدي ان هذه المدينة التي بناها شداد بن عاد وهي باقية الى الآن وقد دخلها رجل اعرابي يقال له عبد الله بن قلابة وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ثمانية وأربعين من الهجرة النبوية انتهى ما أوردناه من أخبار شداد بن عاد باختصار

﴿ذكر قصة صالح صلى الله عليه وسلم﴾

قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا الآية وهو صالح بن كانوك قد بعثه الله الى قبيلة ثمود ﴿قال﴾ السدي ثمود اسم بئر كانت بين أرض الحجاز والشام ﴿قال﴾ ابن اسحاق لما أهلك الله قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت أبوابا من الخشب مصفحة بالحديد وقد أوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال وقد قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد الآية فلما مكثوا في الارض طغوا وخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا ﴿قال﴾ العزيزي قد كان كانوك أبو صالح في خدمة الاصنام ففي بعض الايام سجد للصنم الكبير فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب

كانوك من ذلك فأنطق الله الصنم وقال له يا كانوك ان في ظهرك نبيا يبعثه الله الى قبيلة ثمود فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى وادي كثير الاشجار والمياه فلما أصبح كانوك تمشي في ذلك الوادي فنظر الى جبل عالي وفيه غار فدخل في ذلك الغار فالقى الله عليه النوم فنام في ذلك الغار نحو مائة سنة فكان الملك يطلبه في كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام خادما غيره فكانت زوجة كانوك تبكي عليه ليلا ونهارا فبينما هي تبكي واذا بغراب ينعق على الباب فخرجت اليه فقالت له أيها الطائر ما أحسن صوتك فأنطق الله لها ذلك الغراب فقال لها أنا الذي بعثني الله الى قابيل ابن آدم لما قتل أخاه هابيل لاريه كيف يواري أخاه فقال لها أيضا مالي أراكي باكية حزينة فقالت له لقد فقدت زوجي من مدة مائة سنة فقال لها الغراب أتحبي أن أمضي بك اليه فقالت ان ذلك عجيب فقال الغراب أتعجبين من أمر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشي والغراب يطير قدامها فخفف الله عليها الطريق وهي سائرة في جوف الليل حتى وصلت الى ذلك الوادي الذي فيه زوجها كانوك ثم ان ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلي فدخلت فرأت زوجها وهو نائم فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته فتعانقا فواقعها في تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ فوقع في الحال ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشي والغراب معها حتى دخلت الى بلد ثمود وكل ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا وكان وضعه في ليلة الجمعة من شهر المحرم ففي ليلة وضعه أصبحت جميع الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غما شديدا وقال من أنكس أصنامنا فدخل ابليس جوف الاصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولود يقال له صالح يفسد عليكم دينكم فلما كبر صالح وانتشى فكان أجمل أهل زمانه فصيح اللسان بالعربية فلما أتى عليه من

العمر أربعون سنة أوحى الله اليه أن يدعو قوم ثمود الى توحيد الله المعبود
ويمنعهم عن عبادة الاصنام فعند ذلك ذهب الى القوم فرآهم مجتمعين
في يوم عيدهم وقد نصبوا أصنامهم على اسررة من ذهب فتقدم صالح
ووقف بين يدي الملك وقال له اعلم أني قد جئتكم رسولا من عند رب
العالمين أدعوكم الى توحيده فقال له الملك يا صالح ان قبائل ثمود لا ترضى
أن يكون مثلك رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء
ثم ان الملك أقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا انه لكذاب أشر ثم ان
صالح بنى له مسجدا بين قبائل ثمود فكان يتعبد في كل يوم ويخرج الى
قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم على ما هم عليه من الضلال
فأقام صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم ان الله أعقم نساءهم وأبقارهم
وأغنامهم وجفت أشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتله صالح
ففر منهم الى جبل من الجبال في مغارة فرأى في تلك المغارة سريرا من الذهب
وعليه الفرش الفاخرة ورأى جوهرة أضاءت منها المغارة فتعجب صالح من
ذلك ونام على الفرش والسرير فكانت تلك النومة نحو أربعين سنة ولا
يعلم أحد الى أين توجه فلما انتبه من منامه أوحى الله اليه أن انطلق الى قوم
ثمود وادعهم الى التوحيد فأقبل صالح على القوم وهم مجتمعون في يوم
عيدهم والملك جالس وحوله قومه وأرباب دولته فناداهم صالح يا قوم أن
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فلما سمعوا صوته تساقطت الاصنام فقال له
الملك أوليس الذي كنت فينا بالامس وقد غبت عنا منذ أربعين سنة
فلا نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح ان ربي على
كل شئ قدير وهذا هين على ربي فقال القوم تكون الناقة ذات ألوان
أحمر وأصفر واسود وأبيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك
ويكون مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد القاصف ويكون لها
فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها أحلى من العسل ويسكر مثل الخمر
ويكون في الصيف باردا وفي الشتاء حارا ما شرب به مريض الى شفي من يومه

والافقير الا ويستغني وتدخل علينا في كل يوم عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه وتحلب له اللبن من غير احلاب وانها لا ترعى من مراعينا ولا تحفل من مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم أنا اريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة يكون بدنها من الذهب وجلاها من الفضة ويكون رأسها من الزبرجد الاخضر وأدناها من المرجان ويكون موضع سنمها قبة من الدر ولها أربعة أركان مرصعة بانواع اليواقيت فاذا أخرجتها لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال الملك بل تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظام وجلد وشعر ويكون لها سنم قدر القبة ويكون لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فان أنت أخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك ثم ان صالحا قال يا قوم قد اشرطتم على شرائط كثيرة وأنا أشرط عليكم أن لا يركبها احد ولا يرميها بحجر ولا سهم ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلها فقالت القوم كلهم نعم فلما أخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يده الى السماء ودعى الله تعالى ثم تقدم الى الصخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وعنت مثل أنين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التي أرادوها وفصيلها يتبعها وهي تنادي لا اله الا الله صالح رسول الله قال ابن عباس رضي الله عنه كان طول الناقة سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف حملة أكل من العشب فلما نظر الملك اليها قام من ساعته وقبل رأس صالح وقال أشهد أن لا اله الا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلها تمشي الى الجبال والاودية وترعى فاذا أمسى المساء دخلت الى المدينة وطافت على دور القوم تسلم وتعطي اللبن فكان القوم يخرجون بالاواني ويضعونها تحت ثديها فتمتلىء الاواني فاذا اكتفوا جميعهم فتأتي عند مسجد صالح وتقيم هي وفصيلها واستمرت على ذلك ثم ان مواشي القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان في القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام

وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع يجتمع مع شخص من أصحابه يقال له قيدار فاجتمع مصدع وقيدار في بيت قطام على سكر فأحضرت لهما خمرا صافيا فطلبا منها الماء ليمزجا به فلم تجد ماء فطلبته من جيرانها فلم تجد فسألا عن السبب فقيل ان الناقة تشربه فعزم مصدع وقيدار على عقرها ثم ان مصدع أقبل على رهط وقال لهم انى عازم على عقر الناقة فهل تعينونى فقالوا نعم وذلك قوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض قال فكمن قيدار للناقة فى مكان بالجبل فلما أقبلت الناقة وهى ترعى فقربت من قيدار ضربها بسيف فقتلها ثم طلب فصيلها فهرب الى المكان الذى خرج منه فلما عقروا الناقة وشاع ذلك أتوا وصاروا يقطعون لحمها فلم يبق بيت الا ودخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما أتى صالح وكان غائبا فأخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لا ذنب لنا فى عقر الناقة وانما عقرها قيدار فقال لهم صالح انطلقوا فان أدركتم فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فرأوه قد اختفى فى الصخرة التى خرج منها فقال صالح لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال السدى وكان عقر الناقة يوم الاربعاء ثامن عشر صفر فقال صالح للقوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وعلامته فى اليوم الاول تحمر وجوهكم وفى الثانى تصفر وفى الثالث تسود فلما رأوا العلامات قد ظهرت فى وجوههم فهموا بقتل صالح فهرب منهم واختفى فى بيت كبير القوم فجاء اليه القوم وقالوا قد دخل عندك صالح فقال نعم غير انى لا أسلمه لكم لانه فى أمانى ثم أوحى الله الى صالح بأن يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح هو ومن معه من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما أصبح قوم ثمود فى اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا أكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الاحد ثانى عشر صفر أتتهم صيحة من السماء فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا أجمعين كبير وصغير

وهوقوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثمين ثم توجه صالح من فلسطين الى مكة وصار يبكي على الناقة ليلا ونهارا فأتى اليه جبرائيل و بشره ان الله تعالى يبعثها يوم القيامة وتكن راكب على ناقتك فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى ان مات وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة قال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبيا منهم هود وصالح واسماعيل عليهم السلام انتهى ﴿ذكر قصة أصحاب الرس﴾ قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس الآية قال السدى أصحاب الرس كانوا بقية قوم ثمود وهم أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد الذين ذكرهما الله في القرآن العظيم قال السدى ان البئر المعطلة بأرض عدن وكان أهل تلك المدينة يستقون منها الليلا ونهارا وكان عليها نحو سبعين قربة بسبعين دلو وعليها رجال موكلون بها وعندها حياض للورد فعند ذلك عبدة الاصنام البقية من قوم ثمود قد بعث الله لهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم الى توحيد الله فلم يجيبوه فلما شدد عليهم قتلوه وطرحوه في تلك البئر فلما طرحوه غار ماؤه فهلك أهلها من العطش وهلكت البهائم اذلم يكن غيره فسماه الله البئر المعطلة وأما القصر المشيد فهو قصر بناه شداد ابن عاد بأرض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور استملكه الجان فلم يقدر أحدا من الناس يدنو امنه على مقدار ميل لما يسمع فيه من أصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهارا قال الكسائي أصحاب الرس كانوا بأرض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات أشجار وأنهار وقرى عامرة يسكنون بها طائفة من أصحاب الرس يعبدون الاصنام وطائفة يعبدون النار ﴿قال﴾ السدى انما أهلك الله أصحاب الرس لانهم كانوا يأتون النساء في أدبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة بن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فصاروا حجارة سودا حتى بضائعهم ومواشيهم ﴿قال﴾ السدى ان ذوالقرنين لما طاف البلاد ودخل الى مدينة الرس فرأى ملكها وأهلها ونساءها وأطفالها ودوابها وبضاعتها

واشجارها وفا كهتها كلهم حجارة سوداء ﴿قال الكسائي﴾ وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوى اليه العنقا بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطى عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها أربعة أجنحة اثنان طوال واثنان قصار وكان ريشها ذات ألوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير أو الفيل وما أشبه ذلك بمنقارها وتطير به الى الجبل الذى تأوى اليه فلما تزيد منها الاذى صارت تخطف الاطفال الصغار من بنى آدم وتصعد بهم الى الجبل فتزق بهم فراخها فشكى أهل المدينة الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقا وقال اللهم اقطعها واقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هى وفراخها ولم يبق لها وجود وقد أنكر بعض العرب وجود العنقا وقال انما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل فى المعنى

انى اختبرت بنى الزمان فما ارى ❊ خلا وفيا للنوائب اصطفى
فعلمت ان المستحيل ثلاثة ❊ الغول والعنقا والخل الوفى

انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه السلام﴾ روى وهب بن منبه ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ابن تارخ بن ناخور ﴿قال الحافظ السهيلى﴾ وكان آزر عم ابراهيم ولم يكن أباه واسم أمه ليوثا وكانت مؤمنة تكتم ايمانها وكان مولوده ببلاد حوران ﴿وقيل﴾ بقرية تسمى برزة من قرى دمشق فى مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب ﴿قال السدى﴾ كانت الكهنة تخبر النمرود انه سيولد فى هذه السنة مولود ويكون هلاك النمرود على يديه فأمر بذبح كل مولود يولد فى تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارسا بسبب ذلك ﴿قالت الرواة﴾ ان سام وحام ويافث أولاد نوح عليه السلام فكانت النبوة فى أولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة فى أولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر فى أولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش

وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمرود المذكور
﴿قال﴾ وكان كنعان المذكور قوى البطش مولعا بالصيد واذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرهما من شدة صيحته فتزوج بامرأة فحملت بالنمرود فلما استوفت أيام حملها ولدته فقال لها أبوه كنعان أنه ولد ميشوم فاقتليه أو اطرحيه فى الفلاة ليموت ﴿قال﴾ فأخذته وطرحته فى الفلاة بين بقر ترعى فنفرت البقر عنه وكلما أبصره وحش فر منه فجاءت اليه أمه بعد ذلك فحملته وأرمته فى نهر وظنت أنه قد غرق فأخرجه الماء الى البر فلما وسخر الله له نمرة ترضعه فرأوه أهل قرية فحملوه وربوه وسموه النمرود فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع اليه خلق كثير فبلغ خبره الى أبيه كنعان فجمع عليه الجيوش وسار كنعان بمن معه حتى أدرك ولده النمرود فلما أبصر النمرود تلك الجيوش القادمه صف جيوشه وتقدم أمامهم ليكشف الخبر التى قد ظهر له فلما أقبل كنعان بجيوشه حمل النمرود فيما معه ووقع القتال فكسر النمرود جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطلب النمرود فقتل النمرود أباه كنعان وهو لا يعلم أنه ابنه وصارت المملكة بيد النمرود وصار يغزو ملوك الارض ويظفر بهم حتى ملك شرق الارض وغربها وكان يعبد الاصنام وأخبرته الكهان بأمر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
﴿قال﴾ وقالت الكهنة للنمرود ان المولود الذى أعلمناك به قد حملت به أمه فى هذه الليلة وكانت أم ابراهيم عليه السلام اذا مرت بين الناس فلا يعلمون بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما فى بطنها من الريح فلما أخذها المخاض دخلت الى المغارة ووضعته فوجدته أحسن الناس والنور يلمع من جبينه وفى ليلة ولادته وقعت الاصنام وطارت التيجان عن رؤسها ووقعت شرفات قصر النمرود الى الارض
﴿ثم ان أم ابراهيم﴾ عليه السلام سدت عليه باب المغارة ومضت الى بيتها ثم أتت اليه بعد سبعة أيام فوجدته يشرب من ابهامه لبنا ومن أصابعه عسلا وزبدا فتركته ومضت وصارت تتردد اليه سنة كاملة وهو فى المغارة

ويشب فى كل شهر كايشب الطفل فى سنه فلما خرج من المغارة فكان يقاس بابن اثنى عشر سنة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ورجع عن اعتقاده فلما أفل علم أنه مخلوق أيضا فلما رأى الشمس قال هذا ربى هذا أكبر يعنى أكبر من النجوم ومن القمر فلما مالت الى الغروب قال ان هذه الاشياء كلها لا تصلح أن تكون الهنا فعند ذلك قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين (ثم جعل) يصيح ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين (فسمعت) الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمرود من ذلك (قال) فخرج ابراهيم يريد أباه وأمه فجاءه جبرائيل وأدخله على أبيه وأمه فوثب اليه أبوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لامه من ربك فقالت أبوك ومن رب أبى قالت النمرود قال ومن رب النمرود فنهره عن ذلك فلم ينتهى وهو يقول لا اله الا الله هو ربى ورب كل شئ (فعند ذلك) بكى أمه وأبوه عليه خوفا من النمرود فقال لهما لا تخافا على منه أنا فى حفظ من حفظنى صغيرا ويحفظنى كبيرا فخاف أبوه من النمرود وان يغمز عليه أحد فجاء الى النمرود وقال له أيها الملك ان المولود الذى كنت تحذره هو ولدى قد ولد فى غير دارى ولا يعلمنى حتى الآن قد جاءنى وقد أخبرتك به فافعل به ما تريد ولا تلومنى بعد ذلك فقال النمرود ائتونى به فأخذوه من عند أمه وحملوه الى النمرود فرآه النمرود وتميزه ثم قال احبسوه الى غد فلما جاء الصباح زين النمرود مجلسه وصف جنوده وقال ائتونى بابراهيم فأتوا به فنظر ابراهيم يمينا وشمالا وقال ياقوم ما تعبدون فذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون فقال له النمرود يا ابراهيم أدخل فى دينى وما أنا عليه فانا الذى خلقتك ورزقتك فقال ابراهيم كذبت يانمرود بل الذى خلقنى فهو يهدينى والذى هو يطعمنى ويسقينى الآية (قال فبهت النمرود) وبهت الناس ووقع فى قلوبهم محبته من حسنه وجماله والطافة حديثه فعند ذلك

التفت النمرود الى ابراهيم وقال له يا ازر ولدك هذا صغير لا يدرى ما يقول ولا يجوز له ان يكلمني في قدري وعظم ملكي ان أعجل به فخذه اليك وأحسن اليه وحذره بأمي عسى يرجع مما هو عليه فأخذه أزر بيده الى أمه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة ويقول له خذ هذه الاصنام وبعها الكبير بكذا والصغير بكذا فكان لا يصغي لقول أبيه بل يقول كما قال الله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الآية وكان أبوه يقول له كما قال الله تعالى لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ﴿قال وكان ابراهيم﴾ يأخذ الاصنام من أبيه ويذهب بها والحبل بأرجلها ويجرها خلفه ويقول من يشتري من يضره ولا ينفعه فكانت الناس تنظره ولا تجسر عليه بالنهي عن ذلك لحرمة أبيه أزر عندهم ﴿قال فلما﴾ مضى على ابراهيم من العمر سبعة عشر سنة وخالط الناس فقالوا له أمض معنا الى العيد عيد الهتنا وكان للاصنام بيت مبني بالرخام الابيض والاخضر وفيه ثلاث وسبعون صنما وهم جالسون على كراسي من ذهب وكان كبير هذه الاصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وله عينان من الياقوت الاحمر والاصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما ويضعونه بين الاصنام في يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون ان الاصنام أكلته فيفرحون لذلك ويقولون راضية علينا بأكلهم ﴿قال﴾ فصنعوا القوم الطعام ووضعوه عند الاصنام على المائدة وخرج القوم الى الصحراء للعيد الا أبراهيم فانه لم يخرج معهم فقال لهم اني سقيم فقالوا اتركوه فلعل الطاعون قد أصابه فلما تخلف ابراهيم عنهم أخذ فاسا فكسر تلك الاصنام كلها الا الصنم الكبير فانه لم يكسره بل علق الفاس برقبته ومضى ابراهيم فلما رجعوا القوم الى الاصنام فوجدوها مكسرة والفاس معلق برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له أبراهيم فقال النمرود ائتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر ابراهيم قال له النمرود أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم

قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون فقال ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله فكابروا عند ذلك وقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ﴿قال السدي﴾ فلما أجمع وزرائه على حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بجمع الاحطاب على البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلا زالوا يجمعونها الى مدة ثلاث شهور ثم أطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كادت ان تهلك أهل المدينة من شدة النار والدخان فكان بعض الناس يتزلون ويختبون في الاسربة من شدتها قال وكانت النار في قرية يقال لها الغوطة وحر النار وصل الى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقوا ابرهيم فيها من حرها ولم يجسر أحد ان يتقدم فيلقي ابراهيم فيها فجاء ابليس اللعين على صورة رجل وقال لهم أنا أصنع لكم منجنيقا وترموا ابراهيم به وكان ابليس قد رأى مجانيق جهنم المعدة للكفار في أودية النار فلما صنع ابليس المنجنيق فرح النمرود بذلك ووضعوا ابراهيم في تابوت ووضعوه في المنجنيق وهموا ان يلقوه فضجت ملائكة السموات والارض وقالوا الهنا وسيدنا عبدك ابراهيم لا يعبدك غيره في الارض فكيف يرمى في النار فأوحى الله اليهم ياملائكتي ان طلب الاعانة منكم فأعينوه فجاء اليه ميكائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم ان أردت ان اسق لك الامطار من سائر الاقطار فتطفى لك النار فقال ابراهيم لا حاجة لي بك ثم جاء اليه جبرائيل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال ابراهيم عليه السلام أما اليك فلا واذا النداء من العلي الأعلى ياجبرائيل أضرب بجناحك النار فضربها بجناحه فانطفت وتفسحت له مقدار أربعين فرسخا وأجرى الله بجانبه عينا من الماء البارد وعادت الاحطاب أشجارا يانعة وعليها من أصناف الثمار باذن الواحد القهار وصارت النار على ابراهيم بردا وسلاما واتاه جبرائيل بسرير من الجنة وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فلبسهما ابراهيم وجلس على السرير في أرغد عيش هذا ما كان من أمر ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما القي

فى النار واما النمرود المبعود فانه قصد الى مكان عالى وأراد النظر كيف
صار يأبراهيم واذا بشرارة طارت الى أثواب النمرود فاحرقتها جميعها الا بدنه
فلم يحترق ليعلم ان النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر
النمرود ﴿سؤال﴾ لم ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بالنار ولم يبتل قبله
أحد بها ﴿الجواب﴾ ان ابراهيم عليه السلام كان يخاف من النار فادخله
الله اليها ليعلم ان النار لا تضر أحدا الا بأذن الله تعالى ﴿قال السدى﴾
آمن فى ذلك اليوم ناس كثير لما رأوا هذه المعجزة لابراهيم صلى الله عليه
وسلم ولما رأى النمرود ذلك قال لابراهيم اخرج من أرضنا ولا تفسد علينا
ديننا فخرج ابراهيم وصحبته سارة وكانت ممن آمن به وصحبه ابن أخته لوط
عليه السلام وتوجه أبراهيم بهما نحو أرض حران فأوحى الله اليه ان تتزوج
بسارة فتزوج بها وتاجر فصار عنده مال عظيم فاشترى قماشا و أخذ زوجته
سارة وتوجه بها الى مصر ﴿قال وكانت سارة﴾ ذات حسن وجمال وقد
واعتدال حتى لم يكن فى زمانها اجمل منها فلما دخل بها الى مصر قيل له
يا ابراهيم ان بمصر ملكا جبارا يحب النساء وكان من عادته اذا سمع بامرأة
جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسم الملك طوطيس وكانت من عادت الملوك
السابقة ان يسكنوا بمدينة يقال لها منوف وكان له حراس يقيمون على
الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان ابراهيم قد وضع زوجته
سارة فى صندوق ليخفيها عن الملك فلما صار ابراهيم بين يدى الحراس ارادوا
فتح الصندوق ليروا مافيه ولم يقدر ابراهيم على منعهم من فتحه ففتحوه فاذا
بسارة فى الصندوق فحملوها الى الملك فقال ما هذه المرأة يا ابراهيم فقال هى
اختى واعنى انها اخته فى الخلقة فقال الملك زوجنى اياها فقال انها
متزوجة فأخذها الملك قهرا ﴿قال فرفع الله الحجاب﴾ عن بصر ابراهيم
حتى انها لم تغب عن معاينته ليطمئن قلبه اذا رجعت اليه ﴿قال فلما دنى
الملك منها﴾ وأراد ان يتنولها بيده فيبست ثم تاب فانطلقت يده ثم عاد فمد
يده اليها ثانيين فيبست يده و رجله فتاب فانطلقت يده ورجله فعاد وقيل

أنه تاب فعاد وتاب سبع مرات الى أن تاب توبة صادقة كل ذلك وابراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعى الملك بابراهيم واحضره وأكرمه وأعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها ابراهيم عليه السلام ﴿قال ثم ان ابراهيم﴾ خرج من مصر يريد الشام فاقام عند قوم بواد يقال له وادى السبع فاوسع الله عليه الرزق من المال والمواشي حتى قيل كان له اثنى عشر الف قطيع من الغنم وفى كل قطيع كلب وعليه حل من الديباج الملون وفى عنقه سلسلة من الذهب وكان ابراهيم اغنى الانبياء فى المعيشة وكان لا يأكل الا مع الاضياف وكان اذا امسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل والميلين ليجد من يأكل معه فكان كما يقال فى المعنى

لا مرحبا بالليل ان لم يأتنى ❊ فى طيه ضيف ملم نازل

والصبح ان وفا فلا اهلا به ❊ ان كان عندى فيه ضيف راحل

﴿وقيل ان ابراهيم﴾ عليه السلام اول من اقرى الاضياف واول من شاب فلما رأى الشيب فى لحيته انكره قال يارب ماهذا فأوحى الله اليه هذا الوقار فقال يارب زدنى وقارا فأصبحت لحيته بيضاء وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليهم الارض فاجتمع عليه أهل تلك الارض وقالوا له يا صالح وكان يسمى عندهم بالشيخ الصالح اخرج من بلادنا فانك ضيقت الارض علينا بمواشيك قال فعزم على الرحيل فلما رحل عنهم نشفت الابار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلكوا القوم من العطش فلحقوه وسألوه الرجوع فأبى فشكوا اليه من قلة الماء فأعطاهم سبع نعاج وقال اوقفوا على كل بئر نعجة فيأتيكم الماء فأخذوا النعاج وأوقفوها على الآبار فرجعت الماء ببركة مواشيه صلى الله عليه وسلم ولذلك تسمى الوادى بوادى السبع ﴿قال قتادة﴾ لما تزوج ابراهيم عليه السلام بهاجر جاءه منها اسماعيل عليه السلام وكان عمره خمسة وثمانين سنة فلما كبر اسماعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقوله فحلفت سارة يمينا مغلظا

لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها فبقيت سارة متحيرة في أمر اليمين فافتاها ابراهيم وقصت عليه اليمين فقال اثقبي أذنيها ففعلت ذلك ثم ان سارة قالت لا ابراهيم لا اسكن أنا وهاجر في مكان واحد فأوحى الله الى ابراهيم بان لا تخالف سارة وأمره ان يمضي بهاجر واسماعيل الى مكة وكان اسماعيل طفلا رضيعا فاركب اسماعيل وأمه على بعير وأخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار الى مكة فأنزلهما في الحرم وكان موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حارة فصنع ابراهيم هناك بيتا من عريش الشجر وترك عندهما السقاية والجراب المملوء دقيق فلما أراد الانصراف عنهما قالت له هاجر الى أين تمضي قال الى نحو الشام فقالت وكيف تذهب وتتركنا في هذا المكان التي لا نبات به ولا ماء ولا أنيس فلا زالت تقول له مرارا وهو ولا يلتفت اليها فقالت له الله أمرك بهذا فقال لها نعم فقالت اذن لا يضيعنا ثم انطلق ابراهيم وهو يقول ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ثم ان هاجر قامت هناك ثلاثة أيام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هي وابنها فجعلت هاجر تصعد الى الصفا وتنظر هل ترى ماء أو أحدا ثم تذهب الى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهي كالوهانة وتتضرع الى الله عز وجل في طلب الماء ولاجل ذلك صار السعي واجب بين الصفا والمروة على سائر الحجاج ﴿وأما اسماعيل﴾ فانه كان يبكي تارة ويسكت أخرى حتى أشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هي كذلك اذ سمعت هاتفا يقول أرجعي قد أنبع الله لك ماء فرجعت فوجدت الماء قد نبع بين أقدام اسماعيل وهو يفور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زم زم يا مبارك حتى أمسك عن جريانك فلذلك سمية زمزم وقد ﴿قال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسماعيل لو انها لم تقل زم زم يا مبارك لكان زمزم عينا جارية ﴿وروى﴾ ان جبرائيل عليه السلام اتى الى هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من أنت قالت

أنا سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد تركني وابني هاهنا ﴿فقال جبرائيل﴾ الى من ترككما قالت الى الله تعالى فقال لقد ترككما الى كاف وقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده الا يعلم من خلق ثم ان جبرائيل اتى موضع زمزم وركض برجله ففار الماء ولذلك يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم ان اسماعيل وامه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشربا ابركته فقامت هناك مدة ﴿وقيل﴾ جماعة من بني خزاعة من أولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا طيورا قد كثرت هناك فقالوا ان هذه الطيور ماتنزل الا على ماء فجاؤا ودخلوا مكة فوجدوا الماء فقالوا للهاجر لمن يكون هذا الماء فقالت لهم ان الله تعالى قد خصني به فقالوا لها الا ننزل عندك ونجعل لك نصيبا من مواشينا فقالت لهم نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب واقاموا عندها فلما كبر اسماعيل وانتشا بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية ثم تزوج من بناتهم ورزق الاولاد ولهذا يقال اسماعيل أبو العرب ﴿وقيل﴾ ان ابراهيم بعد ذلك قدم الى مكة فسأل عن بيت اسماعيل فدلوه فاتى الى باب داره وطرق الباب فخرجت اليه زوجة اسماعيل فسألها عنه فقالت له انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت نحن في سوء حال من ضيق المعيشة فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قالت له قد جاء اليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا أبي وقد أمرني ان افارقك فالحقي بأهلك ثم ان اسماعيل تزوج بامرأة غيرها من بنات العرب فقدم ابراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسماعيل فقال لها أين زوجك فقالت انه غائب ثم سألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمد لله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن فقال وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم في لحمهم ولبنهم ومائهم ثم أوصاها وقال اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له يثبت عتبة بابه ﴿قال السدي﴾ لما دعى ابراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره لدعى له بالبركة مثل الحبوب

كالقمح والشعير والفول فيكون كثيرا بدعوته ثم غاب ابراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة فى المسير الى زيارة ولده اسماعيل فاذنت وشرطت عليه ان لا يكلم هاجر ولا ينظر اليها فقال نعم ثم انه قدم على مكة وجاء الى بيت اسماعيل فدق الباب فقالت زوجته ما تريد فقال أين اسماعيل فقالت امه خرج يتصيد فسألها عن هاجر فقالت انها قد ماتت ودفنت قريبا من الحجر (وقيل) لما توفت هاجر كان لها من العمر تسعون سنة ولاسماعيل من العمر عشرون سنة ثم ان ابراهيم جلس فى الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه اسماعيل فلما جاء من الصيد وجد اباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم اخذ بيد ابيه واضافه فاخرج له لحما ولبنا فاكل ثم قال ابراهيم يابنى ان الله قد أمرنى بان أبنى له بيتا على هذا التل الاحمر فكن لى معينا على ذلك

(ذكر بناء البيت)

قال الثعلبى لما أمر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت أرسل اليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودى يا ابراهيم أبنى البيت على قدر هذه السحابة وظلها (روى الواقدى) ان ابراهيم لما احتفر أساس البيت رأى حجرا من رخام أخضر وعليه أربعة اسطر السطر الاول مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رب البيت مغليها وهى غزار ومرخيها وهى قفار السطر الثانى مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزى تارك الصلاة والسطر الثالث مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رازق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة ان لا حيلة له قال وأوحى الله الى ابراهيم بان يأتى بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طور سيناء وجبل طور زيتا وجبل لبنان وجبل الجودى وجبل حراء بمكة فيكون يوم القيامة بثقل هذه الجبال فى موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من الجبال المذكورة شرع ابراهيم فى بناء البيت فكان اسماعيل يأتيه بالحجارة ويعجن له الطين وما زال على ذلك الى ان ارتفع البنا وهو قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد

من

من البيت واسماعيل قال ان الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى
وقف عليه فتارة يرتفع به اذا ارتفع البناء وتارة ينهبط به اذا أراد الارض قال
أنس بن مالك رضى الله عنه رأيت أثر قدم ابراهيم فى هذا الحجر وقد أثر
فيه كعبه واخماص أصابع رجليه غير أنه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس
بأيديهم فمحى ذلك من كثرة الايام والليالى قال الكسائى بينما ابراهيم
يبنى فى البيت فناداه جبل أبى قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها
فلما دنى منه انشق من الجبل قطعة وخرج منه الحجر الاسود وكان نوح
عليه السلام لما خرج من السفينة بعد الطوفان أودع الحجر الاسود بهذا
الجبل فأنطق الله الجبل بالوديعة فلما أتم ابراهيم بناء البيت أوحى الله اليه
أن اصعد الى سطح البيت واذن فى الناس بالحج قال فبلغ صوته مشارق
الارض ومغاربها لان الله تعالى قال له يا ابراهيم منك النداء وعلى البلاغ
وقيل ان ابراهيم طلع الى جبل عرفات ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس ان
الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فبلغ صوته مدا المشرق والمغرب
فمن أجاب بالتلبية كتب له حجا ومن لم يأت لم يجب فذلك قوله تعالى
واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا الآية ﴿قال الثعلبى﴾ ولم يزل هذا البيت
على بناء ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهدمت قريش ما بناه ابراهيم وبنوه بناية اخرى وجعلت فيه من
داخله صور أربعة من الملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
عليهم السلام وجعلوا أيضا فيه صور الانبياء المرسلين فلما فتح النبى صلى
الله عليه وسلم مكة فى عام الفتح طمس تلك الصور جميعا وابقى صورة عيسى
وامه ثم جدد من بعد ذلك بنايته تميم بن أسد ثم جدد بنايته من بعد ذلك
عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
بعد ذلك جدد بنايته عبد الله بن الزبير فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم
ان الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير جميعه وبناه على هذه الصفة التى
هو عليها الآن وذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية فى خلافة

عبد الملك بن مروان الاموى ﴿ ذكر قصة ذبح اسماعيل ﴾ عليه السلام قال السدى قد اختلف جماعة من العلماء فى الذبيح فمنهم من قال انه اسحاق وأهل التوراة ترجح ذلك والاشهر انه اسماعيل ﴿ قال ابن عباس ﴾ رضى الله عنه ان ابراهيم كان قد نذر فى سره ان ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا الى الله تعالى فلما تمادت عليه الايام والليالى نسى مانذره ﴿ قال السدى ﴾ ان ابراهيم رزق اسماعيل قبل اسحاق بثلاثين سنة فبينما ابراهيم نائم اذ رأى فى منامه قائلا يقول له يا ابراهيم ان الله يأمرك أن تفى بنذرك وأن تذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم وهو مذعور فكان يرى تلك الرؤية فى سبع ليال متوالية فعزم على ذبح ولده ﴿ قال السدى ﴾ لما قوى عزم ابراهيم على ذبح ولده ناداه يا اسماعيل خذ معك حبلا ومدية السكين قال وما تصنع بهما يا أبتى قال أذبح كبشا قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه اسماعيل وقيل اسحاق فأتوا الى شعب جبل عند وادى منى فبينما هما ماشيان اذ تعرض ابليس اللعين على صورة شيخ فقال له الى أين تمضى يا اسماعيل فقال يقرب أبى قربانا الى الله تعالى فقال ابليس أتدرى ما القربان الذى يقربه أبوك قال لا قال انه يريد ذبحك وقد جئتك ناصحا فقال يا ابليس أيفعل هذا أبى من قبل نفسه أم بأمر ربه فقال ابليس بل بأمر ربه فقال اسماعيل اذا كان الذبح بأمر ربى فكيف أعصى ذلك فرجع ابليس خائبا فكان كلما يتبع اسماعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك به سبع مرات فصار من يومئذ رمى الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسماعيل ان الله تعالى أوحى الى بذبحك وقد رأى ذلك فى المنام سبع مرات فى سبع ليال متوالية فقال اسماعيل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما رآى ابليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من أمرهما ثم ان ابراهيم أضجع ابنه على جنبه الايمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال اسماعيل يا أبت لا تشد رجلى ويدى بالحبل فتقول الملائكة قد جزع من أمر ربه فخله واستمر اسماعيل مضطجعا

على جنبه الايمن من غير وثاق ثم ان ابراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر اسماعيل وصار يحزبها مرارا وهي لم تؤثر في نحره ولم تخدش شيأ فعند ذلك ضجت من هذه الواقعة ملائكة السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وانطلق الكل بالابتهال الى الله تعالى وصاروا يقولون الهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هذا الطفل الصغير فلما رأى اسماعيل ان المدية لا تقطع نادى يا أبتي انخع بالمدية في لبتي فنخعه بها في لبته نخعة بليغة فغابت المدية في نصابها ثم قال اسماعيل لابيه يا أبتي كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني فكبه على وجهه ووضع السكين وحزبها فلم يؤثر ذلك كله فغضب ابراهيم ورمى السكين فأنطق الله تعالى السكين قالت يا ابراهيم أنا بين أمرين الخليل يقول اقطعي والجليل يقول لا تقطعي واني من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف أقطع في نحر اسماعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم في جبهته يلمع ثم ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم قال فبينما هو كذلك واذا بجبريل أتاه ومعه كبش أملح قال هذا فداؤه ولدك فخذه واذبحه وفك جبريل وثاق اسماعيل وأدركه بالفرج الجزيل وأنشد في المعنى

انا سمعنا مقالا قاله فطن * في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج

﴿قال الثعلبي﴾ ان الاضحية صارت سنة ابراهيم عليه السلام سؤال لما افدى الله تعالى اسماعيل بكبش ولم يجعل فداه جملا أو بقرة أو غير ذلك فالجواب ان ابراهيم لما أخذ الحبل والمدية فقال اسماعيل وما تصنع بهما فقال أذبح كبشا فصدق الله تعالى قول خليله جواب آخر ان الله تعالى أدخر الكبش الذي كان قربه هابيل بن آدم فأخره الله ليعلم عباده ان الخير من الاجداد ينفع الاولاد قال السدي كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وكانت قرونه وحوافره من الذهب الاحمر وليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع في رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه

ابراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار فدوا لحجاج هنالك من السنة *(قال السدى)* وكان اسماعيل حين الذبح له من العمر عشرين سنة *(قال الكسائى)* عاش اسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ويروى انه لما مات دفن تحت الميزان انتهى ملخصا *(ذكر قصة هلاك النمرود بن كنعان)* *(قال الثعلبى)* ان النمرود هو أول من تجبر فى الارض وادعى الربوبية من دون الله تعالى قال السدى ان الغلاوقع فى زمن النمرود وأجدبت الارض فكان النمرود يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الاقطار وكان لا يبيع أحدا شيأ حتى يسجد له ويقول أنت ربى ووقع القحط فى الارض التى بها ابراهيم فسار ابراهيم الى النمرود ليشترى منه غلالا فلما وصل الى النمرود ووقف بين يديه عرفه النمرود فقال يا ابراهيم من أنا فقال ابراهيم أنت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمرود اسجد لى فقال ابراهيم لا ينبغى السجود الا للرب المعبود فقال النمرود من الرب المعبود قال ابراهيم الرب المعبود هو الذى يميت ويحيى فقال النمرود أنا أحيي وأميت فاستدعى برجلين وجب عليهما القتل فقتل واحدا وأطلق الآخر فقال ها أنا أمت وأحييت فقال ابراهيم ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدي القوم الظالمين فعند ذلك قال النمرود لابد أن أقاتل آله ابراهيم فأمر ببناء الصرح قال كعب الاحبار كان طول ذلك الصرح فرسخين فى عرض فرسخ وقال السدى كان بناؤه فى أرض بابل ثم عمد النمرود الى أربع نسور ورباهم على اللحم والخبز حتى استكملت قوتهم ثم صنع تابوتا من الخشب وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربطه بأرجل النسور وبعد ان جوعهم وعلق لحما على عصى فوق التابوت ثم دخل النمرود فى التابوت وأخذ معه قوسا وثلاثة أسهم وأخذ معه أحد وزرائه ممن كان يثق بعقله ثم كشف اللحم للنسور فأقلعوا طمعا فى اللحم فبعد ساعة قال لوزيره اكشف الباب الاعلى فنظر الى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن

الباب الاسفل فنظر الى الارض فوجدها كاللجة ووجد الجبال كالدخان ثم طبق البابين ثم بعد زمان كادت النسور ان تهلك من التعب ففتح البابين فنظر الى السماء فوجد ظلمة ونظر الى الارض فرأى ظلمة فبينما هو صاعد اذ ناداه ملك الى اين يا عدو الله فظن النمرود ان الذي ناداه اله السماء فأخذ القوس ووضع السهم وصوبه نحو السماء ورمى به في الهوى فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد اليه وهو ملطخ بالدم ففرح النمرود بذلك وقال قتلت اله السماء قال عكرمة ان السهم أخذته سمكة وقربت نفسها الى الله تعالى فأصابها فذلك الدم منها وهي في بحر بين السماء والارض قال العزيزي ان النمرود لم يزل يصعد في الجو الى أن ناداه ملك الى أين يا عدو الله ان بينك وبين السماء خمسمائة عام ثم صعق الملك صعقة مات منها الوزير ثم ان جبرائيل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط في البحر فقذفته الامواج الى البر فخرج النمرود من التابوت وقد ابيضت لحيته من الخوف ومما رأى من الاهوال فلما رآه قومه فانكروه ولم يصدقوا انه النمرود وقال الثعلبي ان الله سلط على ذلك الصرح ريحا عاصفا فألقته على من كان به من أرباب دولته وذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمرود أحضر ابراهيم وقال له قل لربك بأن ينزل من السماء الى الارض حتى أقاتل معه فان ذلك من عادة الملوك تقابل وتقاتل فأوحى الله تعالى الى ابراهيم ان قل للنمرود ينظر الى سائر المخلوقات فليختار أي جنس نرسله عليه فاختار البعوض لانه لا يأكل الا أكلة واحدة ويموت فقال ابراهيم اجمع عساكرك من جميع الجهات والبسهم الدروع والجواشن وتهيأ لهذا الجند الذي هو أضعف جنود الله القوي فجمعهم النمرود فكان مقدارهم مسيرة أربعمائة فرسخ (قال العزيزي) ان هذا الجمع كان بأرض الكوفة فلما كان الميعاد ظهر عسكر البعوض من البحر حتى سد ما بين الخافقين حتى حجب الشمس عن الابصار فأمرهم الله أن ينتشروا على عساكر النمرود ويأكلوهم فصار يأكل الدروع والجواشن والسلاح

حتى وصل الى لحومهم فأكلها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا جميعهم ثم أرسل الله تعالى الى النمرود بعوضة ضعيفة بجناح واحد وهى أصغر البعوض كله فدخلت فى انفه وصعدت الى رأسه فانهزم وأخره الله تعالى ليعتبر قيل انها مكثت فى رأسه أربعين سنة فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه فيجد بذلك راحة فلما طال عليه الامر ضربه أحد خدامه بطبر على رأسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة وهى مثل الصقر وهى تقول هذا جزاء عدو الله وذهبت وأهلك الله النمرود وجنوده بأضعف جنوده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ﴿قال تعالى﴾ وما يعلم جنود ربك الا هو وقد قيل فى المعنى

فلسان الكون عنه ناطق ✽ ان هذا الملك لله الصمد
جل خلقا عن مثال سابق ✽ وتعالى عن نظير وانفرد
فاذا عاينتموا آياته ✽ نزهوه عن شريك وولد

﴿ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام﴾ قال كعب الاحبار خرج ابراهيم عليه السلام فى طلب الاضياف فمر به ملك الموت فى صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد عليه السلام قال له من أنت قال أنا عابر سبيل فأخذ بيده وأتى به الى منزله فلما رأته زوجته عرفت انه ملك الموت فبكت فلما دخل اسحاق وجد أمه تبكى فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت تبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء ابراهيم وجد الضيف قد مضى فغضب على سارة واسحاق وقال بكيتما فى وجه ضيفى حتى مضى وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه فدخله ابراهيم فوجد الضيف فيه فقال له ابراهيم من أدخلك بيتى من غير اذنى فقال له الضيف لا تعجل يا ابراهيم أنا ملك الموت فقال له ابراهيم ان كنت صادقا فأرنى آية تدل على انك ملك الموت فقال له حول وجهك عنى فحول ثم التفت ابراهيم اليه فرآه على الصورة التى يقبض بها أرواح الانبياء والمؤمنين وهى صورة حسنة منورة ثم قال لابراهيم حول وجهك عنى فحول ثم عاد فنظره على الصورة التى يقبض بها أرواح المنافقين

والكفار فعند ذلك غشي على ابراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة ثم ان ابراهيم خرج يوما لينظر ضيفا فرأى شيخا كبيرا فأخذه بيده وأدخله الى بيته واحضر له شيأ من العنب فجعل الشيخ يأخذ من العنب ويمج ويرمي جلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه ابراهيم فقال له ابراهيم أيها الشيخ كم لك من العمر قال كذا كذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم اللهم اقبضني اليك حتى لا أصير الى الهرم فكان ابراهيم أول من طلب الموت فلما دنى منه ملك الموت قال له يا نبي الله على أي حالة تحب أن أقبض روحك فقال ابراهيم وأنا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد وقد اختلف جماعة من العلماء في مدة حياة ابراهيم فنهم من قال عاش مائة وخمسه وسبعين سنة ومنهم من قال عاش مائتي سنة والله أعلم وقال السدي ان سارة توفت قبل ابراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفن فيها سارة وهي قرية حبرون من أرض كنعان ولما مات ابراهيم دفن في تلك المغارة *(ذكر قصة اسحاق عليه السلام)* قال وهب بن منبه لما رزق ابراهيم ابنه اسماعيل بن هاجر انكسر قلب سارة لانها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله باسحاق بعد هذه المدة كما جاء في القرآن وان يكون من نسله ألف نبي فعند ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة قال السدي كان بين اسماعيل واسحاق نحو ثلاثين سنة وكان اسحاق شديد الغيرة وكان نبيا مرسلا قد بعثه الله الى قوم بالشام فلما كبر اسحاق تزوج بامرأة من أرض حوران وهي رفقا بنت توبيل فلما دخل عليها حملت منه غلامين في بطن واحد وهما العيص ويعقوب قال السدي ان العيص تكلم في بطن امه فسمعته فأخبرت أباه بذلك فقال لها ان سمعتي فاعلميني فلما سمعت أعلمته فجعل اسحاق أذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبلي لاخرقن بطن أمي وأقتلك فقال له اسحاق يا مبارك أرع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك فلما كان الوضع كان

العيص يسابق يعقوب فخرج العيص أولا وتأخر يعقوب بعده فلذلك سمي العيص عيصا لانه عصى أخاه عند الخروج لان يعقوب كان أكبر منه وأسبق في الحمل وسمي يعقوب يعقوبا لانه تعب في خروجه من بطن أمه فلما كبر كان العيص أحب الى أبيه وكان يعقوب أحب الى أمه فلما كبر اسحاق في العمر كف بصره فقال لولده العيص يا عيص ائتني بكبش حتى أذبحه وأجعله قربانا الى الله تعالى وأدعو الك دعوة فعسى أن تنفعك دعوتي ان شاء الله تعالى واجعل يدك عند يدي وقت الدعاء فسمعت زوجته ما قاله لابنه العيص فأخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له اسبق أنت الى كبش وأت به الى أبيك والبس فروة مقلوبة لان العيص كان على بدنه شعر امثل شعر المعز فاذا المسك أبوك فيعلم انك العيص ابنه فيدعو الك وتفوز بدعوته فعند ذلك أسرع بكبش ولبس فروة مقلوبة وجاء الى أبيه وقدم له القربان مشويا فأكل منه اسحاق وقال قدم يا ابني وهو يظن انه العيص فتقدم يعقوب ولمسه أبوه فوجد الشعر فقال اسحاق ان المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ابنك العيص فادع له فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فجاء في أثره العيص ومعه كبش مشوي فوضعه بين يدي أبيه فقال له من أنت قال أنا ابنك العيص فقال يا ابني قد سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك غضب العيص وقال لاقتلن يعقوب فقال اسحاق يا ابني لا تغضب قد بقي لك عندي دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولم يملكهم أحد غيرهم فكان من نسله بنو الاصفر وهم ملوك الفرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الاصفر فلما كان في قلب العيص من أخيه يعقوب قالت أمه اذهب الى عند خالتك بأرض بابل واترك لاخيك أرض كنعان فاني أخشى عليك منه فأسرى يعقوب هو وعسم لدعوة الايل فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الى عند خالته وكان اسمها ماليات وكان لها بنتا فتزوجها

وكان ذلك جائزا فى ذلك الزمان ولم يزل جائزا الى أن بعث موسى بن عمران عليه السلام فأنزل الله عليه بتحريم ذلك فرزق الله يعقوب من زوجته وغيرهما اثنى عشر ولدا فلما كبروا أولاده قصد الرجوع الى أرض كنعان فأمر أولاده أن يسبقوه واذا وصلوا يدخلوا فيسلموا على عمهم العيص ويقولوا له نحن أولاد أخاك يعقوب وقصد بذلك الترفق والتودد لما جرى بينهما من الدعوة كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على أخيه وزال ما عنده وترحب بهم وأحبهم حبا شديدا ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلطف بأخيه العيص وأقام عنده مدة ثم ان العيص ترك أرض كنعان لاخيه يعقوب وأولاده ورحل الى بعض بلاد الشام فتزوج هناك بابنة عمه اسماعيل وكان اسمها نسمة فجاء منها عدة أولاد ذكور وأناث فجاء من نسله الروم ولم يجئ من نسله نبى سوى أيوب عليه السلام وقيل ان القياسرة ملوك الروم من أولاد العيص وكذلك ملوك بنى الاصفر قال السدى ان اسحاق عاش من العمر مائة وستين سنة ولما مات دفن بأرض فلسطين ثم نقل بعد ذلك الى عند أبيه ابراهيم ولما مات العيص كان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار ﴿ذكر قصة لوط عليه السلام﴾ (قال) وهب بن منبه هو لوط بن هارون بن تارخ بن أخى ابراهيم قال السدى ان ابراهيم بعث فى زمن ابراهيم الى قوم سدوم بأرض غمورة زغر وكانوا أهل الكفر يرتكبون الفاحشة فوقع بأرضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال ويطلبون بذلك الغلاء وكان الناس يقصدون اليهم من سائر الاقطار فجاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ كبير فقال لهم انى خبير بأحوال الزمان فان كان عندكم شئ من الغلال فامسكوا أيديكم فى بيعه فسوف يأتى على الناس مدة لا ينبت فيها حبة ولا تمطر السماء قطرة واذا جاءكم الناس يشترون فلا تبيعوهم حتى تلوطوا بهم وان كانوا شيوخا أو صبيانا فكانوا يجلسون على الطريق ينتظرون من يمر بهم من المسافرين فيصدونهم ويلوطوا بهم

(قال) الثعلبي ان أهل تلك القرية كان يسكن بعضهم بالجبال وبعضهم بالسهل وكان الفرقة التي تسكن بالجبال وحيشون لم يجتمعوا بالفرقة التي تسكن السهل فاحتال عليهم ابليس ليجمع بينهما فاتخذ الزمار وزمر فلما سمع الجبليون صوت المزمار نزلوا من الجبل النساء والرجال فلما اجتمعوا بالسهلين ورأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظهر من يومئذ اللواط والسحق فكان كما يقال في المعنى

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى * فـــرارا من معشر الفساق

(فلما) تزايد بهم هذا الامر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا عتوا وقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك قال رب انصرني على القوم الظالمين فاستجاب الله دعاءه وبعث الله اليهم أربعة من الملائكة على صورة مرد حسان *(قال)* قتادة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم أربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن ضيوفك في هذه الليلة فانطلق بهم الى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما امرها قال انها أشر قرية على وجه الارض وأخبرهم بأمر قومه وما هم عليه من الفاحشة *(قال)* وكانت امرأة لوط اذا دخل الى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم ولها أمارة وهي اذا جاء الضيف ترسل رسولها وتطلب من جيرانها سامطها فيعلمون ان في منزل لوط أضيافا فيأتوا اليهم فلما اخبرت امرأة لوط بالاضياف جاؤا اليهم فغلق لوط الباب في وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولا تفضحوني في ضيفي وخذوا واحدة من بناتي عوضا عن الاضياف فقالوا له لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد فلم يزل لوط يناجيهم من خلف الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على أضيافه قالت الملائكة أنا رسل ربك لن يصلوا اليك الآية ثم ان الله تعالى أذن لجبرائيل عليه السلام فضرب بجناحه على وجوه القوم

فطمس الله اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم قائلين ان لوطا سحرهم على وجه الارض فلما علم لوط ان الاضياف رسل ربه فقال لهم اريد أن تهلكوهم فى هذه الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب *(قال)* بن عباس رضى الله عنهما ان الله مسخ امرأة لوط فصارت ملحا كما كانت تدل على الاضياف بطلب الملح ثم أمر الله تعالى لوطا أن يسرى بعياله تحت الليل فلما خرج لوط من القوم أدخل جبرائيل جناحه تحت القرية واقتلعها من أصولها وكانت سبع قرى فى كل قرية مائة ألف انسان ما بين رجال ونساء وصبيان فرفعها بين السماء والارض حتى سمعت أهل السماء صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم أقلبها وجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعهم بحجارة من سجيل فهلكوا أجمعين *(وسئل)* مجاهد هل بقى من قوم لوط أحد فقال نعم خرج منهم واحد الى مكة فبقى حجره معلق بين السماء والارض أربعين يوما حتى خرج من مكة وصار فى أثناء الطريق فسقط عليه حجره فهلك فى الحال وقد عذب الله قوم لوط بعذاب لم يعذب به أحدا من الامم لاجل ارتكابهم الفاحشة العظيمة *(قال)* السدى توفى لوط فى زمن ابراهيم عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

(ذكر قصة يعقوب وما وقع له مع أولاده من جهة يوسف) قال الله تعالى نحن نقص عليك الآية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من أرض كنعان هاربا من أخيه العيص الى عند خالته وتزوج بابنتها فجاء من راحيل ولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب غائبا نحو الشام فنزل عليه جبرائيل وقال يا يعقوب ان الله تعالى وهبك ولدا لم يرزق مثله لاحد من الناس وقد أعطاه الله شطرا من الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر الى يوسف فكان لا يمل من النظر اليه فذبح ألف رأس من الغنم قربانا لاجل يوسف شكرا لله تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين فلما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت أمه راحيل *(قال)* السدى ان الله تعالى قسم الحسن عشرة اجزاء

فأعطى الناس جزأ واحدا وخص يوسف بتسعة الاجزا الباقيه وقيل ان يوسف نظر الى وجهه يوما فى المراة فأعجبه حسنه فقال فى سره لو كنت مملوكا من كان يقدر أحدا على ثمنى فسلط الله عليه اخوته فباعوه بأبخس ثمن قيل البخس الذى كان فى حق يوسف كان سبعة عشر دراهم معدودة وهذا من آفة العجب (قال) السدي لما كبر يوسف وصار له من العمر اثنى عشر سنة رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص رؤياه على أبيه وقال كما قال الله خبرا عنه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية ﴿(قال)﴾ فلما بلغ اخوة يوسف ذلك حسدوه على هذه الرؤيا وقالوا الا شك أن يصير يوسف مولانا فان الشمس أبونا والقمر أمنا والكوا كب نحن ﴿(قال)﴾ السدى لما سمع اخوة يوسف هذه الرؤيا فشابت لها رؤسهم من حسدهم وكان يعقوب يميل الى يوسف من دون اخوته قال فأخذوا فى تدبير الحيلة فى هلاك يوسف فاجتمع رأيهم أن يدخلوا على أبيهم ويستأذنوه فى أخذ يوسف معهم الى الصيد وقالوا ان هو أبى من ارساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره ﴿(قال)﴾ فدخلوا على أبيهم فى غير الوقت المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير اكرام له فقال لهم مالى أراكم مدعورين فقالوا له ان قلوبنا مشغولة لان ذئبا عظيما هجم البارحة على أغنامنا وقتل منها مقتلة عظيمة ونحن الآن نريد أن نخرج اليه عصبة فأرسل أخانا يوسف معنا نرتع ونلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وقالوا كيف يأكله الذئب وفينا أخوه شمعون الذى اذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا أخوهم ودى الذى اذا غضب فغضبه يشق الاسد نصفين فلما سمع يعقوب كلامهم قال لابنه يوسف اذا كان غدا امض مع اخوتك الى الصيد فقد أذنت لك بذلك ﴿(قال)﴾ بن عباس رضى الله عنه انما قال يعقوب

لاولاده

لاولاده وأخاف أن يأكله الذئب لانه رأى فى منامه كان يوسف على رأس
جبل وحوله ذئاب قد أحدقوا به ليقتلوه واذا بذئب منهم قد حماه وخلصه
منهم وكان الارض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها الا بعد ثلاثة
أيام انتهى ما رآه يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف الى الخروج
للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة من الذهب وخرج
مع اخوته وأخذوا معهم كثيرا من الماء والزاد وركبوا خيولهم ويوسف
صحبتهم ثم أن يعقوب خرج معهم الى الصحرى ومشى أربعين خطوة
وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه الى صدره ثم رجع يعقوب الى منزله
وندم على ارسال يوسف مع اخوته فلما أبعدوا عن أرض كنعان وثبوا
اخوة يوسف على يوسف فسكوه من اطواقه ولطموه على وجهه وعروه
من ثيابه فصار عريانا فقال دعوا القميص على ليكون لى كفنا وهموا بقتله
فترامى يوسف على أخيه يهودا وكان أكبر اخوته فقال لهم يهودا لا تقتلوا
يوسف وارعوا حق أبيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا لابد من قتله فقال
يوسف اسقونى شربة من الماء قبل أن تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلطف
يهودا بهم وأشار عليهم بأن يرموه فى الجب فأجمعوا على أن يجعلوه فى الجب
فكتفوا يديه ورجليه ودلوه فى الجب فلما أنزلوه الى الجب بكت ملائكة
السماء رحمة ليوسف ثم عمد أحد اخوته الى الحبل فقطعه بسكين قبل
أن يصل يوسف الى قعر الجب فأدركه جبرائيل فتلقاه ووضعه على صخرة
قد رفعها الله له من الجب *(قال)* وهب بن منبه ان هذا الجب كان
بأرض الاردن وقيل كان بين مداين مصر ومداين أرض كنعان وهو
على قارعة الطريق *(قال)* السدى ان الذى حفر هذا الجب هو سام
ابن نوح وسماه بيت الاحزان وكان من أسفله واسع ومن أعلاه ضيق وكان
مظلما كثير الهوام وكان ماؤه مالحا وطوله نحو أربعمائة ذراع وكان فيه
الماء على قدر قامة فلما نزل يوسف عذب ماؤه وقصدته بعض الافاعى
فصاح بها جبرائيل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل تلك

الحية قال قتادة وجاءه جبرائيل بقميص من الجنة فألبسه وبطعام وشراب فأطعمه وصار الجب روضة مغدقة واتسع حتى صار مد البصر وقال جبريل لاتخف فأتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء اليه اخوه يهودا ونادى يا يوسف هل أنت من جملة الاحياء أم من جملة الاموات فأجابه يوسف أنا من جملة الاحياء فى فضل ربى فلما علموا اخوته انه حى عمدوا الى صخرة عظيمة وأرادوا أن يلقوها عليه فقال لهم يهودا ان أنتم فعلتم ذلك أخبرت أبيكم بفعلكم فتركوا وانصرفوا *(قال)* السدى كان عمر يوسف لما ألقى فى الجب ستة عشر سنة ولما رجعوا الى أبيهم عمدوا الى شاة وذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب ثم انهم اصطادوا ذئبا ولطخوا فمه بالدم وأوثقوه بحبل وأتوا به الى أبيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق فى انتظارهم لاجل يوسف فلما وصلوا اليه صرخوا وبكوا وقالوا يا أبانا انا ذهبنا وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلما سمع يعقوب ذلك غشى عليه فلما أفاق قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم أحضر بين يديه ذلك الذئب الموثوق والقميص فقال تالله ما أشفق هذا الذئب الذى أكل ولدى ولم يمزق قميصه فأمر باطلاق الذئب فأطلقوه فقال له ادن منى أيها الذئب فدنى منه فقال له أيها الذئب لم فجعتنى بابنى وأورثتنى حزنا طويلا قال يعقوب الهى أنطق لى هذا الذئب فأنطقه الله فقال يانبى الله والذى اصطفاك نبيا ما أكلت له لحما ولا مزقت له جلدا ومالى به علم وانما أنا ذئب غريب أتيت من أرض مصر فى طلب أخ لى فقدته منذ أيام فلما رآونى أولادك اصطادونى ولطخونى بالدم وأوثقونى وجاؤا بى اليك وقد حرم الله علينا لحوم الانبياء فقال له يعقوب وهل يوسف فى قيد الحياة فقال له ما أنا بعمار فعند ذلك أطلقه ودخل يعقوب الى خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى ابيضت عيناه من كثرة البكاء فصار مثلا كما قيل

أحزان قلبى وبكائى حكى * أحزان يعقوب على يوسف

(قال) كان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكي ويشكو الى من يمر به من المسافرين فأوحى الله اليه لئن عدت تشكو الى أحد من المخلوقين لامحونك من ديون الانبياء فعند ذلك قال انما أشكو بثي وحزني الى الله ودخل الى بيت الاحزان ولزم الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه كان سبب بلاء يعقوب بهذه الفرقة من ولده انه ذبح يوما شاة وشوى من لحمها ففاحت منه رائحة فجاء اليهم سائل وكان جائعا فطلب منهم شيأ من ذلك اللحم الذي شووه فلم يطعموه منه شيأ وتغافلوا عنه فرجع من عندهم وهو مكسور الخاطر فلم تمض الاسبعة أيام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذي كان أعز أولاده كما قيل في المعنى

احرص على كثرة القلوب فانها * مثل الزجاجة كسرها لا ينجبر

(قال) السدي لما أقام يوسف في الجب ثلاثة أيام ففي اليوم الرابع جاءت من أرض مدين سيارة يريدون مصر فحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذي فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليملأ من ذلك الجب فلما أدلى دلوه فتعلق يوسف بالحبل فنظر بالجب صاحب الحبل فرأى يوسف فقال يابشرى هذا غلام وفرح به وأسره ليبيعه (فلذلك) قوله تعالى وأسروه بضاعة *(ثم ان)* يهودا أخو يوسف جاء الى الجب ومعه طعاما الى يوسف فنادى من أعلا الجب يايوسف فلم يجده فعلم أن السيارة أخذته فتبعهم فوجدهم في أثناء الطريق ومعهم يوسف *(قال)* وكان مالك بن دعر قد أرسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهودا واخوته الى عند مالك وقال له هذا عبدنا أبق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك أنا أشتريه منكم فاشتراه منهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين *(قيل)* ان الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم ان يهودا شرط على الذي اشتراه انه لايبيت به في تلك الارض وقال له استوثق منه فانه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر وأركبوا يوسف على ناقة فلما مر يوسف

دقبر امه راجيل نزل من أعلا الناقة ومضى ليزور قبر أمه فزاره قال
فاستفقدوا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاح في القافلة يا يوسف فلم
يجدوه فذهبوا في طلبه فوجدوه عند قبر أمه فلطمه مالك لطمة أشد لطمة
وقال لقد حذرنا منك مولاك الذي باعك فلم نصدق ولكن ان عدت فعلت
مثل ذلك تكون هالكا *(قال)* فلما دخل مالك بن دعر الى مصر
ألبس يوسف أثوابا فاخرة فاجتمعت الناس وازدحموا عليه لما رأوا من حسنه
وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعني مدبر ملك مصر وكان
الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد *(قيل)* لما اشتهر يوسف للبيع تزايد
الناس في ثمنه فدفعوا له أولا زنته فضة وزنته مسكا وزنته حريرا
(قال) قتادة وكان وزن يوسف أربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير
أخذه ومضى به الى منزله فقال كما أخبر الله عز وجل *(قال)* لامرأته
أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكساه سبعين حلة من الملون
وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بأنواع الجواهر وكان قطفير لا يصبر عن
رؤيته ساعة واحدة *(قال)* وهب بن منبه أقام يوسف في دار قطفير
عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبالغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز
قطفير وراودته عن نفسه *(قال)* السدي ان قطفير كان عنينا لا يأتي
النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف
صبرت حتى ان يوسف دخل عليها وهي في قصرها فقامت وأغلقت سبعة
أبواب القصر وقالت هيت لك أي هلم لما أدعوك اليه فقال يوسف معاذ الله
أي أعوذ بالله مما تدعيني اليه ان زوجك سيدي وقد أحسن مثواي فلا أخونه
في أهله فلا زالت به حتى هم بها وهمت به قال الله عز وجل ولقد همت به وهم
بها لولا أن رأى برهان ربه *(قال)* بعض المفسرين ان يوسف لما هم
بزليخا تمثل له أبوه يعقوب وهو عاض على أصبعه وفي رواية انه رأى جبرائيل
فنهاه عن ذلك وقال له ان فعلت ذلك محيت من ديوان الانبياء فعند ذلك
خرج هاربا فوجد الابواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانية وهم بها

فاوحى الله الى جبرائيل أن أدرك عبدي يوسف قبل أن يقع في المعصية فهبط اليه جبرائيل وقال يا يوسف تعمل بعمل الخائنين وأنت مكتوب في ديوان المتقين فقام وبادر الى الباب هاربا ووقع له مثل ذلك ثالثا فولى هاربا وأنجاه الله كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فلما ولى هاربا في ثالث مرة أدركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدّ من دبر ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير قد دخل عليهما فرآها واقفة ويوسف بجانبها فبادرت هي بالكلام فقالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعني زنا ثم انها خافت على يوسف من قطفير أن يقتله فقالت الا أن يسجن أو عذاب أليم أي يضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها ﴿قال﴾ هي راودتني عن نفسي ففررت منها فأدركتني فقدت قميصي فلما راى قطفير هذه الواقعة تفكر فيماذا يصنع وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف مرة وكان في القصر طفل صغير في المهد وعمره سبعة أيام وهو ابن داية زليخا فنادى بأعلا صوته أيها العزيز ان لك عندي فرجا فانظر ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدّ من دبر عرف ان هذا من خيانة زوجته ﴿قال﴾ انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال له يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ﴿قال﴾ الزمخشري كان قطفير رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنينا لا يقرب النساء فلاجل ذلك لم يشدد عليها في هذه الواقعة وأيضا كان رجلا شيخا شنيع المنظر وعمره نحو من مائة سنة فرأى زليخا معذورة لجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده وقد قيل في المعنى

تقول لي وهي غضبى من تذللها ✽ وقد دعتني الى شيء فما كانا
كان ابرك من شمع رخاوته ✽ فكلما حركته نحو عالانا

﴿قال﴾ بعض الحكماء من أقام بأرض بغداد سنة كاملة وجد زيادة

فى عمله ومن أقام بأرض الموصل سنة كاملة وجد زيادة فى عقله ومن أقام بأرض حلب سنة كاملة وجد فى نفسه شحا ومن أقام بأرض دمشق سنة كاملة وجد فى نفسه فظاظة وشجاعة ومن أقام بمصر سنة كاملة وجد فى طبعه قلة الغيرة وقيل فى المعنى

ما مصر الا منزل مستحسن ❊ فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به ❊ فتيمموا صعيدا طيبا

❊﴿قال﴾❊ السدى لما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع أمرها قالت نسوة المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن فحضرن من جماعة كثيرة من نساء الوزراء والحجاب فأقعدتهم على المراتب الحسان وأعطت كل واحدة سكينا واترجة وصحفة فيها عسل وقالت لهن بحقى عليكن اذا مر عليكم الفتى العبرانى يعنى يوسف فلتطعمه كل واحدة منكن لقمة من الاترج والعسل فقلن لها سمعا وطاعة ثم ان زليخا ❊﴿قالت﴾❊ ليوسف اعلم انك ان خالفتنى فى جميع ما قلته لك فما هذا شأن العبودية والآن أريد أن أزينك بأحسن الزينة وأخرجك على هذه النسوة التى عندى ولا تخالفنى فقال افعلى ما بدا لك فألبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب والجواهر وقالت له اخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور أحسن من الولدان والحور فلما رأته النساء أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذى لمتننى فيه وقد قيل فى المعنى

لما تبدا على العشاق مبتسما ❊ وحارت الناس جمعا فى معانيه
فقلت قول زليخا فى عواذلها ❊ فذلكن الذى لمتننى فيه

فلما اندهشت النسوة قطعن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وهن لا يشعرون بألمهن فلما رجعت النسوة الى بيوتهن صرن لا يصبرون عن رؤية يوسف ولا ساعة واحدة وهن متفكرات

بيوسف وهن يقلن يوسف وأزواجهن يضربونهن بالسياط فلا يبالين به *قال* وهب بن منبه كان عدة النسوة التى افتتن بيوسف أربعين امرأة فماتت منهم تسعة نسوة وجدا بيوسف قال لما خرج يوسف على النسوة قلن له أطع مولاتك فيما تقول لك فقالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فلما رأى يوسف ان زليخا لا ترجع عنه قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية فلما شاع أمر زليخا فى المدينة خشى العزيز على نفسه من كلام الناس وأمر بسجن يوسف فسجن *قال* السدى لما توجهوا بيوسف الى السجن قيدوه وأركبوه حمارا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من يخون سيده ويوسف يقول السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فلما حبس يوسف كانت زليخا لا تهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولا نهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى نحل جسمها وصارت مثل العود البالى فلما طال الامر على زليخا أخذت من أسباب التسلى فكانت تقول لنفسها اذا كان هذا شابا صغيرا فزع من المعصية وخاف من ربه أن يعصيه واختار السجن فكيف وأنا امرأة كبيرة لا أخشى من المعصية فكانت تتسلى بعض التسلى بمثل ذلك (وأما) يوسف فانه لما سجن سار يتأنس بالمسجونين ويتحدث معهم وكان جبرائيل يأتيه فى كل شهر زورة ويبشره بأنه سيصير ملكا ثم جاء مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال له يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا *قال* السدى لما كان يوسف فى الجب كان جبرائيل يأتى اليه فى كل يوم مرة ويؤانسه فى الكلام ولما كان فى السجن كان جبرائيل يأتى اليه فى كل شهر مرة فقال يوسف الهى لقد كنت فى الجب فى راحة وأنا فى السجن فى تعب وبكاء فأوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختيارى والسجن باختيارك حيث تقول رب السجن خير مما يدعوننى اليه *قال* السدى ان الملك الريان كان من العمالقة وقد انفرد

ملك مصر دون غيره وكان له عدو بأرض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقى الملك الريان والى طباخه سما قاتلا وبعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما ان انتما دسيتم السم على الملك الريان ومات فلكما عندي مالا كثيرا اضعاف ما أرسلت اليكما فأخذ الساقى والطباخ فى أن يسم الملك رغبة فيما وعدهما به عدو الملك وأراد كل منهما أن يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لاجل المال فجاء الساقى الى الملك الريان وقال له اياك من الطباخ فانه وضع لك السم فى طعامك ثم انه بعده جاء الطباخ وقال له اياك من الساقى فانه وضع لك السم فى الماء فعلم الملك انهما خائنين فقبض عليهما وعاقبهما فأقراله بصدق الحال وما صار فأمر بسجنهما فلما دخلا السجن كانا يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معه فقال له الساقى انى رأيت فى المنام فى هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفى كل طاسة عنقود من العنب وكأنى أعصر من العنب خمرا وأسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ من بعد ذلك وأنا رأيت فى منامى الليلة كان لى ثلاث تنانير مملوءة بالنار وكأنى أخبز خبزا ووضعته فى طبق وحملته على رأسى والطير تأكل منه فكان الساقى صادقا فى منامه وكان مؤمنا وكان الطباخ كاذبا فى منامه وكان كافرا مستهزأ بيوسف فقال لهما يوسف يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ومعنى ربه أى سيده وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال انى لم أر شيأ فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة أيام أمر الملك باخراج الطباخ فلما اخرج صلبه فتناهشت الطيور رأسه كما أخبر يوسف ثم بعد ذلك أمر باخراج الساقى فلما اخرج خلع عليه وأعاده لما كان عليه *(قال)* لما خرج الساقى قال له يوسف اذكرنى عند ربك وقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما خرج الساقى نسى قول يوسف *(قال)* وهب بن منبه ان يوسف لبث فى السجن سبع سنين بعدد حروف اذكرنى عند ربك *(قال)* رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولا الكلمة التى قالها ما لبث

في السجن بضع سنين قال لما لبث بضع سنين جاءه اليه جبرائيل وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله تعالى وذلك ان الملك الريان يرى مناما ولم يقدر أحد من الناس على تفسيره ويكون ذلك سببا لخروجك من السجن ثم بعد أيام رأى الملك الريان في منامه كان بحر النيل قد غار في الارض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد ذلك سبع بقرات عجاف أي ناحلات ضعيفات أكلن تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات صفر ثم ان السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فيبستها في الحال فلما انتبه من منامه انتبه مرعوبا وأمر باحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فلما نام ثاني ليلة وأصبح نسي ما كان قد رآه فضاق صدره وأحضر المفسرين وقال لهم هل تذكرتم شيأ مما كنت قصصته عليكم بالامس من تلك الرؤيا فقالوا كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا أضغاث أحلام فغضب الملك على المعبرين وأمر باسقاط ما كان لهم من الرواتب في ديوانه ثم ان الساقي تذكر ما قال له يوسف فجاء الى الملك وسجد بين يديه وقال هل يأذن لي الملك في تعبير هذه الرؤيا فقال الملك يا هذا قد عجزت عن تعبير هذه الرؤيا المعبرون فكيف أنت تقدر على تعبيرها ﴿فقال﴾ الساقي ان في السجن غلاما من أولاد يعقوب فهو أعلم بتعبير هذه الرؤيا فأمره الملك بالتوجه الى يوسف فمضى الساقي الى السجن ودخل على يوسف وقبل رأسه واعتذر اليه ﴿وقال﴾ له والله يا سيدي قد نسيتك في هذه المدة ولم أذكرك الا في هذا اليوم وهو ان الملك رأى في منامه رؤيا قد عجزت عن تفسيرها المعبرون ثم ان الملك نسي ما قد رآه من تلك الرؤيا ﴿فقال﴾ له يوسف ان الملك رأى ما هو كذا وكذا فذهب الساقي واخبر الملك بما قاله يوسف فتعجب الملك من ذلك وأمر باحضاره وهو قوله تعالى ائتوني به استخلصه لنفسي الآية ثم ان الملك أرسل فرسا وخلعة وتاجا وأمر الوزراء والحجاب بأن يمضوا الى السجن ويمشوا بين يدي يوسف وأرادوا

ان يخرجوه فأبى يوسف أن يخرج وقال لا أخرج حتى تظهر براءتى بين الناس ثم قال للوزراء والامراء ارجعوا الى الملك فاسألوا ما بال النسوة التى قطعن أيديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول وأخبر الملك بما قاله يوسف فعند ذلك أحضر الملك امرأة العزيز قطفير والنسوة التى قطعن أيديهن فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما عرف الملك براءة يوسف زاد فى تعظيمه ثم ان يوسف لما أراد أن يخرج من السجن بكت أهل السجن قاطبة لفراقه فدعى لهم عندما خرج ثلاث دعوات مستجابات فقال اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع عنهم شدة الحر والبرد اللهم آتيهم بالاخبار فى كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن هذا قبر الاحياء ثم ان يوسف اغتسل وغسل الثياب وركب ومشت بين يديه الوزراء والامراء والحجاب وصار فى موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل عليه وسلم بالعربية فقال الملك وما هذا اللسان فقال هذا لسان عمنا اسماعيل بن ابراهيم خليل الله *(قال)* وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعين لسانا فكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به ثم ان الملك أجلس يوسف بجانبه وقال له من أنت قال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم خليل الله ونحن من أرض كنعان *(فقال)* له من أدخلك السجن قال زليخا امرأة العزيز لاجل انى لم أطاوعها على الزنا فأعجب الملك كلامه وحسن وجهه وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو ثلاثين سنة ثم ان الملك *(قال)* ليوسف قد رأيت فى المنام رؤيا ونسيتها فقال له يوسف أيها الملك لقد رأيت سبع بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع بعدها سبع بقرات عجاف فافترس تلك البقرات السمان ومزقن جلودهن ورأيت سبع سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات صفر وهى يابسات غير مثمرات فالتفت على تلك السنبلات الخضر وصارت أصولهن فى الماء فهذا ما رأيته ثم انتبهت من منامك *(فقال)* الملك والله ان هذه الرؤيا

التى رأيتها بعينها فمن أخبرك بذلك فقال أخبرنى بها جبرائيل رسول رب العالمين فقال له الملك وما ترى فى هذه الرؤيا أيها الصديق فقال له يوسف ستأتيكم سبع سنين مخصبة ثم تأتيكم من بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير فى ذلك فقال يوسف اذرعوا ذراعا كثيرا فى السنين المخصبة ثم احصدوه وذروه فى سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا له مخازنا كبارا فيكون القصب علفا للدواب وحبه قوتا للناس ﴿قال﴾ الملك ومن يتولى بهذا التدبير كله قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن الارض أى مصر انى حفيظ عليم ثم ان الملك عزل قطفير وكان شيخا كبيرا وولى يوسف عوضا عنه وعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات فلما تولى يوسف على مصر عدل فى الاحكام وخضع له الجميع من الخاص والعام فكان يركب فى كل سبعة أيام مرة وفى خدمته الامراء والوزراء والحجاب وكان يركب معه من العسكر مائة ألف غير المشاة وقد قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقد قيل فى المعنى

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسف * خزائنه بعد الخروج من السجن

﴿قال﴾ السدى لما جلس يوسف على سرير الملك فوض اليه الملك الريان أمر الديار المصرية شرقا وغربا فلما تم أمر يوسف فى الحكم أوحى الله اليه بأن يجعل ذلك الطفل الذى شهد له وهو فى المهد بالبراءة وزيرا ولا يضيع شهادته له فاتخذه وزيرا وألبسه خلعة وأركبه فرسا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من شهد بالحق ثم ان يوسف الصديق جد واجتهد فى أمر الزرع بزيادة العادة وبنا يوسف المخازن وسماها هرامات وخزن بها الغلال وآثار تلك المخازن باقية الى الآن فى جهات الفيوم وغيرها من البلاد واستمر على خزن الغلال فى قصبه وسنبله سبع سنين وهى السنين المخصبة فلما مضت دخلت السنين المجدبة والعياذ بالله فوقع الغلا والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة أول من جاع الملك

الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع فأتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من أعلمك بأني جائع حتى جئتني بطعام من غير أن يعلمك أحد بي فقال أعلمني بذلك يوسف فلما أكل وفرغ جاع في الحال وذلك حكمة من الله اذا وقع القحط والغلاء فان النفس دائما تحب أن تأكل ولم تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان فأذهب الله تعالى عنه الجوع ﴿قال﴾ وأما أهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح في أول سنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شئ من ذلك ثم في السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلي ثم باعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى لم يبق لاحد شئ فباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق شئ فباعهم في السنة الخامسة بالضياع والاملاك حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم في السنة السادسة بالاولاد والنساء حتى لم يبق شئ ثم باعهم في السنة السابعة بالنفوس جميعها حتى لم يبق في مصر من كبير وصغير من رجل أو امرأة الاوصار وافي رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال له اني أشهدك اني أعتقت جميع ما صار الي بالرق من أهل مصر ورددت عليهم أموالهم وضياعهم وأملاكهم جميعهم ﴿قال﴾ السدي ان يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه في تلك الايام وكان يقول أخاف أن أشبع وأنسى الجائع وكان يأمر طباخه يؤخر غداءه الى نصف النهار ﴿قال﴾ الكسائي لما كان أواخر السنة السابعة من سنين القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس اذا نظروا الى وجهه فيشبعون برؤية وجهه فكانوا يقصدونه بكرة وعشية لرؤيته فتغنيهم عن الزاد الى بقية العام السابع حتى أدرك الزرع فاكتفوا عنه ﴿قال﴾ السدي لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا الى يوسف ومعها خادم يقودها فانها عميت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما أقبلت على يوسف عرفها قال لها أنت زليخا قالت نعم قال لها فأين حسنك وجمالك قالت قد ذهب ذلك كله ولم يبق منه

شئ

شئ فقال لها يوسف كيف حال محبتك لى فقالت باقية لم تتغير ولم أجد طعم الماء أو الفقر من كثرة الشغف بك ﴿وقيل﴾ ان زليخا وقفت ليوسف وهو سائر فى موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذه العجوز الى الدار فانطلقوا بها فجاء فقال لها ما تريدين منى واذا بجبرائيل عليه السلام يقول يا يوسف ان الله تعالى يأمرك أن تتزوج بزليخا فقال له يوسف كيف أتزوج بها وهى عجوز عمياء فقال له جبرائيل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف وأسلمت على يده ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها فكانت أحسن ما كانت عليه فوجدها بكرا ثم ان زليخا قعدت مع يوسف الصديق أربعين سنة ورزق منها ولدين وهما افرايم ومنشا ﴿قال﴾ ولما وصل الغلا والقحط الى أرض كنعان قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر واشتروا الناغلالا من صاحب مصر فتجهزوا للسير وأخذوا معهم بضائع يتجروا بها مثل عسل وزيت وصابون وغير ذلك فلما دخلوا الى مصر ودخلوا الى دار العزيز طلعوا الى القصر الذى فيه يوسف فروه وعلى رأسه ألف غلام وبأيديهم اعمدة الذهب وكان يوسف اذا جلس فى موكبه يضع على وجهه برقعا مكللا بأنواع الجواهر فلما وقفوا بين يديه عرفهم وهم له منكرون قال يوسف للترجمان سلهم من هؤلاء فقال له انهم من أرض كنعان أولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم أنتم فقالوا اثنى عشر ولكن ذهب واحدمنا وقد أكله الذئب فقال يوسف لحاجبه ارفعهم الى دار الضيافة فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يأذن لهم بالانصراف ولم يبعهم شيأ فقال لهم يهودا قد أعاقنا الملك ومن خلفنا أكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف وأخبره بما قال يهودا فقال يوسف قل لهم يأتونى بأخيهم من أبيهم وكتاب أبيهم يشهد لهم بأنهم أولاد يعقوب والا فلا كيل لهم عندى ولا يقربون ﴿قال﴾ السدى ان يوسف أوفى لهم الكيل وأعطاهم الثمن الذى أخذه من ثمن الغلال ووضعه

في رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم يكون عندي رهينة حتى تأتوني بأخ لكم من أبيكم فلما سمعوا ذلك فقالوا من يقعد منا رهينة فقرعوا بينهم فأصابت القرعة أخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا الى بلادهم فلما وصلوا الى أبيهم فقالوا يا أبانا انا قدمنا على ملك مصر فأكرمنا ووفى لنا الكيل وأخبروه برهن أخيهم شمعون عند الملك حتى نأتيه بأخ لنا من أبينا فأرسله معنا فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه كما آمنتكم على أخيه من قبل *(قال)* ولما فتحوا متاعهم وجدوا ثمن الغلال التي أعطوها ليوسف فقالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا فأرسل معنا أخانا بنيامين فقال لهم أبوهم لن أرسله معكم حتى تأتوني موثقا من الله فأتوه موثقا فعند ذلك قال يعقوب الله على ما نقول وكيل والموثق اليمين *(قال)* السدي لما أرادوا أن يتوجهوا الى مصر قال لهم يعقوب يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال قتادة ان يعقوب خشي على أولاده من العين لانهم كانوا من ذوي الحسن والجمال ملاح الهيآت فأمرهم أن يدخلوا متفرقين قال فلما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم اجتمعوا فدخلوا على يوسف وهو جالس على سريره في قصره قالوا أيها العزيز هذا الطفل الذي أمرتنا أن نأتيك به فقال لقد أحسنتم وأصبتم ثم انه أمر بالموائد فحضرت فأجلس كل اثنين من أم على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى فقال له الملك لأي شيء تبكي فقال لو كان أخي يوسف حيا لجلست معه فقال له الملك عند ذلك اذ كنت وحيدا فأنا أحق بك وانزلك عندي في هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا بقي بنيامين عند الملك وقال له لا تخف فعند ذلك كشف يوسف البرقع عن وجهه وقال له أنا أخوك فلا تبتئس أي لا تخاف فعند ذلك تعانقا وتباكيا ثم قال له سأحتال على أخذك من اخوتك ثم ان يوسف وفى لاخوته الكيل وجعل سقايته في رحل أخيه بنيامين كما أخبر الله تعالى في القرآن العظيم *(قال)* كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت وقيل انها من الزمرد الاخضر فلما

قصدوا أن يرحلوا بلادهم أشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فقال لهم الحاجب ألم يحسن الملك اليكم الم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقاية الملك وقد فقدت من حين دخلتم عليه ولا يمكن أن يسرقها أحدا غيركم قالوا تالله ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقال لهم الحاجب فما جزاء من أخذه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فيقيم عند المسروق منه سنة كاملة في الاسر أسيرا وكان ذلك في شريعة يعقوب فقال الحاجب لابد أن نفتش الرحال فأتى بها الى عند يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ففتشها فلم يجدوا شيأ فلم يبق الا وعاء بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما أظنه يسرق ولا يأخذ شيأ قالت اخوته والله لا يترك رحله بلا تفتيش حتى يطيب خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا عنده السقاية فنكس يوسف رأسه وأظهر الحياء فأقبل أولاد يعقوب على أخيهم بنيامين وبخوه بالكلام وقالوا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم البلاء والعنا ثم قالوا ليوسف أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴿قال﴾ السدي اختلف جماعة من العلماء في سرقة يوسف التي عيروه بها اخوته فقالوا انه أخذ يوما بيضة من بيت عمه وأعطاها لسائل كان واقفا على بابهم ﴿وقال﴾ قتادة ان يوسف كان قد سرق صنما من الذهب كان لجده أبو امه وألقاه في بئر انتهى ﴿قال﴾ فلما ظهرت السقاية أحضرها يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم أدنى أذنيه منها فقال انها تخبرني بخبر عجيب بأنكم كنتم اثني عشر ولدا ليعقوب وانكم انطلقتم بأخيكم فبعتموه بثمن بخس فلما سمع بنيامين قام ودعى للملك وقال أيها الملك استخبر الصوع هل يوسف حي أم لا فضرب وأصغى بأذنه وقال انه حي يرزق وسوف يظهر ثم قال الملك امضوا الى أبيكم واتركوا أخاكم عندي سنة كما هو شرعكم فقالوا أيها الملك ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ﴿قال﴾ كبيرهم يعني شمعون ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا

من الله لتأتنني به فكيف نلقى وجه أبينا بغير أخينا وقد اخترت أن أقيم بمصر حتى يحكم الله برد أخي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فلما رجعوا الى أباهم يعقوب وأخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم ان يعقوب دخل الى بيت الاحزان وجدد حزنه على يوسف وأخيه *(قال)* السدي قد ألهم الله يعقوب بتسمية ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الاسف لما سبق في علمه من الازل بما جرى ليعقوب فلم يزل يعقوب يبكي حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وابيضت عيناه من كثرة البكاء وقيل في المعنى

لابد للاحباب من فرقة * وكل محبوب واصحابه

فمن يمت يفقد من نفسه * ومن يعش يزر بأحبابه

(قال) السدى كان زمن الفرقة بينه وبين ابنه يوسف ثمانين سنة وفي هذه المدة لم يسلاه ساعة فقالوا له أولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين *(قال)* قتادة بينما يعقوب جالس في بيت الاحزان اذ هبط عليه جبرائيل وقال له ان الله يقرئك السلام و يقول لك ان ابنك حي يرزق وقد صار عزيز مصر فان شئت ناديه بصوتك في مكان محرابك فان الريح تحمل صوتك اليه (ويروى) ان ملك الموت استأذن ربه في زيارة يعقوب فأذن له فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذي اصطفاك بالحق نبيا ما قبضت روحه وهو حي يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن ما به قليلا (قال) كان سبب بلاء يعقوب انه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل العجل يصيح في كل يوم على أمه ثم ان يعقوب كتب كتابا مضمونه من يعقوب نبي الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء اما أبي اسحاق فوضعت

السكين على حلقه واما جدي ابراهيم فوضع في المجنيق والقي في النار وأما
أنا فكان لي ولد يسمي يوسف وكان أحب أولادي عندي فذهب مع
اخوته فأتوا بقميصه ملطخ بالدم وقالوا ان الذئب أكله فبكيت عليه منذ
ثلاثين سنة حتي ابيضت عيناي وأما ابني بنيامين فقلت انه سرق سقايتك
في رحالته عندك ونحن أهل بيت لا نسرق ولا نلد من يسرق فارحم ترحم
وارد علي ولدي فان فعلت ذلك فالله يجزيك خيرا وان لم تفعل ذلك دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب
واذهبوا الى عزيز مصر عسى الله أن يأتيني بهم جميعا فلما ذهبوا بالكتاب
أتوا به الى يوسف فلما أخذه يوسف ودخل الى بيته وقبله وقرأه وبكي وقال
لاولاده هذا كتاب جدكم ثم ان يوسف خرج وجلس على سرير ملكه
وأحضر أولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن أخيكم بنيامين فما
قصدكم غير ذلك قالوا اوف لنا الكيل وتصدق علينا قد مسنا وأهلنا الضر
انا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال لهم هل علمتم
ما فعلتم بيوسف وأخيه فقالوا ائنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي
قد من الله علينا وجمع بيننا ثم انه قصد أن يؤكد المعرفة بذكر المنامات
السابقة وفعلهم فذكرها *(قال)* السدي كان على خد يوسف خال
أسود وفي وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند ذلك تحققوا انه يوسف
ثم انه سألهم عن أبيه فقالوا له قد ابيض بصره ونحل جسده ثم ان يوسف
أعطاهم قميصه الذي كان أتاه به جبرائيل وهو في الجب وكان من الجنة
فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم
أجمعين فقال يهودا أنا أذهب بالقميص وأفرحه بيوسف كما اني أعطيته
القميص الملطخ بالدم وقد أحزنته ثم ان يهودا قد توجه من أرض مصر الى
كنعان في سبعة أيام وأرسل معه مائتي جمل محملة من الزاد والقماش وكان
وصول يهودا يوم الجمعة وكان يهودا يحث السير *(قال)* كعب
الاحبار ان ريح الصبا استأذنت ربها بأن تأتي الى يعقوب بريح يوسف قبل

الجبابرة ﴿قال﴾ السدي لما توفي يوسف جعلوه في حوض من رخام أبيض ودفنوه في أحدى جانبي النيل فاخصب ذلك الجانب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك الحوض في وسط النيل فأقاموا ذلك الحوض بين عمودين من الصوان وجعلوا الحوض في سلسلة من الحديد وسمروها بسكك من حديد في تلك الاعمدة فلما صنعوا ذلك أخصب الجانبان من النيل جميعا ﴿قال﴾ العزيزي توفي يوسف وله من العمر مائة سنة وقد مات قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما يقال

محبتي لا تنقضي ﴿ بسلوة تبطلها ﴿ كأنها دائرة ﴿ أولها وآخرها

﴿قال﴾ السدي ما كان فيهم نبي سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم أنبياء وهم الاسباط الذين ذكرهم الله في القرآن العظيم ﴿قال﴾ السدي ان الملك الريان صاحب مصر توفي في زمن يوسف ويقال انه اسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان بن الوليد ابن ارسلادس وكان حسن السيرة عادلا في الرعية وكان خراج مصر في زمانه ألف ألف دينار ولما وقع الغلاء في أيامه اسقط عن المزراعين بأرض مصر خراج ثلاث سنين وكان من جملة فراعنة مصر انتهى ﴿قال﴾ الكسائي ان يوسف هو أول من أظهر علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون ذلك وهو أول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياسا موقتا وهو الذي حفر خليج المنتهى بالفيوم ﴿ومن﴾ العجائب ان الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام ولو انقطع ماؤه من النيل وهو أول من خص بتعبير الرؤيا وأول من خزن القمح في سنبله وأول من أظهر القراطيس أي الورق البلدي ﴿قال﴾ ابن الهيعة في اخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذي بنا مدينة الفيوم ودبرها بالوحي من جبرائيل وكان أرضها مغايص الماء فدبرها حتى أخرج عنها الماء وجعل بها عشرة قناطر وعمل عليها أبوابا من الحديد وبنا بها من جهة الشمال الى جهة الجنوب حائطا طوله مائتي ذراع بذراع العمل وأحكمه بسبب رد الماء اذا زاد النيل اثني عشر ذراعا وكان على خليج المنتهى عدة

طواحين تدور بالماء قال العزيزى وكان انتهاء العمل منها فى سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزرائه ورأوا ما صنعه يوسف فتعجبوا من ذلك وقال هذه الطواحين كانت تعمل فى ألف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على ثلثمائة وستين قرية منها على مسيرة يوم من مصر وكان فى الفيوم ألف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها فى المواكب وقد سماها الله فى القرآن بالمقام الكبير قال أقام يوسف مدفونا ببحر النيل فى خليج المنتهى نحوا من ثلثمائة سنة حتى ظهر موسى عليه السلام * (قال) * السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنو اسرائيل فأوحى الله اليه بأن يحمل معه جثة يوسف قال موسى يا رب ومن يدرى أين جثة يوسف فأوحى الله اليه أن عجوزة كبيرة قد ذهب بصرها تسمى سارح وهى بنت آشر بن يعقوب فهى تعرف أين مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها عن جثة يوسف قالت ما أدلك على مكان جثة يوسف حتى تحملنى معك الى بيت المقدس وتدعو لى بأن الله يرد على سمعى وبصرى فقال لها موسى أفعل ذلك ان شاء الله تعالى فدعى فرد الله عليها ما سألت فدلته على المكان الذى فيه جثة يوسف فأخذها من خليج المنتهى وكانت فى وسط الماء فحملها معه فى تابوت من خشب وتوجه بها الى بيت المقدس فدفن يوسف عند ابراهيم الخليل عليه السلام ثم ان موسى حمل معه تلك العجوز سارت كما شرطها * (قال) * السدى فمن حين نقلت عظام يوسف من الفيوم تناقصت البركة منها فى زرعها وغلالها ومواشيها * (قال) * الكسائى كان بين مولد موسى ووفاة يوسف مائتى وثلاثين سنة وكان مولد يوسف بأرض كنعان ومولد موسى بمصر تمت قصة يوسف عليه السلام * (ذكر قصة أيوب الصابر عليه السلام) * قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب الآية * (قال) * كعب الاحبار كان أيوب من الروم وهو من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ولم يجىء من نسل العيص سوى أيوب وكانت زوجة أيوب تسمى رحمة وهى بنت افرايم بن

يوسف عليهم السلام *(قال)* العزيزي كان أيوب نبيا فى زمن يعقوب وقد بعث الى أهل حوران من نواحى دمشق *(قال)* السدى كان أيوب فى سعة من المال وكان لا يفتر عن قرى الاضياف ويأوى الغربا وكان يتعانى المتجر والزروع وله عدة أولاد وعيال كثيرة *(قال)* وهب بن منبه كان لايوب عبادات يقصر عنها العابدون فحسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس فى تلك الايام لا يمتنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون عن أيوب خيرا لكثرة عبادته وجوده واقرائه الاضياف قال ابليس اللعين لو كان أيوب فقيرا ما عبد الله فلو سلطنى على ماله لترك العبادة فأوحى الله الى ابليس أنى قد سلطتك على ماله فجمع ابليس جنده ومضى الى ذرعه ومواشيه فلم يشعر أيوب الا وقد اثارت نار عظيمة من تحت الارض فأحرقت جميع ذرعه وهبت على مواشيه فأحرقتها عن آخرها ثم ان ابليس أتى الى أيوب وهو قائم يصلى فى محرابه فقال له ان الذى تصلى له قد أحرق جميع ذرعك وأهلك وجميع مواشيك فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وأخذ منى ما كان وهبنى فرجع ابليس خائبا ثم صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت صبر أيوب قال هو على ثقة من ربه فلو سلطنى الله على أولاده لما كان يصبر فأوحى الله اليه انى قد سلطتك على أولاده فمضى ابليس وحرك الدار على أولاده وعياله فسقطت الدار عليهم فهلكوا أجمعين فأتى ابليس على أيوب وهو قائم يصلى فى المحراب وقد أتى اليه على صورة دايتهم فناحت بين يديه وبكت وضجت فقال أيوب ما الخبر فقالت قد سقطت الدار على أولادك وعيالك فهلكوا أجمعين فقال أيوب الحمد لله الذى أعطى وأخذ ثم جاء ابليس فى صورة خادمهم فقال له لو رأيت أولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت بطونهم وأمعاؤهم فلا زال يقول وينوح حتى رق قلب أيوب وبكى وقال ياليتنى لم اخلق فابتهج ابليس بهذه الكلمة ثم ان أيوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب ثم ان ابليس صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف

رأيت أيوب قال هو على ثقة من ربه ثم قال ابليس فلو سلطنى الله على جسده لما صبر على ذلك فأوحى الله اليه انى قد سلطتك على جسده فرجع ابليس وأتى الى أيوب فوجده قائما يصلى فدنى منه ونفخ فى انفه نفخة فاشتعل منها دماغه وقدمه ومابينهما فخلت جسده بالحجارة حتى تقطع لحمه وسقطت أظفاره وذاب لحمه وظهرت عظامه وأنتن لحمه ودود جسده وكان أيوب متزوجا بثلاث نسوة فلما رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان وبقيت رحمة عنده فأتى ابليس الى أهل تلك القرية التى أيوب فيها فقال لهم أخرجوا أيوب عنكم والا فيعديكم فى أجسامكم من رائحته فقال أهل القرية لرحمة أخرجى أيوب عنا والا قتلناه فحملته رحمة على أكتافها وأتت به الى خرابة هناك ففرشت تحته التراب فنام عليه ﴿قال﴾ وهب بن منبه نام أيوب على التراب مطروحا والدود يرعى فى لحمه سبع سنين ولم يقرب اليه أحد سوى زوجته رحمة فكانت تذهب الى أهل القرية وتعمل لهم أشغالهم وتأتى الى أيوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام فجاء ابليس الى أهل تلك القرية وقال لهم لا تدعوا رحمة تعود تدخل عليكم فتعديكم من حال زوجها فقال أهل القرية يارحمة ابعدى بزوجك عنا والا قتلناك بالحجارة فحملته على أكتافها وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه وجعلت تحت رأسه حجرا وقالت له ياأيوب اطلب لك العافية من الله فقال يارحمة حولنا الله فى نعمائه فنصبر على بلائه فكانت رحمة تذهب وتقف على الابواب فيطردونها ويقولون لها اذهبى عنا ولا تعدينا من رائحة زوجك فلما بلغ بها الجهد ومضى أيوب الجوع عمدت الى ظفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف وأتت به الى أيوب فقال لها أيوب من أين لك هذا الرغيف فأخبرته بما كان من شعرها فلما سمع أيوب بكى بكاء شديدا وصبر *(ومما يحكى من موافات النساء)* قال أبو الفرج الاصفهانى أن رجلا من العرب يقال له هدبة بن حشوم أمر بقتله معاوية ابن أبى سفيان فلما تحقق الاعرابى ذلك أرسل خلف زوجته تحت الليل

فأتت اليه وهى تختال فى ثوب خز والمسك يفوح منها وقد زنت خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا يتحدثان ثم انه تباكيا ثم انه نام معها وكان بينهما ما كان فلما أصبح الصباح أخرجوه من السجن ومضوا به الى القتل فالتفت الى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل اليها وأنشأ يقول

أقلي من اللوم وارحمي لمن رعى * ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى جدار الحائط وأخذت سكينا وقطعت بها انفها ثم التفتت اليه وقالت له هل بقي بعد ذلك من الحسن شئ يوجب النكاح فمشى فى قيوده وقال الآن طاب الموت فقتل *وقال الثعلبي* بينما امشي فى شوارع البصرة واذا أنا بامرأة من أجمل النساء وجها وأظرفهن شكلا وهى تقبل شيخا هرما سمج الوجه والخلقة وهى تحادثه وتلاعبه وتضحك فى وجهه وتفلي قميصه من القمل فلما رأيت ذلك كله دنوت منها وقلت لها يا هذه من يكون هذا الشيخ السمج منك فقالت هو زوجي فقلت لها وكيف تصبرين على سماجته وقبح وجهه مع وجود حسنك وجمالك ان هذا العجب فقالت يا هذا أتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلي فشكر ورزقت أنا مثله فصبرت والصبور والشكور فى الجنة أفلا أرضى بما رضى الله تعالى لي من هذا الامر فتركتها وانصرفت عنها وقد أعجزني جوابها *ومما رواه معاذ بن جبل* رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو خرج من أحدكم قيح أودم فمسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة فى تابوت من نار ويهوى بها الى قعر جهنم *قال* وهب بن منبه ثم ان ابليس اللعين تصور لرحمة زوجة أيوب فى صورة طبيب فقال لها أنت زوجة أيوب المبتلى قالت نعم قال أنا اداويه من هذه العلة بشرط انه اذا ذبح لا يسمي وانه يشرب الخمر فيشفى فلما رجعت الى أيوب أخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا ابليس اللعين فغضب أيوب على رحمة وحلف يمينا عظيما انه

اذا شفى من هذه العلة ليجلدن رجمة مائة جلدة حيث انها لم تقل لابليس ان الله هو الذى يشفيه ثم ان أيوب بكى وقال الهى انى لم أكن قط بين أمرين الا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضاى وما شبعت من الطعام قط خوفا أن أنسى فبأى ذنب أخذتنى به فأوحى الله تعالى اليه يا أيوب هل صبرك على البلاء بتوفيقى أم بتوفيقك وأوحى الله اليه ثانيا يا أيوب لولا انى جعلت تحت كل شعرة فى جسدك صبرا لما كنت تطيق دودة واحدة فى جسدك *(قال)* الكسائى ان الدود لم يزل يرعى فى جسد أيوب حتى وصل الى لسانه فخشى أن يشغله عن ذكر الله فعند ذلك قال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين *(قال)* الله تعالى فاستجبناله ونجيناه من الغم فاستجبناله وكشفنا ما به من ضر *(قال)* السدى لما قال أيوب رب انى مسنى الضر فعلم الله تعالى انه قد جزع لاجل الله تعالى فجاء اليه جبرائيل عليه السلام برمانة من الجنة وقيل بسفرجلة فوقف مقابل أيوب فقال له أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذى آنست بك من بعد ما نفرت عنى الاصحاب والاحباب فدنى منه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلما أكلها ونزلت فى جوفه تناثر تلك الدود الذى فى جسده جميعه فقال له جبرائيل يا أيوب قم فقال وكيف أقوم ولم يبق لى حيل ولا قوة فأخذ جبرائيل بيده ومشى به اثنى عشر خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حارة ثم قال له اركض برجلك اليمنى فظهرت له هناك عين ماء باردة فقال له جبرائيل اغتسل من الحارة واشرب من الباردة فلما شرب واغتسل عاد اليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة النقية ثم أتاه جبرائيل بحلة من الجنة وألبسه اياها وتوجه بتاج من الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى أيوب ركعتين شكرا لله تعالى على نعمته ورضائه وقد قيل فى المعنى

ماضاق بالمرء أمر فاستعد له * عبادة الله الا جاءه الفرج
وما ألم بباب الله ذو تعب * الا تزحزح عنه الهم والحرج

(قال) وهب بن منبه لما اغتسل أيوب من تلك العين تناثر الدود وصار فراشا من ذهب وطار في الآفاق فصار نعمة بعد ان كان بلاء *(قال)* السدى ان اليوم الذى اغتسل فيه أيوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك الاقباط تتراشش بالماء في يوم النيروز قال وكانت رحمة غائبة في طلب القوت لأيوب فتعرض لها ابليس في الطريق وقال لها يارحمة الى متى هذا التعب والجهد العظيم في حق من لايخلص من البلاء والمرض وقد وعدك اذاعوفي يجلدك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه وأقبلت نحو أيوب فجعلت تطوف عليه في الفضا فلم تجده فأخذت تنادى وتقول ياأيوب هل أكلتك السباع أم بلعتك الارض ثم ان أيوب نادى رحمة فقال لها ياجارية ماتطلبين قالت أريد الصابر قال وكان أيوب لابس الحلل وعلى رأسه التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة في خير وعافية فاشتبه على رحمة لانه كان في بلاء وعنا فلم تعرفه فقال لها أيوب هل لك في أيوب علامة تعرفينها فتأملته فقالت انك تشبه أيوب فضحك في وجهها وقال أنا أيوب وقد عافاني ربي فنزل جبرائيل وأشار الى داره فعمرت وأحيى الله تعالى له أولاده ورد عليه مواشيه وزروعه ونسى أيوب ما كان قاساه من البلاء والمحنة في السبع سنين وهو صابر وقد قيل في المعنى

كن مدبرك الحكيم * عزوجل على وجل
وارض القضاء فانه * حتم اجل وله اجل

(قال) السدى لما عوفى أيوب من بلائه بقى متحيرا من يمينه الذى حلفه وتوعد به رحمة عن المائة جلدة فضاق صدره لذلك فأتاه جبرائيل وقال له ياأيوب خذ مائة عود من أصول السبل واجمعها حزمه واضرب بها ضربة واحدة لرحمة فتخلص من اليمين ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه *(قال)* السدى واستمر أيوب في نعمة حتى مات وله من العمر ثلاثة وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله أعلم ولما مات دفن بحوران وكانت أم أيوب بنت لوط عليه السلام ولما مات كانت أولاده تسير على سيره من

العبادة والطاعة وكان أكبرهم حوميل وبعده مقبل ورشد ورشيد وبشير وكان في زمانهم ملك يقال له لام بن دعام وهو من ملوك الشام

ذكر قصة ذو الكفل قال كعب الاحبار لما قبض الله تعالى أيوب عليه السلام تغلب على أولاده الملك لام بن دعام فأرسل هذا الملك الى أولاد أيوب ليزوجوه بأختهم بنت أيوب فأرسلوا اليه وقالوا ليس في ديننا ان نزوجك وأنت على الكفر فان أحببت فادخل في ديننا فنزوجك اياها فلما سمع الملك ذلك هددهم وعزم على قتالهم فبلغ ذلك أولاد أيوب فنهم من أشار بقتاله ومنهم من أشار بمداراته بالمواعيد فعند ذلك قال حوميل بن أيوب لابد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز أولاد أيوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان فاقتتلا قتالا شديدا فوقعت الهزيمة في جيش حوميل بن أيوب واحتوى لام على جميع أموالهم وأملاكهم وأسر من قومهم ناسا كثيرة وفيهم بشير بن أيوب فهم الملك بصلبه وبعد ذلك حبسه يريد الفدية فأراد أخوه حوميل أن يرسل له الفدية ولكنه رأى في منامه قائلا يقول يا حوميل لا ترسل الفدية ولا تخف على أخيك وان هذا الملك سيؤمن وتكون عاقبته الى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه الفدية فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فأمر أن يتخذوا خندقا ويجعل فيه النار ليحرق بشير بن أيوب فعند ذلك أحضروا الجنود النار وأوقدوها واحتملوا بشيرا وألقوه فيها فلم تحرقه النار فتعجب الملك لام من ذلك وقال ان هذا السحر عظيم فقال له بشير أيها الملك لسنا بساحرين وانه كان لنا جد يقال له ابراهيم الخليل ففعل به النمرود كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما وكذلك يفعل الله بأولاده فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام فزوجوه بأختهم وسمى الملك بشير ذى الكفل لانه لما أراد الملك الفدية تكفل بشير بايصال الفدية اليه من اخوته ثم ان حوميل أرسل أخاه ذا الكفل رسولا الى جميع أهل الشام

باذن الله تعالى وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى مات حوميل ثم مات بشير ذو الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على أهل الشام العمالقة الى أن بعث الله شعيبا انتهى على سبيل الاختصار *ذكر قصة نبي الله شعيب* عليه السلام قال كعب الاحبار ان أسماء ملوك مدين منهم أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من العمالقة وقال ابن عباس رضي الله عنه معنى أبي جاد أبي آدم الطاعة وجد في أكل الشجرة ومعنى هوز أول من نزل الى الارض ومعنى حطي حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى كلمن أكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى سعفص عصى آدم ربه فأخرجه من النعمة الى النكد ومعنى قرشت أقر بالذنب وسلم من العقوبة وقال قتادة هي أسماء ملوك أصحاب الايكة قال كعب الاحبار ان مدين بن ابرهيم عاش عمرا طويلا وكان له امرأة من العمالقة فولدت له أربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا فصار منهم خلق كثير فدعى مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم انكم تكاثرتم والراى عندى أن تبنوا لكم مدينة كبيرة حصينة حتى لا تخافوا على أنفسكم من العمالقة قال فبنوا مدينة وحصنوها ومنعوها وسموها باسم جدهم مدين وجعلوا فيها محلات وجعلوا في كل محل قبيلة فرغبت العمالقة في مجاورتهم فلم تبق تسعهم فخرجت العمالقة من مدين ونزلوا كلهم بالايكة وهي قرية قريبة من مدين فكان أهل مدين يعبدون الله وأهل الايكة يعبدون الاصنام ولا يغير بعضهم على بعض وكان في المدينة رجل من عبادهم يقال له صنعون وهو والد شعيب وكان تحت صنعون امرأة من العمالقة فولدت له ولدا وهو شعيب واسمه بيرون لما كان غلام وكان سبب تسميته شعيب لان والده لما كبر سنه وضعف فخاف على نفسه من كثرة القوم فرجى أن يسعفه ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك لي في شعيبي أي ولدي فتغلب عليه اسم شعيب فقالوا له شعيب وسقط عنه الاسم الاول ثم توفي أبوه صنعون فقام شعيب مقام أبيه وبرز

بالزهد والعبادة على أهل زمانه من أهل مدين واشتهر بذلك قال وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون بها الاجل الغلاء فهم أول المحتكرين وكان لهم مكيالان مكيال وافى لاجل الشراء ومكيال ناقص لاجل البيع وميزانان أيضا كذلك فكانوا على ذلك وشعيب لا يعاشرهم ولا يداخلهم وكان له غنم وبنهاه من أبيه يأكل من لبنها حلالا طيبا فبينما هو جالس على باب داره يذكر الله اذ أقبل عليه رجل غريب فسلم عليه وقال يا شعيب أنت رجل صالح وانى اشتريت من رجل مائة كيل من الطعام بمائة دينار فلما أخذتها واكتلتها انقصت عشرون كيلا والتمس من شعيب أن يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه الى عند القوم فسألهم عن قضية المشترى فقالوا ألم تعلم يا شعيب أن ذلك سنتنا نأخذ بالوافر ونعطى بالناقص فقال شعيب ليس هذا من سنة الله فاتقوا الله واعطوا الرجل حقه فلما رؤه على غير سنتهم سبوه وكذبوه وجفوه *(مبعث شعيب عليه السلام)* فنزل عليه جبرائيل فى الحال وقال السلام عليك فقال له من أنت فأخبره جبرائيل أن الله أطلع على سريرته ويأمره أن يكون رسولا الى أهل مدين وأصحاب الايكة وغيرهم ممن يعبد الاصنام ويأمرهم بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمته وينهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فتوجه شعيب الى ما أمره الله به حتى أتى الى القوم فقال يا قوم اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الاصنام فان الله قد أرسلنى اليكم لانهاكم عن معصيته وأحذركم نقمته وأنهاكم عن بخس المكيال والميزان وذلك قوله تعالى يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان فقالوا يا شعيب لن نترك ما يعبد أباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وليس معك حجة وعرفناك وعرفنا أباك ولو اشئنا لاخرجناك ولكننا لا نفعل ذلك حتى نجتمع نحن وبنو اسرائيل ونشكوا سوء فعالك قال فانصرف عنهم بعد كلام كثير ثم عاد اليهم فى اليوم الثانى وقد

اجتمعوا ومعهم ملكهم أبوجاد فوقف عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فقالوا له قومه مانفقه كثيرا مماتقول ثم عاد اليهم من غد فقالوا انالنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال فأخذ القوم بالاستهزاء فقال اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب قال وأقبل عليه سادات قومه من أهل مدين والايكة وقالوا ياشعيب انك رجل ترجع الى حسب ونسب والى عفاف عرفناك به فان كنت تريد الرياسة والاموال شاركناك بها واترك ذكر آلهتنا الا بخير فقال ما أريد منكم وانما أريد أن أنصح لكم وأن لا تعبدوا مالا ينفعكم ولا يضركم وأن تعطوا كل ذى حق حقه فعند ذلك اجتمع القوم جميعهم وجاؤا به الى حضرة أبى جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا مايجرى بينهم فأمرهم شعيب ونهاهم وحذرهم فذكر لهم مانزل بقوم نوح من الغرق وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الدمدمة وبقوم ابراهيم من الزلازل والبعوض وبقوم لوط من الانقلاب وارسال الحجارة فقال كلمن ياشعيب ان كان الامر كما تقول فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين ﴿قال﴾ الكسائى لما انصرف شعيب أتاه وزير من وزراء الملوك وآمن به سرا وكتب عنده شعرا قاله حين أسلم

شعيب بن صنعون أتى برسالة * وخص بها من دون رهط أبى عمر
بحق أتاهم صادقا فغدوا به * وجاؤا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدوا وأعرضوا * عن الحق والانذار ضاق بهم صدرى
فجئت شعيبا تابعا ومصدقا * لارجوا ثواب الله فى آخر العمر

﴿ثم﴾ بعد ذلك قالوا كلهم ياشعيب ألك حجة فيما تقول قال نعم فان نطقت الاصنام بصدق ماتقول فتكن قد جئت بالحق فرضى كل القوم بذلك لانهم ظنوا ان أصنامهم لاتنطق بمثل مايريد شعيب فتقدم شعيب الى الاصنام فقال من ربكم ومن أنا فتكلمى باذن الله فانطقها الله الذى أنطق

كل شيء فقالت الاصنام ربنا الله ورب كل شيء وخالقنا وخالق كل شيء
وأنت ياشعيب رسول الله ونبيه وتنكست عن سرائرها ولم يبق منها صنم
صحيح فارسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فبادر الملك
والناس مسرعين الى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب في ذلك اليوم
خلق كثير رجال ونساء فأرسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لا تخافوا
فأمر الملك أبو جاد أعوانه أن يترصدوا الشعيب ولمن آمن به ويقتلوهم فعند
ذلك قال شعيب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين واذا
بريح قد هاجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى القوم بأنفسهم
في الآبار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لا يزدادوا الا عتوا ونفورا
وشعيب يحذرهم فيقولوا هذا من فعل ربكم ونحن نصبر فأرسل الله عليهم
الذباب الازرق يلذغهم كلذغ العقارب وربما قتل من أولادهم وأشغلهم
الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به وهم لا يؤمنون فهبت عليهم
ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب
وشعيب ينادبهم الى أين تهربون فليس لكم الا التوبة فيقولون ياشعيب
نحن نكفر بك وبربك فزدنا مما نحن فيه واذا بسحابة سوداء قد أظلتهم
فنصبوا لهم ظلة فاستظلوا بها جميعا فأظلمت الارض عليهم حتى لم يبصر
بعضهم بعضا واشتد عليهم الحر وأوحى الله الى شعيب ومن معه أن اخرج
أنت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابي بهم ثم زمت السحابة
بوجهها وحرها وضربت القوم بعضهم في بعض وأضرمت فأحرقت
جلودهم وأكبادهم وجميع ما كان على وجه الارض والمؤمنون ينظرون
اليهم ولم يصل شيء من العذاب الى المؤمنين فذلك قوله تعالى ولما جاء أمرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة
يعني صيحة جبرائيل فأصبحوا في ديارهم جاثمين فأقبلت أخت الملك كلمن
وكانت قد آمنت بشعيب فأبصرت أهلها فوجدتهم قد نضجت جلودهم
وجاء شعيب فقسم أموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين

ورزقه الله رزقا حسنا ولم يزل مقيما بأرض مدين حتى كف بصره وجاه
موسى فتزوج بابنتيه انتهى على سبيل الاختصار ﴿قصة موسى بن
عمران عليه السلام﴾ ﴿قال﴾ وهب بن منبه لما أمات الله الريان بن
الوليد ملك مصر وكان مكرما عند بني اسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية
فلك بعده ابنه سنجاب (قال) وكان بمصر رجل يقال له مصعب يرعى الغنم
وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت
عجلا فحسدها فأنطق الله البقرة فقالت يا مصعب سيولد لك ولد ذكر
ويلون من أركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات مصعب
قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده أتت بالوليد بن مصعب فلما كبر
وبلغ سلمته أمه الى النجارين فتعلم صنعة النجارة وأتقنها ثم ولع بالقمار ولم
يكن له صبر عنه فعاتبته أمه بذلك فقال يا أمي كفي عني فاني فرعون نفسي
فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف الا بعون فلازال يقامر و يغلب حتى لم يبق
عليه ثوب فتستر بخرقة لا تواريه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل
فرعون وغاب مدة و رجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له أمه هل تريد
تشتغل بالنجارة فقال لا لا أرضى الا بما تريده نفسي فوجد معه درهما
فاشترى به بطيخا وجلس على قارعة الطريق ليبيعه واذا بعريف الطريق
طلب منه درهما فقال فرعون يا هذا ليس معي الا شيء قيمته كله درهما فقال
العريف أمر الملك أن يؤخذ من كل بايع درهم فغضب فرعون وخلا رحله
ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب و يسرق فيهرب مرة و يحبس مرة
فاتفق ان رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدر أن يضبطه فوثب
فرعون الى الفرس وضبطه بلجامه وأوقفه فقال العملقي يا فرعون أراك
قويا فلو أقمت عندي اتخذتك سايسا فرضي فرعون وأقام عند العملقي
مدة يخدمه حتى مات العملقي ولم يخلف أحدا من الورثة فاحتوى فرعون
على جميع ماله وحمله الى أمه ولم يزل فرعون ينفق من ذلك المال حتى نفد
منه فوقع في قلب فرعون أن يقعد على باب مقابر مصر و يطالب أرباب

الجنائز بشيء ويظهرانه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساطا
وجعل له خادما وكان الناس يعطونه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات
للملك بنية فتعلق بجنازتها فرعون فأخبروا الملك بذلك فاستدعاه فحضر
ودعي للملك وقص عليه قصته فهم الملك بقتله فأفدى نفسه بمال جزيل
فطابت نفس الملك بالمال وأراد أن يقره على عمله فنهته أرباب دولته وقالوا له
هذا أمر قبيح فعله وذكره بين الملوك مذمة فقال فرعون أيها الملك اني قوي
على أن يكون أمر الحرس في يدي وكان الملك كثير الاعدا فخلع الملك عليه
وجعله أمينا على الحرس فاتخذ فرعون قبة في وسط البلد وجعل له أعوانا
للحرس شداد البأس ﴿قال﴾ فرأى الملك في منامه ان عقربا أسود اله
شعاع قد ملأ المدينة فلدغ الملك فأفاق الملك من منامه مرعوبا فركب
بالليل وقصد وزيرا من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فأخذه الى القبة
فقص الملك لفرعون ما رأى فعند ذلك أخذ فرعون سيفا وقتل الملك سرا
وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على
رأسه وفتح الخزائن واستدعى بالوزراء وأصلحهم بالمال ودانوا له فأول من
دخل عليه وسجد بين يديه كان هامان وكان غلاما السنجاب وقال كعب
الاحبار أول من سجد بين يديه ابليس اللعين وأول من سماه الهاوربانم
سجد هامان والوزراء والاعوان والكهنة ثم بعث فرعون الى أسباط بني
اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فاقبلوا وسجدوا بين يديه ولكنهم قصدوا
بالسجود سر الله المعبود ﴿قال﴾ فجاء ابليس على الصورة التي سجد بها
لفرعون فقال أيها الملك أنا أتخذ لك صنما تنفرد به ولقومك أصناما فقال
افعل ما بدا لك وأمر فرعون باتخاذ الاصنام وبعبادتها وكان بنو اسرائيل
يعبدون الله سرا ﴿قصة آسية بنت مزاحم﴾ قال كعب الاحبار ان آسية
كان أبوها مزاحم قد تزوج بأمها في الليلة التي تزوج فيها يوسف الصديق
بزليخا فلما حملت امرأة مزاحم بآسية رأى مزاحم في منامه كأن شجرة
خضراء خرجت من ظهره واذا بغراب قد انقض عليها وقال أنا صاحب هذه

الشجرة فانتبه مزاحم وقص ذلك على يوسف الصديق فقال يوسف ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرين سنة واذا هي بطائر مثل الحمامة وفي فمه درة فرمى بها في حجر آسية وقال يا آسية خذي هذه الخرزة فاذا اخضرت فهو أوان تزويجك واذا احمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فأخذت الخرزة وربطتها على عضدها وأخذت في العبادة واشتهر أمرها بالخيرات فوصفت لفرعون فأحب أن يتزوجها فخطبها من أبيها فاغتم أبوها لذلك وقال ان ابنتي صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها مهرا فأبى فرعون فتلطفوا بفرعون الى أن أرسل اليها خلعة ومهرا فأبت فتلطفوا بها لاجل مداراة فرعون وقالوا لها أنت على دينك وهو على دينه وكان قد أمهرها عشرة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة وبنى لها قبة عظيمة وجعل لها جواري كثيرة وأمر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضي بالنظر منها فقط ﴿ذكر الآيات التي رآها فرعون﴾ قال فبينما هو نائم في قبة آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون قد قرب زوال ملكك على يد فتى من بني اسرائيل قال فرعون سمعت يا آسية قالت نعم ﴿آية أخرى﴾ بينما هو ذات يوم نائم على سريره واذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وتحت الشاب أسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب بها رأس فرعون وهو يقول انظر نفسك وأين من أنت وأخذه برجله ورماه في البحر فلما أفاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا أحلنا فأجلهم فلما خرجوا قالوا لبعضهم هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاء الأجل خافوا منه فقالوا له أضغاث أحلام ﴿آية أخرى﴾ فلما كان الليلة الثالثة رأى ذلك الشاب قد أتاه وتلك العصا بيده فضرب بها رأسه قال ويلك يا فرعون ما أقل حياءك من اله السموات والارض ورأى بعد ذلك ان آسية صار لها جناحان فطارت بهما بين السماء والارض ودخلت في السماء وهو ينظر

اليها ورأى الارض فدانفجرت فأدخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه فقالوا ان هذه الرؤيا تدل على مولد يولد و يسلب ملكك ويزعم انه رسول اله السماء والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه *(حديث قتل الاطفال)* فاستشار فرعون وزرائه وقومه فأشاروا أن يوكل على الحبال ان تحمل الى داره وتكون ولادتهم هناك فان كان ذكرا يقتله وان كان انثى تركها ففعل ذلك حتى قتل اثنى عشر آلاف طفل فضجت الملائكة الى ربها فقالوا الهنا وخالقنا أنت الفعال لما تريد فأوحى اليهم ان لهذا الامر أجل ممدود فبشرهم بموسى وحمل أمه به وكان فرعون أمر وزرائه وأرباب دولته أن لا يفارقوه لان الكهنة قالت له ان هذا المولود يكون من أقرب الناس اليك وكان عمران منع أيضا فبينما عمران جالس على كرسيه اذ رأى زوجته وقد حملها ملك وجاء بها الى جانب عمران فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت تلك الليلة بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من حوض فى دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها الى مكانها وكل ذلك تحت الليل و لم يعلم بذلك أحد من الناس وكان فرعون عين نساء يطوفون فى البلدة فكانوا يطوفون على النساء جميعا الا امرأة عمران لم يدخلوا عليها لعلمهم ان عمران لا يفارقه فرعون فلما تم لحمله تسعة أشهر أخذها الطلق فى نصف الليل ولم يكن عندها أحد الا أخته فوضعته وهو نور يتلألأ ففرحت به وهى مكروبة خائفة عليه فتنكست الاصنام واصبح فرعون مغموما مهموما يجد فى طلب المولود واتفق ان الوزير هامان وقع فى قلبه ان الولادة فى بيت عمران فأخذ معه الاعوان ودخل الى دار عمران فجعل هامان يفتش الدار حتى لم يترك شيأ ونظر الى التنور فرآه يفور نارا ورأى العجين بجانبه فلم يشك بذلك وخرج وكانت أم موسى غائبة فى حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رأت هامان وهو راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الى الدار ونظرت الى التنور فوجدته بالنار يفور وكانت لما خرجت وضعته فى التنور وجعلت عليه وقودا حتى اذا رجعت

خبزت ولئلا يراه أحد عند دخول هامان فكان التنور باردا باذن الله تعالى وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فنظرت أم موسى فى التنور فوجدت ابنها سالما فأخرجته وأرضعته فلما بلغ عمره أربعين يوما أقبلت أمه الى نجار بمصر يقال له سونام وقالت اصنع تابوتا طوله كذا وعرضه كذا وأحكمه لئلا يدخل اليه الماء ولا يخرج منه فصنعه وأتقنه وسلمه الى أم موسى فعند ذلك أرضعت موسى وكحلته ودهنته ووضعته فى التابوت وهى باكية حزينة وكان أبوه قد مات وعمره أربعين يوما وأخذت التابوت وأرمته فى بحر النيل نصف الليل فأمر الله الملائكة بحفظه هذا وفرعون مشدد الطلب فى أمر النساء والاطفال ولم يكن له هجوع وبقى التابوت فى الماء أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل يوما واحدا *(ذكر دخول التابوت لدار فرعون)* قال وكان لفرعون سبع بنات وكلهن مرضى وعجزت الاطباء عن مداواتهن فقال الطبيب أيها الملك ليس لهن دواء الا الاغتسال كل يوم بماء النيل فعند ذلك اتخذ خليجا من النيل الى داره واتفق ان ذلك التابوت قذفته الامواج باذن الله حتى أدخلته الى دار فرعون فبادرت البنت الكبيرة وأخذت التابوت وفتحته فاذا فيه موسى فأخرجته بيدها فحين لمسته برئت من علتها فتناولته البنات كلهن وشفين عليه وشفين ببركته واقبلن بالتابوت الى آسية وذكرت لها قصته وكيف دخل وكيف شفين به فأخرجته آسية وقبلته وهى لا تعلم انه ابن عمها فمضت به الى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنات فقال يا آسية أخاف أن يكون هذا المولود عدوى ولا بد من قتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وأمهل به فهو عندك فمتى تبين انه عدو فاقتله *(قصة رضاعه)* ثم انهم أعرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم ان أمه قالت لاخته كاثم اخرجى وخذى خبر اخوك فخرجت الى عند آسية فنظرت واذا هو فى حجر آسية فقالت كاثم أنا أدلكم على من يكفله لكم وذهبت الى أمها وأخبرتها بذلك فقامت من ساعتها ودخلت على فرعون وموسى بين

يديه فعرفتها آسية انها امرأة عمها فقالت لها ارضعي عليه لبنك فلما أخذته أمه فوجد رائحتها فارتضع منها فقال فرعون أرى لك ابنا عزيزا فهل لك ولد قالت هل ترك الملك ولدا ولم يقتله فظن ان ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم انها امرأة عمران فقالت لها آسية أحب ان تكوني عندي فأقامت عندها سنتين حتى استغنى عن الرضاع فلما همت أمه على الانصراف أمرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب الفاخره وذهبت غنية مستبشرة ﴿عجائب موسى صلى الله عليه وسلم﴾ فلما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون في حجره فمد موسى يده الى لحية فرعون ومعط منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا شديدا وقال هذا عدوي وهم بقتله فقالت آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وأنا آتيك بدليل وأمرت باحضار طشت وجعلت فيه تمر وجمرة وقدمته الى موسى فمد يده فضرب جبرائيل بيده الى الجمرة فاحترقت يده فرفعها الى فيه وأخذ بالبكاء الشديد فسكن غيظ فرعون ﴿آية أخرى﴾ فلما تم لموسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبانا وضرب برجله قوائم السرير فكسر منه قائمتين فسقط فرعون فانهشم انفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداك فسكن غضبه ﴿آية أخرى﴾ فلما صار لموسى من العمر اثني عشر سنة قعد يوما على المائدة وعليها جمل مشوي فقال موسى قم باذن الله فقام قائما على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل على آسية فأخبرها بذلك فقالت ألا يسرك أن يكون لك ولد يأتي بمثل هذه العجائب فسكن غضب فرعون ﴿آية أخرى﴾ فلما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج يوما يتوضأ و وقف يصلي فقال رجل من خواص الملك ياموسى لمن تصلي قال لسيدي ومولاي فقال الرجل اتعني أباك فرعون قال على فرعون لعنة الله وعليك معه وكان ذلك داب موسى يلعن فرعون وكل من أتى ليخبر فرعون بما شتم فيسلط الله فرعون على من يريد الاخبار قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم

من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار *(آية أخرى)* علم أهل مصر انه من أراد أن يوشي للملك بما يفعل موسى فيتسلط عليه ويضره قبل أن يوشي فكانوا لا يخبروا فرعون بشيء من فعل موسى الا بالجميل *(قال)* فلما صار لموسى أربعين سنة وبلغ أشده وكان موسى يذكر لبني اسرائيل ما عليه فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبغض أهل الكفر *(حديث القبطي)* وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فرىه فتى من بني اسرائيل ممن كان يجالس موسى بجذبه القبطي ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال موسى خلي سبيله فأبى القبطي فوكزه موسى في صدره فمات فندم موسى على قتل القبطي خوفا من الله فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له فلما أصبح اليوم الثاني صار موسى خائفا من فرعون لان فرعون علم بذلك الامر فبينما موسى خائفا يترقب واذا الذي استنصره بالامس يستصرخه على قبطي آخر هو بن أخي المقتول وكان هذا القبطي يطالب الاسرائيلي بدم عمه ويريد يأخذه الى فرعون فطلب الاسرائيلي من موسى ان يعينه على القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين أغويتني بالامس حتى قتلت رجلا وتريد اليوم تغويني لاقتل آخر ففزع الفتى من كلامه وعلم ان موسى ندم على ما فعل بالامس وعلم القبطي ان الاسرائيلي لم يقتل عمه وانما قتله موسى فأطلق القبطي الاسرائيلي وجاء الى فرعون وأخبره ان موسى قتل عمه فأرسل فرعون في طلب موسى وأذن لاولياء المقتول أن يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجل يسمى حزقيل مؤمنا من آل فرعون لما سمع ذلك أتى الى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج موسى خائفا الى نحو أرض مدين خائفا بغير زاد متوكلا على الله *(قصة موسى لما كان بأرض مدين)* فوصل الى مدين في اليوم السادس فوجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم واذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان

فقال موسى ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابقي الماء اواشينا وأبونا شيخ كبير في هؤلاء القوم وهم يحسدونه على ما آتاه الله وكان الرعاة اذا فرغوا من السقي يضعون حجرا كبيرا على رأس البئر لئلا يقدر أحد على شيء من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال موسى للمرأتين قربا أغنامكم الى الحوض ثم تقدم فضرب الصخرة برجله فدحاها أربعين ذراعا عن رأس البئر وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى الى الظل وهي شجرة كانت هناك فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فتمنى موسى في ذلك الوقت شبعة من خبز الشعير فلما أتت المرأتان الى أبيهما وهو نبي الله شعيب ﴿فقال﴾ لهما انكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى معهما فقصتا عليه خبر موسى ﴿فقال﴾ شعيب لاحداهما وكانت شديدة الحيا اذهبي فأتني به فاقبلت الى موسى وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخري الى خلفي ودليني على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك قدامك حتى دخل المدين فأذن له شعيب بالدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذي جاء بك الى أرض مدين فقص عليه موسى كما قال تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فدعى شعيب بالطعام فأكل وحمد الله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين ﴿فكان﴾ من قوته انه دحى الحجر عن البئر برجله وكان لا يرفعها الا جمع من الرجال ﴿وكان﴾ من أمانته تأخير المرأة عنه لئلا ينظرها ﴿فقال﴾ شعيب يا موسى اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك فرضي موسى وقال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت من الثماني أو العشر فلا عدوان علي أي لا سلطان على فرضي شعيب ﴿قال﴾ فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفورا بحضرتهم ثم أدخله

عليها فلما أراد موسى الانصراف مع الغنم قال له شعيب ادخل الى هذا البيت وخذ عصاة فدخل موسى ونظر الى عصى الانبياء معلقة فأخذ من جملتها عصاة حمرا *(فقال)* شعيب أرنى هذه العصا التى أخذها موسى فلما المسها شعيب قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرنى ما أخذت ففعل موسى ذلك مرارا فكان كلما وضعها وأخذ غيرها فلا يخرج بيده الا تلك العصا *(فقال)* شعيب يا موسى خذها فهى من أشجار الجنة أهداها الله لآدم يا موسى وانى موصيك بها فاحفظها وان أهل مدين يحسدونى فيدلوك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى فاعترف فخرج موسى بغنم شعيب وكانت أربعين رأسا فلا زالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعمائة وكان لا يجسر أحد من الرعاة أن يسقى قبل موسى *(قال)* فلما بلغ موسى الثمانى حجج قال شعيب مهما من الغنم ذكورا فى السنة التاسعة فهو لك وفى السنة العاشرة أناثا فهى لك فرزقه الله فى التاسعة ذكورا كلهم وفى العاشرة أناثا كلهن *(خروج موسى من ارض مدين)* فلما عزم موسى على الانصراف بكى شعيب وقال يا موسى كنت مباركا على فكيف تخرج بابنتى وقد كبرت وضعفت وكف بصرى وكثر حسادى وغنمى شاردة بغير راعى *(فقال)* موسى طالت غيبتى عن أمى وأختى وخالتى وقد تركتهم فى بلد فرعون فقال شعيب أكره أنى أمنعك عن أملك وهذه ابنتى معك نعم الصاحب لك فكن بها شفيقا ونعم الرفيق أنت وهى وأوصاها كذلك ودعا لهما *(قال)* فسار موسى بأهله وولده وغنمه يريد أرض مصر فلما قرب الى وادى طوى الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فأنزل موسى أهله وضرب الخيمة على جانب الوادى وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فى الحال فجمع موسى حطبا وأخرج زنادا وضربها فلم تورى شيأ واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج من الخيمة متحيرا فى أمر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فاذا هو بنار تلوح فتوجه فى طلبها فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من

الشجرة يعني من عند الشجرة ولم تكن نار بل نور فنودي ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى الى قوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولى فيها مآرب أخرى وهذه المآرب كان يعلق عليها كساه ويستظل بها ويقاتل بها السباع ويعلق عليها زوادته قال الله ألقها ياموسى فألقاها فاذاهي حية تسعى فلما رآها ولى مدبرا ولم يعقب فلما هرب قال له جبرائيل أتهرب من ربك ياموسى وهو يكلمك فرجع موسى الى موضعه والحية بحالها قال الله خذها ولا تخف فأدخل يده في كمه ليأخذها بكمه لانه كان يخاف أن تلسعه فقال جبرائيل ان أذن الله في لسعها لك لا يغني كمك فأخرج يده فأخذها فاذاهي عصا قال الله واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء فمد يده الى تحت أبطه فخرجت بيضاء من غير برص * آية أخرى * مع العصا فآنس موسى وذهب عنه الخوف وقال ياموسى أنا اخترتك لرسالتي لابعثك الى عبد من عبيدى بطر نعمتي وتسمى باسمي وعبد غيري قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي الآية قال الله لقد أوتيت سؤلك ياموسى *(قيل)* لما اشتد بابنة شعيب الطلق سمع بأنينها سكان ذلك الوادى من الجن فاجتمعوا اليها وأوقدوا عندها النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها فلما رجع موسى حمد الله وشكره وتوجه الى مصر *(قال)* وسخر الله لابنة شعيب راعيا من أرض مدين فعرفها فحملها الى أرض شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون فبلغ ذلك شعيبا فرد الى موسى زوجته *(ذكر دخول موسى الى مصر)* فأوحى الله الى هارون أخي موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فرعون لا يفارقه ليلا ولانهارا فأوحى الله اليه في المنام ان أخاك موسى قدم من أرض مدين رسولا وأنت شريكه في الرسالة الى فرعون فانتبه هارون خائفا وظن انه من الشيطان وعاد الى

منامه فعاد اليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له قم الى أخيك وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق وقال له امض ياهارون واستقبل أخاك فكان الريح يلقي الى موسى كلام هارون والى هارون كلام موسى حتى اجتمعا فبشره موسى أخاه هارون بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فقال هارون انى أخاف أن يعلم بنا أحد فقال موسى لا تخف قد قال الله اننى معكما أسمع وأرى فلما وصلا الى باب أمهما قرعا الباب ودخلا ليلا فلما رأت أمهما انهما اجتمعا مدها غشي عليها فلما أفاقت قص موسى عليها قصته جميعها وانه رسول الله الى فرعون وقومه فسجدت لله شكرا فبات موسى تلك الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية أخذ موسى عصاه ومضى فما كان يضرب بها بابا الا وفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار في قبة فرعون فالتقاه نائما وأخوه عند رأسه جالسا على كرسي فنظر هارون واذا بأخيه موسى فقام اليه وقال ياموسى أفي مثل هذا الوقت وفي مثل هذا المحل يكون الكلام اذهب فلكل مقام له مقال فذهب موسى هذا وفرعون نائم لا يشعر فلما أصبح الصباح أتى موسى الى فرعون فمن القوم من عرفه ومنهم من لم يعرفه فأخبروا الناس فرعون بقدوم موسى فقال على أى حالة جاء موسى فقالوا رجل طويل أسمر كث اللحية عليه جبة صوف وفي رجليه نعل مخصوف وفي يده عصا حمرا فعند ذلك اصفر فرعون وارتعدت قوائمه وخاف خوفا شديدا فأمر هامان بحبس موسى وقال فرعون لاخيه هارون لاى شئ لم تعلمني عند مجئ موسى فقال أيها الملك خفت أن أشوش عليك بخبره والآن هو في حبسك فأحضره بين يديك واسأله فيما جاء *مخاطبة موسى لفرعون* قال فزين فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى بكبراء قومه وأوقف هارون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة وأحضر موسى فكانت تقول بنو اسرائيل لا شك يقتل فرعون موسى فلما حضره موسى قال له فرعون تجاهلا من أنت قال موسى أنا عبد الله ورسوله وكليمه قال فرعون ياموسى

انك عبد فرعون وابن عبده وابن أمته قال موسى ان الله أعز من أن يكون له ند لا اله الا هو وقال فرعون الى من أرسلك ربك قال موسى اليك والى أهل مصر قال فرعون فيما أرسلت قال ليقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى موسى عبده ورسوله وهذا أخى هارون معى رسولا اليكم انزل يا أخى وبلغ رسالة ربك فنزل هارون عن كرسيه وقال يا فرعون أنا رسولا ربك اليك لتؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيأ فبهت فرعون وتحير لما قال هارون ذلك لانه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على هارون من لباسه فجردوه عن أثوابه فبقى عريانا ولم يبق عليه شئ غير لباس عورته فنزع موسى مدرعته والبسها لاخيه هارون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما اليك واذ كرلهما نعمتى وتربيتى وما صنعته معهما من الجميل فجاءهما الى منزله وأكرمهما فصار يعظهما هامان ويتلطف بهما ليدخلهما فى طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلاه فى طاعة الله فلم يقدر أحد من الفريقين على اطاعة صاحبه (قال) فاحضرهما فرعون بعد ذلك وقال لموسى ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الآية الى قوله تعالى وجعلنى من المرسلين اليك وقال موسى يا فرعون جعلت بنى اسرائيل عبيدا لك تذبح أبناءهم وتستحيى نساءهم فجلس فرعون وكان متكأ فغضب وقال فأت بآية ان كنت من الصادقين فاضربت العصاة فى كف موسى فالقاها فاذا هى ثعبان عظيم فلما رآها فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم ضجة عظيمة فكان أول من هرب فرعون وتبعه القوم فقال ان هذا السحر عظيم فأرسل فرعون فأحضر السحرة وأوعدهم بمال جزيل ان كانوا هم الغالبين فجمعوا حبالا وعصيا فجعلوا بين كل حبلين عصاة وبين كل عصاتين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن الى حولها فكان خلق عظيم وكان ذلك اليوم يوم الزينة فأحضروا موسى وهارون فكانت الحبال والعصى يمشى بعضها فى بعض وجاؤا بسحر عظيم فامتلأ الوادى من الحياة فصارت تركب بعضها بعضا فأوجس فى نفسه خيفة

موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ماصنعوا فألقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رؤس فابتلعت جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقع الخوف بين القوم فوقف فرعون ووزراؤه على تل عالى لينظر آخر ماتفعل الحية فأخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين فقال كبير السحرة وكان مكفوفا بصره هل تجدون العصاة منفوخة أم لا فقالوا على حالها لم تتغير فقال لو كان فيها سحر لانتفخت ولكنه صادق انه لرسول الله فآمنوا وقالوا انا آمنا برب هارون وموسى ثم خروا سجدا لله رب العالمين فأمر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين فقالوا يافرعون نرضى بعذاب الدنيا فانه ينقضي ولا نرضى بعذاب الآخرة فانه لا ينقضي وكانوا سبعين رجلا *ذكر الآيات التسع* قال الله تعالى ولما جاءهم الطوفان فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها فكانوا لا يرون فيها شمسا ولا قمرا حتى امتلأت الدور والاسواق ماء فأخذت الارض في الخراب فجاء القوم الى فرعون فقال لهم انصرفوا فأنا أكشفها عنكم فدعى فرعون بموسى وسأله يدعوا برفع الطوفان فدعى موسى الله تعالى فرفع الله الطوفان وكان موسى دعى الله برفعه رجاء أن يؤمن فرعون فلما لم يؤمن أرسل الله اليهم الجراد فأكل أشجارهم وزروعهم ودام عليهم ثمانية أيام ففزعوا الى فرعون فأوعدهم بصرفه عنهم فدعى فرعون بموسى وقال ان صرفت الجراد نؤمن بك فدعى موسى ربه رجاء في ايمانهم فأرسل الله على الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم القمل فأكل جميع ما في بيوتهم وجميع ما على الارض ووقع في ثيابهم فقرضها وقرض أبدانهم وشعورهم فضجوا الى فرعون فصرفهم ثم دعى بموسى ووعده بالايمان فدعى موسى ربه فصرفه عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع فكانت أشد بلاء لانها كانت تقع في طعامهم وقدورهم وبين ثيابهم وفرشهم وكان لها رائحة كريهة فبقوا في ذلك ثمانية أيام فرجعوا الى فرعون وفرعون رجع الى

موسى فدعى موسى ربه فى كشف ذلك فصرفه الله عنهم وأرسل اليهم
مطرا فجرفهما الى البحر فلم يؤمنوا فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك
النيل فضربه موسى بعصاه فصار دما غبيطا فاشتد بهم العطش حتى
أشرفوا على الهلاك فكان يمضى الفرعونى والاسرائيلى الى النيل الى موضع
واحد فيغرف الفرعونى منه فيكون دما ويغرف الاسرائيلى ماء فلم يؤمنوا
فضمن فرعون لموسى ايمانهم فدعى الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان
ذلك اربعين يوما بين كل آيتين ثمانية أيام ثم ان موسى قال يارب انك آتيت
فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا الآية فكان الدعاء من موسى
والتأمين لهارون فأوحى الله اليهما انى قد استجيبت دعوتكما فاستقيما على
رسالتى فطمس على كثير منهم فأصبح الرجال والنساء والصبيان فصاروا
حجارة وكذلك أسواقهم وما كان فيها فذلك قوله تعالى ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات *(قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)* فى التفسير
كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمس والبحر حين صار يبسا ثم أخرج عمر خريطة فيها
دنانير ودراهم وجواهر وحنطة وشعيرا وأرز وحمص وعدس وماش
ولوبيه وقد مسخ جميعه وقت الطمس *(حديث قتل الماشطة وقتل
آسية رحمة الله عليهما ورضوانه)* قال وكانت لبنات فرعون ماشطة
فكان يوضع تحتها كرسى من الذهب والمشط من اذهب فبينما هى تمشط
احدى البنات فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فغضبت
البنية فأخبرت فرعون فغضب وأحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق
الحق أنا مؤمنة باله موسى فعند ذلك أمر ببطح الماشطة وبتسمير يديها
ورجليها بمسامير فى الارض وأتى بأولاد الماشطة فقال فرعون ان
آمنتى بى أطلقتك والا ذبحت أولادك على صدرك فأبت فذبح أولادها
على صدرها وهى تقول الحمد لله الحمد لله ثم بعد ذلك وضعها فى صندوق من
حديد محمى بنار فماتت فى ذلك الصندوق معدودا لمن آمن بالله فحميه

ويضع فيه من آمن بالله الى أن يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتباشر بقدوم الماشطة على ربها وبأيديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله وكان فرعون مغموما بقتل الماشطة فلم يشعر الا وآسية عنده حاسرة عن وجهها وهي كالولهانة فقالت له يا ملعون كم أسحر وأنت تقتل أولياء الله حتى وصلت الى الماشطة ولم ترع حقها يا ملعون كم تأكل رزق الله وتكفره ولا تشكره وكم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع اليه وزراؤه وحجابه فقال انظروا الى فعل موسى وهارون كيف فعل بنا وبقومنا وبأهلنا وأفسدهم علينا بسحره ولم أبالي بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندي ولا أدري كيف وصل اليها سحر موسى فسألها فرعون أن ترجع الى أمها ليذهب ما بها من الجنون فأبت فجعلوا يتلطفوا بها الجاءت أمها ونصحتها فأبت وهي توحد الله وتشهد ان رسوله فقالت الوزراء لفرعون ان لم تقتلها والا أفسدت عليك جميع قومك فأمر فرعون فصنع بها مثل ما صنع بالماشطة فنزل في الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كأسا فشربت منه وبشرها بأنها تكون زوجة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فماتت من غير ألم رضي الله عنها وأرضاها *(حديث غرق فرعون في البحر روي)* ان الله تعالى أهبط جبرائيل على صورة آدمي حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدي ملكته من نعمتي وأحسنت اليه كثيرا فاستكبر علي وبغى وجحد حقي وتسمى باسمي وادعى في جميع ما أنعمت عليه انه له واني لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من العبيد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق في هذا البحر قال له جبرائيل أسألك أن تكتب لي خطك بذلك فكتب له به فأخذه جبرائيل وخرج الى موسى فأخبره بذلك *(وقال)* يا موسى ان الله يأمرك أن ترحل عن موضعك فنادى موسى في بني اسرائيل وأمرهم

بالرحيل

بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون بارتحال موسى
وقومه نادى في جنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون لكثرتهم ولحقوا موسى
لانهم اعتقدوا انه هارب فتبعوه فأدركوه فقال بنوا اسرائيل ياموسى
أدركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا ان معي ربي سيهديني فأوحى الله الى
موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فكان كل فرق كالطود العظيم وصار
فيه اثنى عشر طريقا للاسباط الاثنى عشر وجعلوا يسيروا ويرى بعضهم
بعضا وموسى بين أيديهم وهارون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم
فاقبل فرعون وهامان عن يمينه ووزراءه وجنوده خلفه فنظر الى البحر
يابسا والى تلك الطرق قد انقسم عنها الماء فحدثته نفسه في الدخول
وعدمه وهم بالدخول فأبت فرسه عن الدخول واذا بجبريل عليه السلام
راكب رمكة فدخل في أثره فرس فرعون طمعا في الرمكة ﴿قال﴾ فدخلوا
أجمعون وفرعون وقومه حتى لم يبق منهم أحد على الساحل واذا بجبرائيل
عليه السلام ومعه الصحيفة التي كتبها فرعون فأعطاها له فلما قرأها علم
أنه هالك وأخذت الطرقات تضم بعضها الى بعض حتى انطبق عليهم
فهلكوا كلهم ولم ينج منهم أحد ﴿قال﴾ فلما استيقن فرعون بالهلاك قال
آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل فقال له جبرائيل الآن وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿وقوله تعالى﴾ فاليوم ننجيك ببدنك
لتكون لمن خلفك آية يعني أنجا الله جثته وأخرجها الى البر لان بني
اسرائيل كانوا في شك من غرقه فعلمت بنوا اسرائيل أنه غرق وغرقت
قومه أجمعون وأورثهم الله أرضهم وديارهم ﴿ثم ان الله تعالى﴾ أوحى الى
موسى أن يسير الى الارض المقدسة فان فيها قوما يعبدون الاصنام وهي
أرض فيها مواضع الانبياء فأمر موسى قومه بالمسير معه اليها فقالوا ياموسى
ان الله بعثك وأخرجك الينا لينجينا من فرعون والآن تحملنا ما هو أشق
علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد
مفاوز وليس معنا زاد وبها الحر الشديد فأوحى الله الى موسى اني مظللهم

بالغمام وينزل عليهم المن والسلوى وجعلت نعالهم لا تبلى وثيابهم وأمرت الحجارة أن تنفجر لهم بالماء فعند ذلك طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك من قدرة الله تعالى *(فاختار موسى)* اثنى عشر رجلا وقال أريد أن تتوجهوا الى أريحا مدينة الجبارين لتأتونى بخبرها وخبر أهلها واذا جئتم فاكتموا خبرها عن بنى اسرائيل فخرجوا ومنهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وساروا حتى أشرفوا عليها فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم الى أريحا فاجتمع عليهم أهلها وكان أهلها عظيمين الجثة طوالا وكانت بنو اسرائيل بالنسبة اليهم صغار الجثة ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لا تقتلوهم ليكونوا النا عبيدا فلما جاء الليل هربوا فوصلوا الى وادى يقال له وادى العنقود فأخذوا منه رمانة فحملها اثنان وأخذوا عنقودا من العنب فحمله اثنان فلما وصلوا الى بنى اسرائيل أشاعوا ما صار لهم وأروهم الرمانة والعنقود فوقع الخوف فى بنى اسرائيل فقالوا يا موسى ان مملكة فرعون كانت علينا أخف مما نحن فيه من دخول مدينة الجبارين وانا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فقال موسى يا قوم لا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين فأبوا عن المسير معه الى أريحا الا القليل منهم فقال موسى رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فأوحى الله اليه لما أن سميتهم فاسقين فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن أصحابه يتيه فى الارض فلا يهتدى أن يلتقى أصحابه فيهلك فلا زالوا كذلك حتى انقرضوا عن آخرهم فى أربعين سنة *فسار موسى بمن معه من المؤمنين حتى وصلوا الى أريحا فغلب موسى على المدينة وأهلها فهرب من كان بها الى بلاد أخرى وتفرقوا وأهلكهم الله تعالى *(حديث قارون وبغيه)* وكان قارون بن عم موسى وكان رجلا فقيرا عابدا صالحا فجاء الى أخت موسى وقال لها من أين لموسى الذى ينفقه من الذهب فقالت ان الله علمنا صنعة

الكيميا فعلمتها لقارون فأخذ قارون يفعل الكيميا فأخذ بالباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة معناه أن مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن ربه حتى كانت الناس تقول ياليت لنا مثل ما أوتي قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى ان قارون قال لامرأة جميلة في الحسن فقيرة جائعة ان أنتي اتهمتي موسى وقلتي انه دعاني الى أن يفعل بي القبيح فلم أطاوعه أعطيتك مالا كثيرا وأتزوج بك فانصرفت المرأة في تلك الليلة وقد ألقى الله في قلبها التوبة فلما أصبحت أتت الى جمع من بني اسرائيل وفيهم قارون فقالت يابني اسرائيل هذا مالقي الاخيار من الاشرار في الاسرار اعلموا أن قارون دعاني الى نفسه بالامس وقال لي كذا وكذا وأمرني أن أكذب على موسى بما هو كذا وكذا وان موسى كان ينهاني عن فساد كنت فيه وأنا الان تائبة الى الله تعالى فلما سمع بنو اسرائيل ماقالت المرأة قاموا من جانبه ووبخوه ولاموه وتركوه فبلغ ذلك الى موسى فغضب وقال يارب عليك به فأوحى الله الى موسى اني قد أمرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه فأقبل موسى ودخل على قارون وقال له ياعدو الله تريد تفضحني ياأرض خذيه فغاصت داره في الارض ذراعا فسقط قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه في الارض الى ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى ياعدو الله تبني مثل هذه الدور والقصور وتأكل في أواني الذهب والفضة وأنا أنهاك فلم تنته ياأرض خذيه فأخذته شيأ وهو يستغيث بموسى فقال موسى ألم تتعظ بهلاك فرعون وغيره من الامم الماضية ياأرض خذيه فأخذته الارض هو وداره وقال الله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض فكان عبرة لمن اعتبر ﴿قصة موسى والخضر عليهما السلام﴾ قال كعب الاخبار أعطى الله عز وجل التوراة لموسى

وآتاه من العلم كثيرا فقال يارب هل آتيت أحدا من عبادك مثل ما آتيتني
فأوحى الله اليه ان لي عبدا آتيته من العلم مالم يأتك فقال يارب اسألك أن
تجمعني به فأخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزا من شعير
وحوتا مالحا فسار على الساحل أياما فلم يره فقال يارب أرشدني اليه فأوحى
اليه ياموسى اذا رأيت الحوت المالح الذي معك قد صار حيا فذلك موضعه
فسار موسى ومعه فتاه واذا هو بقبة عظيمة وفيها قوم يركعون ويسجدون
فسلم موسى عليهم فردوا عليه السلام فسألهم عنهم وعن الخضر فقالوا انما
نحن ملائكة نعبد الله في هذه القبة من حين خلق هذا البحر فسر فان الله
يرشدك فسار موسى حتى وصل الى صخرة وعين ماء فقعد موسى فنام وكان
الحوت في زنبيل فاذا بالحوت قد سقط في تلك العين و يوشع ينظر اليه فانتبه
موسى ونسي يوشع أن يخبره بقضية الحوت فجعلا يمشيان حتى بلغا نهرا
ينصب في البحر فقعد موسى وقال ليوشع آتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا فأخرج يوشع الخبز وأخبره بذهاب الحوت عند الصخرة فقال
موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا حتى أتيا الى الصخرة فنظر
يمنة ويسرة فاذا هو بالخضر يصلي في جزيرة من من جزائر البحر فقال موسى
لفتاه ارجع أنت لبني اسرائيل وكن مع هارون حتى أرجع ومشى موسى
حتى وصل الى الخضر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فأحس به الخضر
فالتفت من صلاته وقال السلام عليك ياموسى بن عمران فقال موسى
وعليك السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتني فقال الخضر عرفني بك
من عرفك بي فقال له الخضر ياموسى سل عما بدا لك فقال موسى هل اتبعك
على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا الا اني أعمل
على الباطن وأنت تعمل على الظاهر قال ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك
منه ذكرا فسارا على البحر واذا بطائر قد أقبل فغمس منقاره في البحر ثم
أخرجه فمسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم طار نحو المغرب

حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى أتدرى ما قال هذا الطائر قال لا قال انه يقول ما أوتوا من العلم الا بمقدار ما أخذت بمنقارى من هذا البحر فعجب موسى من علمه ثم خرجا على الساحل يمشيان فبلغا الى مقبرة فجعلا ينظران الى جماجم الموتى وعظامهم فقال الخضر يا موسى هذه جمجمة فلان الملوك وهذه جمجمة اخوه وعد لموسى سبعة جماجم اخوة فنطقوا كلهم عن أسمائهم وأفعالهم فتعجب موسى وخرجا من القرية ومشيا على الساحل فاذا هم بسفينة قد رفع أهلها شراعها وهم يسيرون فى وسط البحر فلوح الخضر اليهم فأقبلوا اليه وقالوا ما حاجتك قال أريد موضع كذا وكذا وأحب ان تحملونا الى هناك فقربوا السفينة ودخلا عندهم فساروا حتى صاروا فى لجة البحر فعمد الخضر الى لوح من الواح السفينة فكسره وسد موضعه بخرقة كانت معه قال له موسى أخرقتها لتغرق أهلها أليس هذا جزاء أهلها فانهم حملونا قال الخضر ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا فسكت موسى وقال لا تؤاخذنى بما نسيت الآية ثم ساروا قليلا فاستقبلتهم سفينة ملكهم فقالوا ان الملك يريد سفينتكم ان لم يكن فيها عيب فدخلوها فوجدوها معيبة وهو الموضع الذى كسره الخضر فتركوها فخرج الخضر وموسى من السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون وفيهم غلام أحسن ما يكون فأخرجه الخضر من بينهم وعمد الى صخرة فضرب بها رأس ذلك الغلام فقتله فعظم ذلك على موسى فقال أيها الصالح أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال الخضر يا ابن عمران ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا ثم سار حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه الخضر وجمع الطين والحجارة وسواه فضجر موسى فقال أيها العبد الصالح استطعمت أهل هذه القرية فلم يطعموك قال يا ابن عمران هذا فراق بينى وبينك وانى منبيك أما السفينة فكانت لعشرة أنفس خمسة ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان

الاصحاح يعملون للرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن غصبا فأعبتها لئلا يأخذها الملك والغلام كان يقطع الطريق وكان أبوه يفران منه ويدعوان عليه فقتلته لانى لو تركته كان فعله يوجب لابويه الكفر وأراد الله ذلك وان يرزقهما خيرا منه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان تحته كنز لهما ولو سقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فأراد الله أن يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا انتهى *(ولما)* توفى موسى صلى الله عليه أرسل الله اليه ملك الموت فجاءه وهو يقرأ فى التوراة بين أهله فقال السلام عليك ياموسى فقال وعليك السلام من انت قال أنا ملك الموت جئت لقبضك ولكنى أراك تتكلم كلام من شرب المسكر فاختلط عقل موسى عند ذلك وقال ماشربت مسكرا قال فادن حتى أشم رائحتك فدنى منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت صلى الله عليه وسلم

(ذكر قصة يوشع عليه السلام) ثم ان يوشع أخذ بعد موسى فى الجهاد ففتح الله على يديه من المدن ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بنى اسرائيل وقال لهم اعلموا رحمكم الله أن مدينة أريحا فتحها موسى صلى الله عليه وسلم ونفى الجبارين عنها والآن قد عادوا اليها وأنا سائر اليهم فخذوا أهبتكم فان الله ينصركم عليهم فسار يوشع بأصحابه حتى نزل بساحة أريحا وتقابلوا وتقاتلوا مع الجبارين فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان فى عهد موسى ان يوم السبت للعبادة فقال يوشع ان فترنا عنهم هذه الساعة فيكون يوم السبت فلا يقوى عدونا فى هذا اليوم فدعى الى الله اللهم أطلل علينا بقية هذا اليوم انك على كل شئ قدير اللهم انك تعلم ضعف بنى اسرائيل فانصرنا ياخير الناصرين فأرسل الله ملكا الى يوشع انى حبست لكم الشمس ونصرتكم فمازال يوشع يجاهدو يجالد والشمس محبوسة بقدرة الله حتى دخل يوشع مدينة أريحا وأبادهم وغنم أموالهم ثم سار من أريحا الى بلاد كنعان فقتل من ملوكها عدة ثلاثين ملكا وفتح ثلاثين حصنا *(حديث*

الياس عليه السلام ﴿قال كعب الاحبار لما ولد الياس صار نورا ساطعا أضاء منه المشرق والمغرب فقالت بنو اسرائيل ساروا عن امتداد هذا النور فتبعوه فوجدوا مولودا ولد من ولد هارون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل هذا الذى بشرونا به ان الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ الياس من العمر سبع سنين حفظ التوراة وقال يوما من الايام يابنى اسرائيل أريكم من نفسى عجبا فصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبهم فلما سكن الرعب عنهم أرادوا قتله فهرب منهم الى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره أربعين سنة فهبط جبرائيل عليه السلام على الياس فقال له من أنت قال أنا جبرائيل قال بماذا جئت قال مبشرك بالنبوة وان الله جعلك رسولا الى الملوك الجبابرة الذين يعبدون الاصنام فقال الياس كيف أصنع وأنا وحيد وهم عندهم الجموع والسلاح فقال جبرائيل ان النصرة لك والقوة لله وان الله أمر الوحوش والنار بطاعتك وأعطاك قوة سبعين نبيا فامض الى قومك ﴿قال﴾ وكان قومه فى سبعين قرية كل قرية أكبر من مدينة وفى كل قرية جبار يسوسهم فنزل الياس الى قرية فجاء الى جانب قصر جبارها فأخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار اليه فقالت من أنت وما تريد فقال انى رسول الله اليكم فقالت وما جئت فقال ما تريدى قالت ادع هذه النار لتأتيك فدعى النار فأتته فأخبرت المرأة زوجها فآمنوا به ثم مضى عنهم وجاء الى أهل القرية فبلغهم رسالة ربه فضربوه وأهانوه وأوثقوه وأخذوه الى ملكهم الاكبر فحمى له القدور وقال له ان لم تتبه والا أحرقتك فصاح الياس صيحته المعروفة فرعبت منه القلوب وخمدت النار فتحير الناس وقالوا يا الياس قد عرفنا حالك فاصبر الى غد فلما أصبح جاء الياس اليهم ووعظهم وحذرهم عذاب الله وبلغ رسالة ربه فقالوا يا الياس هلا بعث معك ربك جنودا فقال ويلكم ومن يقدر على أمر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم الى عند الملك أجاب الذى آمن به وأخبره ثم ان الملك عاميل جمع

أكابر مملكته وعلماء قومه وقال ماتقولون في أمر الياس فقالوا الامان فقال قولوا ولكم الامان فقالوا انا رأينا في التوراة صفة هذا الرجل وانه يبعث نبيا وتسخر له النار والاسود وانه لايسمع صوته أحد الا ذل وقال بعض علمائهم كذبوا بل هو ساحر كذاب فقال الملك عاميل مهلا حتى ننظر ثم انصرفوا ثم ان الياس عليه السلام عاد الى الملك جاب فأخبره بذلك فقال له الملك جاب ياالياس انى معك في عز و رفان الذين أطاعوك في ذل واهانة والذين لم يطيعوك في عز ونعمة فانصرف عني فلا حاجة لي فيك فقالت زوجته ياجاب ان كنت قد ارتديت عن دينك فلا ارتد أنا عن ديني ولحقت بالياس فكانت تعبد الله معه في عريش عند بيت الملك عاميل ثم أسلمت بنت الملك عاميل ولحقت بالياس أيضا فأراد الملك عاميل قتلها فانتها عنها بموت ولده وكان يحبه حبا شديدا فجاء الياس اليه وقال له ياعاميل ان كان الذي تعبده له قدرة فقل له يرد روح ابنك اليه فمضى الملك عاميل الى صنمه وسجد وتضرع وسأل ان يرد روحه فلم يجبه بشئ فدعى بالياس وقال ان كان ربك يرد روح ابني فأأمن بربك فدعى الياس ربه فقام الولد باذن الله حيا سالما فعند ذلك قال الملك عاميل أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المنسوج وتبع الياس في دينه فلم يزل الياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته وزوجة جاب فعند ذلك دعى الياس على قومه بالقحط فقحطوا فلا زالوا يقتنعون بما عندهم من القوت حتى أكلوا دوابهم والعظام فلحقوا على الكلاب حتى الفار حتى من مات منهم أكلوه فعند ذلك ضجت الملائكة الى ربها في حال عباده المؤمنين والطيور والوحوش فأتوا الى الياس وقالوا يانبي الله ان الله تعالى قد جعل أرزاق عباده اليك أفلا ترحمهم قال فانهم عصوني وغضبي عليهم لله فان آمنوا والا هلكوا فأوحى الله اليه ياالياس احلم ففزع الياس من ذلك فقال الهي مالي علم انى أعصيك وانت أرحم الراحمين فأوحى الله اليه أن سر اليهم فان آمنوا كان فرجهم على يديك

وان كفروا كنت أرأف بهم منك فانطلق الياس حتى دخل الى قرية
فرأى عجوزا فقال هل تقدرين على طعام فقالت ماذقت خبزا من مدة
طويلة ولى ولد قد أشرف على الموت وانه على دين الياس فقال وما اسمه
قالت اسمه اليسع فجاء اليه الياس فوجده ميتا من الجوع فأحياه الله
بدعوة الياس فقام وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله وقد
جعلني الله وزيرا لك فخرج الياس فاجتمعت اليه الناس وطلبوا أن يدعوا
ربه حتى يفرج عنهم فدعى الله ففرج عنهم فلم يؤمنوا فدعى عليهم فأوحى
الله اليه يا الياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ما أمرت به فاستخلف الآن
اليسع وارجع عن ديار قومك وانك عندي لمن المقربين فأقبل الياس
على اليسع وقال أنت خليفتي فأوحى الله الى اليسع انك نبي وأرسلتك الى
بني اسرائيل وقويتك وأيدتك وان الياس لما خرج عن قومه واذا هو
بفرس تلتهب نورا فقالت أنا هدية الله اليك فاركب فاستوى على ظهرها
وجاءه جبرائيل عليه السلام فقال يا الياس أنت طير مع الملائكة في الارض
سر حيث شئت فقد كساك الله الريش وقطع عنك لذة المطعم والمشرب
وجعلك آدميا سماويا أرضيا ﴿ذكر قصة اليسع عليه السلام﴾ قال وهب
ابن منبه هو اليسع بن أخطوب بعثه الله الى بني اسرائيل بعد الياس قال
السدى هو ابن عم الياس فلما رفع الله الياس استخلف بعده اليسع قال
الواقدى ان في أيام اليسع بنية مدينة طرطوس وملطية واستمر اليسع
يقضي بين الناس بالحق حتى توفي ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر
بنو اسرائيل عشر سنين بغير نبي فعند ذلك أقام فيهم كاهن يقال له عالي
ابن أسباط بن هارون وكان رجلا صالحا فدبر أمور بني اسرائيل أحسن
مايكون واستمر على ذلك نحو أربعين سنة وفي أيامه ولد شمعون من أنبياء
بني اسرائيل وولد أيضا داود أبو سليمان عليهم السلام وكان بين وفاة عالي
الكاهن ووفاة موسى عليه السلام أربعمائة وسبعة وثمانون سنة انتهى
والله أعلم ﴿ذكر قصة شمعون عليه السلام﴾ وقال الله تعالى ألم تر الى الملاء

من بني اسرائيل من بعد موسى الآية والمراد من قوله من بعد موسى هو شمعون وكان من ذرية هارون عليه السلام وكانوا أنبياء بني اسرائيل بمنزلة القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الاسباط ولم يبق منهم سوى أم شمعون فكان بنو اسرائيل يدعون الله تعالى أن يبعث فيهم نبيا من الاسباط فلما حملت به كانت عجوزا عقيما من ذرية الاسباط فتعجب بنو اسرائيل من شأنها وقالوا لم تحمل هذه العجوز الا بنبي من نسل الاسباط فحبسوها في بيت حتى تضع ما في بطنها فجعلت هي أيضا تدعو الله تعالى أن يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه أولا شمويل فلما كبر تعلم التوراة فكفله على الصغر عالي الكاهن المقدم ذكره فلما بلغ أشده وجاوز أربعين سنة أتى اليه جبرائيل ففزع منه وقال لعالي الكاهن سمعت في البيت صوتا وليس فيه غيرنا فقال له عالي يا شمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب الى بني اسرائيل وبلغهم رسالة ربك فان الله تعالى قد بعثك اليهم نبيا فلبث فيهم نحوا من أربعين سنة يقضي بين بني اسرائيل بالحق وكان يعرف بابن العجوز ثم ان بني اسرائيل قالوا يا شمعون ادعو الله بأن يقيم علينا ملكا حتى يكون لنا قوة ويستخلص لنا تابوت السكينة من أيدي العمالقة فلما دعى الى الله تعالى بعث الى بني اسرائيل طالوت وهو قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية انتهى ﴿ذكر قصة الخضر عليه السلام﴾ قال السدي اختلف جماعة من العلماء في أمر الخضر عليه السلام قال ابن عباس أنه من ولد شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن اسحاق أنه من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وقال النقاش أنه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبري ذلك وأبطله وقال آخر هو اليسع صاحب الياس ولم يصحح ذلك وقال آخر هو أرمياء ولم يصحح ذلك وقال الاستاذ الحافظ أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخثعمي في كتاب التعريف ان الخضر عليه السلام بن ملك يقال له عاميل

وهو

وهو من ولد العيص بن اسحاق وأمه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها الها وانها ولدته في مغارة وانه وجد هنالك شاة ترضعه في كل يوم فأخذه راعي ورباه حتى كبر وشب وصار ماهرا جيد الخط قارئا للصحف التي أنزلت على ابراهيم عليه السلام وقال ابن اسحاق ان أبا الخضر ملكا طلب كاتبا جيدا لخط ليكتب له الصحف التي أنزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب فقدم عليه ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر فوقع في قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته في الكلام ثم انه بحث عن حقيقة نسبه فتبين أنه ابنه فقام اليه واعتنقه وضمه الى صدره ثم انه نزل له عن الملك وولاه على رعيته عوضا عن نفسه واستمر في ملك أبيه وهو يقضي بين الناس بالحق الى أن فر من الملك لاسباب يطول شرحها واستمر سائحا في الارض الى أن وجد عين الحياة فشرب منها كما سيجيء الكلام على ذلك فهو حي الى أن يخرج الدجال ويقتله ثم يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعد ما يقطعه قطعا قال جماعة من العلماء انه لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يدع وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر بن العربي ان الخضر قد مات قبل انقضاء المائة لقوله عليه السلام الى رأس مائة عام لا يبقى على الارض من هو عليها أحد يعني من كان حيا حين قال هذه المقالة والصواب ما رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب الهواتف بسند رفعه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما اجتمع القوم لقتل النبي صلى الله عليه وسلم سمع هاتفا يقول السلام عليكم أهل البيت ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخضر عليه السلام وأما سبب تسميته بالخضر ففي ذلك عدة أقاويل قال وهب ابن منبه كان اسم الخضر ايليا وكنيته أبو العباس وانما سمي بالخضر لانه جلس على فروة بيضاء فصارت خضرا وقيل ان الفروة هي الارض قال

وقد وجد في حصن الحصن في بحث التعزية ولما توفي صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمته وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فأنيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم في البلاء فانظروا فانما المصاب من لم يجبر وانصرف وقال أبو بكر وعلي رضي الله عنهما هذا الخضر عليه السلام رواه الحاكم في المستدرك

الخطابي انما سمي الخضر لاشراق وجهه قال مجاهد كان اذا صلى احضر ما كان حوله وقال آخر كان اسمه خضرون والله أعلم وأما أمر نبوته فالجمهور من العلماء على انه كان نبيا يوحى اليه قال جماعة من العلماء انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى وجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما واما قول الخضر لموسى وما فعلته عن أمري فهذا يدل على انه كان يوحى اليه وقد مرت قصته في ذلك عند قصة موسى عليه السلام واما قول من قال انه باق الى اليوم قال عمر بن دينار أن الخضر والياس في قيد الحياة مادام القرآن موجودا في الارض فاذا رفع القرآن فيموت الخضر والياس قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الخضر والياس يجتمعان في كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج وذكر ان كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هناك ويأخذ كل منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان عند تفرقهما الدعا *(وروى)* عن بعض الصالحين انه رأى الخضر عليه السلام وذكر صفته انه أشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة أبيض اللحية أحمر الوجه زاهي المنظر فصيح اللسان باللغة العربية انتهى ما أوردناه من اخبار الخضر على سبيل الاختصار *(ذكر حرب طالوت مع جالوت)* قال وهب بن منبه ان الله تعالى انزل على شمعون عصا من الجنة وقال له ان الملك الذي ابعثه الى بني اسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان أصله سقايسقي الماء من بحر النيل على حمار له فتسرب ذلك الحمار منه فخرج في طلبه فمر على باب شمعون النبي فدخل عليه وقال له يانبي الله ادع لي بأن يرد الله على حماري فقال شمعون نعم ثم رأى فيه أمارات تدل على ما أوحى الله اليه في أمر الملك الذي يرسله الى بني اسرائيل فأخرج تلك العصا المقدم ذكرها فقاسها على السقا فجاءت طوله سواء وكان طالوت طويلا جدا ولذلك سمي طالوت فقال له شمعون ان الله تعالى قد أمرني بأن أجعل ملكا على بني اسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج الى بني اسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم هذا

الرجل فأطيعوه فغضب بنوا اسرائيل وقالوا كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو أحق بالملك منه فقال لهم شمعون ان الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بني اسرائيل وكان من سبط ابن يامين ابن يعقوب عليه السلام فقال هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء يحمل الماء الى بيوت بني اسرائيل فقال لهم شمعون ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت على يده كما أخبر نبي الله به وكان طالوت أحفظ الناس للتوراة ثم ان بني اسرائيل ملكوا عليهم طالوت ثم انه خرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرية من قرى فلسطين فلما خرج اليهم حاربهم بسبب تابوت السكينة وكان العمالقة سلبوه من بني اسرائيل واستمر عندهم مدة طويلة حتى ردّه الله تعالى اليهم على يد طالوت ﴿قال﴾ السدى ان تابوت السكينة كان طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين وهو من خشب الشمشاد ويقال ان فيه نعلا موسى وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذى كان ينزل على بني اسرائيل وهم في التيه وكان هذا التابوت اذا قدموه امامهم وقت الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم أقام عندهم نحوا من عشرين سنة فكان كل من دنا اليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لم تفلحوا ابدا فأخرجوه من بينكم فقالوا له كيف نعمل فكل من دنى منه يحترق فعمدوا الى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير أحد معهما من الناس حتى أخرجوه من أرضهم وسار الثوران الى أرض بني اسرائيل فوقف الثوران هناك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم يشعر بنوا اسرائيل الا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيرا عظيما قال ابن عباس رضى الله عنه ان الملائكة أخذوا ذلك التابوت من أعلا العجلة ورفعوه بين السماء والارض والناس ينظرون اليه حتى وضعوه في دار طالوت وهو قوله تحمله الملائكة فلما عاين بنوا اسرائيل ذلك علموا ان الله تعالى قد اختار طالوت بأن يكون ملكا عليهم قال السدى ان تابوت السكينة مدفون

في بحيرة طبرية الى ان يخرج عيسى بن مريم عليه السلام فيخرجه انتهى
ذلك ❀(ذكر قصة النهر وتابوت السكينة)❀ قال قتادة لما أوحى الله
الى نبيه شمعون المقدم ذكره بأن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت
ملك العمالقة وكان جالوت في بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بني
اسرائيل فكان عددهم نحوا من ثمانين ألف مقاتل فخرج طالوت بالجنود
وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم طالوت ان الله
مبتليكم بنهر قال ابن كثير النهر هو نهر الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس
مني أي من أهل ديني ولا طاعتي ثم استثنى بقوله الا من اغترف غرفة بيده
ملء كفه وقال البراء بن عازب ان أصحاب طالوت هم الذين جاوزوا معه
النهر وكانوا نحوا من ثلثمائة انسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه يوم وقعة بدر انتم على عدد أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر قال
السدي فلما جاوز أصحاب طالوت النهر فشربوا منه ودوابهم ولم يغترفوا منه
كما أمرهم الله تعالى فلما عصوا أمر الله تقوى عليهم العطش واسودت
شفاههم فقال الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع
طالوت الا القليل من الجنود وكان معه رجل يقال له ايشا وهو أبو داود نبي
الله وكان له ثلاثة عشر ولدا وكان داود أصغرهم فقال يوما لأبيه أيشا يا أبتاه
اني لم ارم قط بقدحي في شيء الا صرعته في الحال فقال أبوه ابشر يا بني فان الله
تعالى جعل رزقك في قدحك ثم قال لأبيه مرة أخرى يا أبتاه اني دخلت بين
الجبال فرأيت أسدا عظيما فخضع لي حتى ركبته ثم قبضت بيدي على
منكبيه فتركته هناك ميتا فقال له أبوه ابشر يا ولدي فان سعدك اقبل ثم
قال لأبيه مرة أخرى يا أبتاه اني اذا اسبحت في الليل اسمع الجبال تسبح معي
فقال له أبوه ابشر يا بني فهذا دليل نبوتك فلما تلاقى طالوت مع جالوت أرسل
جالوت يقول لطالوت ان ابرزت لي من يقاتلني فان هو قتلني فله ملكي وان
انا قتلته فلي ملكه فشق ذلك على طالوت ونادى في جنوده من الموت الى

جالوت وقتله أعطيه ملكى وأزوجه بابنتى فلم يجبه أحد من أجناده وكان
صحبته شمعون النبى قال له طالوت ياشمعون ادع الله تعالى أن يأتينا بمن يبرز
لجالوت ويقتله فدعى شمعون الى الله تعالى أن يأتيه بمن يقتل جالوت فقال
شمعون لايشا انى أريد أن تعرض على أولادك فلما عرضهم عليه كانوا اثنى
عشر ولدا وهم أمثال الاسود فقال له شمعون هل بقى منهم أحد فقال ايشا
بقى لى ولد صغير يرعى الغنم واسمه داود وهو أوحش أولادى وانى أستحى
أن يراه أحد من الناس وهو فى الوادى عند الغنم فمضى اليه شمعون فلما رآه
قال هو المطلوب ورأى مافيه من العلامات مايدل على ما أوحى الله اليه بأنه
هو الذى يقتل جالوت فقال له شمعون أن الله قد أمرنى أن أبعثك الى جالوت
ويكون قتله على يدك فقال داود السمع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينما
هو يمشى فى أثناء الطريق فمر بحجر فناداه ذلك الحجر وقال احملنى معك فانى
حجر موسى الذى قتل بى ملك كذا وكذا فأخذه داود ووضعه فى مخلاته
ثم مر بحجر آخر فناداه ياداود احملنى معك فانى حجر هارون الذى قتل بى ملك
كذا وكذا فأخذه داود ووضعه فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه ياداود احملنى
معك فانى حجرك الذى تقتل بى جالوت ثم وصل الى طالوت فبعثه مع الجنود
الى جالوت وأركبه فرسا أدهم وألبسه درعا من الحديد وقلده بسيف
وسار صحبة الجنود الى جالوت فوقف مقابله وكان جالوت اشد الناس بأسا
وقوة وكان يهزم الجيوش الكثيرة وحده وكان له خودة من بولاد وزنها
ثلاثمائة رطل وكان له فرس أبلق عظيم الخلقة فلما برز اليه داود وكان
صغير السن فألقى الله تعالى الرعب فى قلب جالوت من داود فقال له جالوت
ياهذا الصبى انت مع صغر سنك تبارزنى فقال داود نعم أبارزك ثم أخرج من
المخلاة الحجر الاول ووضعه فى المقلاع فقال له جالوت تبارزنى بالحجر كما تبارز
الكلب فقال داود نعم لانك أشر من الكلب فقال جالوت لاقسمن
لحمك بين الكلاب ثم ان داود أخرج الحجر الثانى ووضعه فى المقلاع
والثالث أيضا وقال بسم الله اله ابراهيم واسحاق وموسى ويعقوب ثم قال

بسم الله اله محمد العربي الذي يظهر في آخر الزمان فلما وضع الثلاثة أحجار فصارت حجرا واحدا في المقلاع فدور المقلاع ورمى به فوصلت مثل النار الى دماغ جالوت ففلقته بما كان عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فقتل جالوت ومن وراءه ثلاثة أنفس فتفتت ذلك الحجر بعدد من كان مع جالوت وأصاب كل واحد قطعة من الحجر فقتلهم عن آخرهم ولم يبق منهم أحد فلما رأى داود ذلك خر ساجدا شكرا لله تعالى ثم انه نزع خاتم جالوت من يده وجاء به الى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو اسرائيل بهذه النصرة ومضوا الى أرضهم وهم سالمون وكان جالوت يسكن في بيت المقدس وهو من العمالقة القديمة وكان داود لما بارز جالوت كان عمره يومئذ نحو عشرين سنة وكانت وقعة جالوت مع داود بالقرب من المرج الاصفر بأرض الشام انتهى على سبيل الاختصار ﴿قصة وفاة طالوت وما جرى بينه وبين داود عليه السلام﴾ قال السدي لما قتل جالوت ومضى أمره جاء داود الى طالوت وقال له انجز لي وعدك من زواجي ابنتك فقال له طالوت أزوجك ولكن بصداق فقال داود أنت شرطت صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت اصداقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل انجزه ما وعدته به فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل معه قال يا داود اني معطيك ولكن بقي لنا اعداء من المشركين فانطلق اليهم وقاتلهم فاذا قتلت منهم مائتي انسان أزوجك ابنتي من غير صداق فمضى اليهم داود وتقاتل معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم غلفته بخيط فأكمل من غلفهم نحو مائتي غلفة فأتى بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه فقال له هذا ما شرطت فقال بنو اسرائيل انجز له شرطه وما وعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس اليه خشي من سطوته فأراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكؤن على عصاة في طرفها زج من حديد فرأى داود جالسا في بيت فرماه طالوت بتلك العصاة فاختلى داود فلم تصبه فأصابت الحائط فدخلت به فقال له داود عمدت الى قتلي فقال طالوت لا ولكن

اختبرت ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود وأخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت بالحرمة التي بيني وبينك تكف عني فقال له داود ان الله كتب في التوراة ان جزاء السيئة بمثلها والبادي أظلم فقال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك فقال داود اني قد عفوت عنك ثم ان طالوت لبث مدة يتفكر كيف يقتل داود ثم عزم على أن يصنع لداود وليمة في داره ويغافله ويقتله وكانت ابنة طالوت علمت بما يريد يفعل أبوها من قتل داود فأرسلت الى داود وأعلمته بأن أباها عزم على قتله فأخذ داود حذره ثم ان طالوت صنع الوليمة ولم يبق شيء من أمر الوليمة فأرسل الى داود ليحضر فلما حضر داود بين يدي طالوت قام له وأكرمه وكان داود بشاشا لطيفا عارفا يصوغ الحان وقال الثعلبي ان داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما يغلظ عليه من الاخلاط الرديئة فكان داود يعطي لكل خلط نغمة لمعرفته بذلك فلما أقبل الليل وانتهى أمر الوليمة وانصرفت الناس وكانوا نحو أربعة آلاف انسان فقال طالوت لداود اصعد السرير ونم عليه وانصرف طالوت الى نسائه فعمد داود الى زق خمر ووضعه على السرير مكانه وغطاه بأكسية النوم وذهب داود واختفى في مكان أراده فلما انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل الى أن جاء الى السرير فلم يشك في شيء فرفع سيفه وضرب الزق ضربة محكمة فقطع الكسا والزق وسال الخمر فقال طالوت ما أكثر ما كان يشرب داود من الخمر فلما أصبح طالوت وعلم انه لم يقتل داود أكثر من الحراس والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفا من داود ثم ان داود دخل على طالوت ليلا وقد أعمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد طالوت ملقى على سريره وهو نائم فوضع داود سهما من سهامه عند رأس طالوت وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف ان ذلك من فعل داود ورأى عفوه بعد الظفر فقال داود احلم مني ثم ان طالوت خرج

يوما الى الفضاء وحده واذا بداود من غير ميعاد فأخذا يمشيان وكان طالوت فارسا وداود راجلا فخاف داود على نفسه فدخل غارا وتعصى به فلما أدرك طالوت الغار أعماه الله عن المكان الذى اختفى فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من المؤمنين من أصحاب داود ممن كانوا يحبونه ثم ندم طالوت على قتلهم فتاب وأراد أن يعلم هل قبلت توبته أم لا فجاء الى قبر شمعون ونادى يانبى الله ياشمعون فأجابه من القبر بعد أن أحياه الله فقال طالوت انى فعلت كذا وكذا من قتل المؤمنين فهل من توبة فقال شمعون يوحى الله ياطالوت سر أنت وأولادك وكانوا عشرة وقاتل فى سبيل الله حتى تقتلوا فيتوب الله عليكم وتكونوا من الصالحين ثم ان شمعون خرميتا كما كان فأخذ طالوت بالبكاء وتجهزهو وأولاده ومضى الى الجهاد وقاتل هو وأولاده فكان يرى مصارع أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم أتى رجل الى داود وقال له ان طالوت قد قتل هو وأولاده فاستخلف على بنى اسرائيل كما سيأتى الكلام عليه فى موضعه ان شاء الله تعالى انتهى على سبيل الاختصار ﴿ذكر قصة داود عليه السلام﴾ قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض الآيه ﴿قال﴾ وهب بن منبه هو داود بن ايشا بن عوقد من ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام ﴿قال﴾ ابن كثير لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد أتى على داود من العمر نحو أربعين سنة وقد قال الله تعالى وآتيناه الحكمة فلما تم أمره فى الملك رحل الى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات فى أيامه فتح الشام وأرض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماه وعنتاب والارمن وكانت هذه بأيدى الجبابرة قال السدى ان الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرامات والملك والنبوة وأنزل عليه مائة وخمسة وخمسون صحيفة وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ بسبعين لحنة من الانغام فكان اذا سمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان اذا اقرأ فى الفضاء تجتمع اليه الانس والجن والوحوش

والطير لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته ويركض الماء الجاري أيضا عند صوته فحسده ابليس على ذلك فصنع آلات الالحان والطرب مثل العود ونحوه فاشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام قال أفلاطون من حزن فليسمع لالحان فيزول حزنه فان الحزن خمود النفس واذا سمعت ما يطربها اشعلت وانارت قالت الرواة ان الفيل اذا اصطادوه يموت قهر المفارقة وطنه الا اذا اطربوه بالملاهي فانه يعيش ومن فضائل داود انه كان اذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التي كان يعرف بها الحق والباطل ﴿وقال﴾ السدي كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يتحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا لها قوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرد فكان اذا احدث في الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة الا برئ لوقته واذا مسها مشرك ذهب منه غل الشرك وكان المنكر لحق صاحبه اذا مد يده اليها لا يصل اليها واذا كان صادقا مد يده اليها فيصل ويمسكها وكانت ترتفع عند الباطل وتتدلى عند الحق واذا قصد أحد شيئا منها ترتفع قال الثعلبي ان رجلا أودع جوهرة عند رجل آخر فلما جاء ليطلبها منه أنكرها فقال له صاحب الجوهرة تمضي أنت وأنا الى السلسلة وكان الذي استودع الجوهرة وضعها في عكاز وكان لا يفارقه وهي في يده قال فمضى الرجلان الى السلسلة فوصلا اليها فقال صاحب العكاز لصاحب الجوهرة خذ اليك هذا العكاز لاحلف لك فأخذه فتقدم وقال اللهم انك تعلم هذه الجوهرة قد أعطيتها لصاحبها هذا ومد يده الى السلسلة فتناولها ثم أخذ عكازه من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما أصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس الى الآن قال ابن عباس كان داود اشد ملوك الارض سلطانا فكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف انسان من شجعان

بني اسرائيل ﴿ومن معجزات﴾ داود عليه السلام ان الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه الدروع الزرد وهو أول من اصطنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم اذا شاء درعا و يبيعه بستة آلاف درهم وينفق ثمنه على عياله و يتصدق بالباقي ولا يدخر منه شيأ قال السدي كان داود يتنكر و يمشي في الاسواق و يسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لقاه جبرائيل فسأله عن سيرة نفسه فقال له جبرائيل ان داود نعم العبد الا انه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمني صنعة أنفق على منها فعلمه الله صنعة الزرد وألان له الحديد فكان يأكل من ذلك قوله تعالى وألنا له الحديد وقال وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية ﴿ذكر وقوع داود في الخطيئة﴾ قال وهب بن منبه بينما داود في محرابه اذ دخل عليه طائر في محرابه من الكوة كان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من الذهب وجناحها مكلل بأنواع الجواهر الملونة ومنقارها من الزمرد الاخضر ورجلاها من الياقوت الاحمر فلما رآها داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن انها من الجنة فمد يده اليها فنفرت من بين يديه الى جانبه فقام اليها فنفرت الى الكوة ﴿وقيل﴾ كان سبب ذلك ان داود قال يارب ان جميع الانبياء ابتليتهم لتعظم لهم الاجور فهلا ابتليتني لتعظم أجري فأوحى الله اليه يا داود استعد للبلاء في يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد أتى اليه ابليس اللعين في صفة الطائر المذكور ﴿قال﴾ فتقدم داود الى الطائر فنفر الى الكوة الى بستان تحت قصر داود فنظر الى البستان لاجل الطائر واذا في البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على أهل زمانها وهي تغتسل فلما نظر داود اليها خجلت واسبلت شعرها فغطى سائر جسدها فأخذت عقل داود حتى لم يبق يتمالك من نفسه لشدة شغفه بها وفي المعنى يقول القائل

فضت عنها القميص لقلب ماء ✻ فورد وجهها فرط الحياء

فقابلت المراة وقد ترددت ❁ بمعتدل أرق من الهواء
ومدت معصما كالماء منها ❁ الى ماء معد فى اناء
رأت عين الرقيب على تدان ❁ فأسبلت الظلام على الضياء
وبات الصبح منها تحت ليل ❁ وظل الماء يقطر فوق ماء

❁(قال)❁ فلما افتتن بها سأل عن أمرها فقيل انها متزوجة رجل من الجند وهو مسافر وله ستة أشهر فى الغزو فعند ذلك كتب الى أمير الجيش يقول قدم أوريا بن حنا امام الجيش واعطيه الراية بيده وكان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا ما يسلم فلما وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية الى أوريا وتقدم فقتل فكتب أمير الجيش يخبره بموت أوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه تولده سليمان عليه السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صوري فأقام معها أياما وكان لداود اذ ذاك تسعة وتسعين امرأة وقد أكمل بأم سليمان المائتى وهي تشايع فعند ذلك أرسل الله ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود فقال له لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وهو قوله تعالى وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الآية فقال داود قصا على قصتكما قال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال له داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فضحك المدعى عليه فقال له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود انه وقع فى الخطيئة فخر ساجدا أربعين ليلة وهو يبكى ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الارض من دموعه وأكلت الارض جبهته فرفع رأسه وقام فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع عنه الوحى وكان يقول فى سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه والاصار حديثا فى الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى انعشب رأسه فجاء اليه

جبرائيل وقال يا داود ان الله غفر خطيئتك فاذهب الى قبر اوريا بن حنا واسأله بأن يحالك فانطلق الى قبر اوريا وقال يا اوريا فقال من قبره لبيك يا داود فقال داود اجعلني في حل مما كان مني اليك فقال اوريا وما كان منك فقال عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حاللتك من ذلك فأوحى الله اليه يا داود هلا قلت له عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد اليه وقال له داود يا اوريا فلباه من القبر ثانيا فقال داود يا اوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من بعدك فلما سمع اوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه اوريا فبكى داود وحث التراب على رأسه فأوحى الله تعالى اليه يا داود اذا كان يوم القيامة اعطي اوريا الثواب الجزيل حتى ارضيه واستوهبك منه فقال داود الهي الآن طاب قلبي بمغفرتك وكرمك وذلك قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فكان داود لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وكان لا يأكل الخبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه ويبدر عليه الملح وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين قال عطاء الخراساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها فكان كلما نظرها يبكي

(قال) وهب بن منبه لما وقع داود في الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر في أحوال الرعية من بني اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاؤا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا له ان أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر في أحوال الرعية واحق ما تكون أنت متوليا على بني اسرائيل ودخلوا على داود وتكلموا معه في ذلك ولا زالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بني اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع اعيان بني اسرائيل وجاؤا الى سليمان وأشاروا عليه بقتل أبيه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط يا ابن قتل أباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلي على يد بني اسرائيل فلا تحضر أنت قتلي فانه يضير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بني اسرائيل على قتل أبيه

﴿قال﴾ السدي لما تاب الله على داود وأراد أن يرجع الى ملكه ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة فقتل في هذه نحو من عشرين الفا من بني اسرائيل فهرب سليمان فلحقه قائد من قواد ابيه فلما ظفر به سليمان تركه للمجاهدة والغزوات هكذا نقله بن كثير *(ذكر قصة داود وسليمان في الحرث) قال الله تعالى وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث الآية ﴿قال﴾ ابن عباس رضي الله عنهما كان الحرث زرعا وذلك انه دخل على داود رجلان واحد صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأكلته ولم يبق منه شيء فقال داود عليه السلام خصمه اعطيه الغنم التي أكلت الزرع في نظير زرعه وكان ابنه سليمان حاضرا فلما سمع ذلك قال لابيه انت ثابت بشيء فيما قضيت به فقال له داود فكيف تقضي أنت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بأن يدفع الغنم الى صاحب الزرع سنة كاملة فيكون له نسلها ولبنها وأصوافها فاذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئته يوم أكل فأسلم الزرع الى صاحبه والاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء على ماقضيته أنت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان ثم ان داود استخلف ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاثة عشر سنة فشق ذلك على بني اسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلام صغير السن وفينا من هو أعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع أعيان بني اسرائيل من اسباط أولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون في أمر سليمان فليجيء كل منكم بعصا ويكتب اسمه عليها ويجيء سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم ادخلوا العصي كلها الى بيت واقفلوا بابه فمن أورقت عصاه فهو أحق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا ذلك فأدخلوا عصيهم كلهم ووضعوها في بيت وقفلوه كما أرادوا فلما أصبحوا وجدوا العصي كلها على حالها الا عصا سليمان فانها صارت مورقة فلما رأت بنو اسرائيل ذلك علموا أن سليمان هو الخليفة عليهم من بعد أبيه داود واستمر على عبادة الله

تعالى منعكف حتى مات قال ابن كثير لما مات داود مشى في جنازته أربعون ألف راهب وعليهم البرانس السود ودفن في بيت المقدس عند بيت لحم وقيل دفن في عنتاب والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

(ذكر قصة نبي الله سليمان عليه السلام) قال الله تعالى وورث سليمان داود قال الثعلبي كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا وكان سليمان أصغر أولاده قال السدي كان سليمان أفقه من أبيه واقضى منه في الحكم ولكن كان داود أشد تعبدا *(قال)* السدي والثعلبي لم يملك الدنيا كلها سوى أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فهما النمرود بن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فأجاب الله دعاءه وأعطاه *(سؤال لطيف)* قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده والانبياء من شأنهم الزهد في الدنيا *(الجواب)* اعلم ان سليمان عليه السلام علم بذلك فقال أولا رب اغفر لي ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة وهو قوله رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال السدي سبب طلب سليمان الدنيا ان جبرائيل عليه السلام جاء الى سليمان وقال له ان الله تعالى يأمرك أن تمضي الى مكان كذا وكذا فان هناك امرأة أرملة ولها عند الله منزلة فامض اليها وارفع عنها حوائج الدنيا وجميع ما تحتاج اليه من أكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبرائيل ان الله تعالى يعلم باني عبد فقير لا أملك من الدنيا شيأ وكان سليمان يصنع القفف بيده ويبيعها ويأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب مال بيت المسلمين فأوحى الله الى سليمان اطلب مني ما تريد فلما رأى الاذن من الله في الطلب فطلب وما قصر طلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه الدنيا من مشرقها الى مغربها *(قال)* وهب ابن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلب أن يكون أمورها اليه حتى يعدل بين الناس وينصف المظلوم من الظالم ويجود على الفقراء

والمساكين فان الدنيا مع العبد الصالح في يده لا في قلبه فان كان بالعكس فقوى النفس وقول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي لان الله الهمه العدل في الرعية فعلم ان غيره لا يقدر على مثل عمله أي وكان سليمان متواضعا عادلا يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويحدثهم كأنه منهم وكان لا يشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس الا الصوف ومع ملكه لا ينفق الا من عمل يده *(قال)* وهب بن منبه ان الله تعالى سخر لسليمان الانس والجن والوحوش والطيور والريح فكان الريح يحمل بساطه الى مسيرة شهر في غدوة من النهار وهو قوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر *(قال)* السدي كان طول بساط سليمان فرسخ وعرضه فرسخ وهو مركب على أخشاب *(قال)* مقاتل ان الجان نسجت له البساط وهو من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل جنوده ودوابه وخيوله وسائر الانس والجن والوحش والطير وكان جيش سليمان ألف ألف انسان ويتبعها ألف ألف انسان وكان هذا البساط يسير بين السماء والارض مثل السحاب ودونه الى الارض فان أراد يسيره بسرعة أمر الريح العاصف يحمل ذلك البساط فيسير كالبرق الى حيث شاء وكان البساط اذا سار لم يحرك انسانا ولا دابة ولا شجرة واذا مرت على الزرع في الارض لا يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا واقفة بين يديه فاذا تكلم أحد من المشرق أو من المغرب فتحمل ذلك وتلقيه في اذن سليمان *(قال الزمخشري)* كان لسليمان كرسي من الذهب والفضة برسم الامر والاعيان وحول ذلك الكرسي ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة *(قال السدي)* كان لسليمان ألف قصر مبني من قوارير وفيها ثلاثمائة امرأة وألف سرية (قال كعب الاحبار) كان جيش سليمان اذا نزل في الفضاء تملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله من حر الشمس وقت القائلة *(قال الثعلبي)* كان راتب مطبخ سليمان في كل يوم مائة ألف

شاة وأربعين ألف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع عن أكل خبز الشعير بالملح الجريش وكانت الجن يغوصون له البحار ويستخرجون له منها الدرر الكبار ويجعلونها بين يديه وذلك قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية * (قال الثعلبي) * ان سليمان كان اذا جلس في موكبه تقف الغلمان الحسان على رأسه باطباق من الذهب وهي مملوءة من المسك السحيق وفيها صحف من الياقوت الاحمر وفيها شيء من ماء الورد وفوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف باجنحتها وتنزل في ماء الورد وتمرغ في ذلك المسك وتطير وتنفض على الكبير والصغير من جيشه * (قال السدي * لم يقع لاحد من ملوك الأرض مثل ما وقع لسليمان وذلك ان الريح مركبه والبحار خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس يظله والوحوش حرسه وكان آصف بن برخيا وزيره والاسم الاعظم مكتوب على خاتمه (وقيل ان سليمان) تأمل ذلك وعجب بنفسه فمال البساط من تحته في قوة سيره فهلك من جيشه نحو اثني عشر ألف انسان في ساعة واحدة فلما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان في يده قال اعتدل أيها البساط فأجابه البساط من تحته فقال له اعتدل أنت يا سليمان حتى اعتدل أنا فعلم ان البساط مأمور فخر سليمان ساجدا * (قال وهب بن منبه) * فلما اتسعت الدنيا عليه نسي الارملة التي تقدم ذكرها فلما تذكرها اضطرب وتوجه اليها وهو ماش على قدميه فوقف على بابها فأذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء وحولها ثلاث بنات فقالت يا سليمان يوسيك الله بي وتغفل عني هذه المدة الطويلة فاعتذر اليها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وأنت عازبة فقالت له منذ عشر سنين ومعي ثلاث بنات ولم يكن لي ما يكفيهم من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل اليها مائة رحل ما بين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندكي شيء فأرسلي أعلميني حتى أرسل اليكي عوضه فان الله امرني ان اكفيكي هم الدنيا وأمر المعيشة * (قال أبو عمران الجوني) * بينما

سليمان سائر على بساطه بين السماء والارض اذ مر برجل راع فلما رأى الراعي البساط وسليمان وجنوده ركو باعليه قال لقد أتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما لم ينله أحد قبلك فالقت الريح كلام الراعي الى سليمان فاحضر سليمان الراعي وقال له ان تسبيحة من مؤمن أفضل مما اوتي سليمان من هذا الملك كله * (ومن النكت الغريبة) * ما نقله الشيخ عبد الرحمن ابن سلام المقرى في كتاب العقائق ان سليمان لما رأى ان الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده قال اله لو اذنت لي أن أطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فأوحى الله اليه انك لن تقدر على ذلك فقال الهي شهرا فقال الله تعالى لن تقدر فقال الهي يوما واحدا فقال تعالى لن تقدر فقال الهي مقصودي منك يوما واحدا فاذن الله تعالى له في ذلك فأمر سليمان الجن والانس بان يأتوا بجميع ما في الارض من أبقار وأغنام ومن جميع ما يؤكل من أجناس الحيوان من طير وغير ذلك فلما جمعوا ذلك جمعوا القدور من جميع الجهات ثم ذبح ذلك وطبخه وأمر الريح ان تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام في البرية فكان طول ذلك السماط مسيرة شهرين وعرضه مثل ذلك ثم أوحى الله اليه يا سليمان بمن تبتدى من المخلوقات فقال سليمان ابتدى بدواب البحر فأمر الله حوتا من البحر المحيط ان يأكل من ضيافة سليمان فرفع ذلك الحوت رأسه وقال يا سليمان سمعت انك فتحت باب الضيافة وقد جعلت عليك ضيافتي في هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول السماط فلم يزل يأكل حتى أتى الى آخره في لحظة ثم نادى أطعمني يا سليمان وأشبعني فقال له سليمان أكلت الجميع وما شبعت فقال الحوت هكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف اعلم يا سليمان ان لي في كل يوم مثل ما صنعت ثلاث مرات وأنت كنت السبب في منع رزقي في هذا اليوم وقد قصرت في حقي فعند ذلك خر سليمان ساجدا لله تعالى وقال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق من حيث لا يعلمون وقد قال في المعنى

رزقي يأتي وما لي يكفله * لا قصد غيره ولا أسأله

ان كنت اظن انه من بشر * لاقدره الله ولا يسره

ومن النكت اللطيفة ماذكره بن الجوزى فى كتاب الاذكياء ان الهدهد قال يوما لسليمان أريد ان تكون فى ضيافتى يوم كذا وكذ فقال له سليمان أنا وحدى قال لا بل أنت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده الى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد الى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفى فمه جرادة فخنقها ورمى بها فى البحر وقال له يانبى الله تقدم وكل أنت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة فضحك سليمان فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك *ومن النكت* مثل ذلك القنبرة أضاف سليمان وأتته ببعض جرادة فقيل فى معناها

أتت سليمان يوم الحرب قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدية من مقدار هاديها
لوان يهدى الى الانسان قيمته * لكانت قيمتك الدنيا وما فيها

(ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس) قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة السلام جالسا على سرير مملكته اذ وقع عليه ضوء الشمس وكان الطير يظله من حر الشمس فكان ذلك المكان الذى وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لانه تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ودعى بالعقاب وكان عريف الطير فقال له أين الهدهد فأرتفع العقاب وسار يمينا ويسارا فلم يراه فعاد وقال انه غائب وفى المعنى أنشد بعضهم

ومن عادة السادات ان يتفقدوا * أحباءغرهم (؟) بالمكرمات عوائد
سليمان ذو ملك تفقد طائرا * وكانت أقل الطائرات الهدهد

فعند ذلك قال سليمان عن الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا الآية *(قال بعض العلماء) فى معنى عذابه الشديد ماهو فقيل بان ينتف ريشه ويسلمه الى النمل فى القيلولة أو يضعه مع ابناء غير جنس له أو يذبحه فلما أقبل الهدهد تلقاه العقاب وأخبره بما قاله سليمان فلما وصل اليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه ثم سأله عن

سبب غيابه فقال الهدهد احطت بما لم تحط به علما فقال له سليمان وماهذه الدعوة العريضة قال انى وجدت امرأة بأرض اليمن لم يكن فى قصرك مثلها ولا تقع العيون على أحسن منها واسمها بلقيس ولها عرش عظيم أى أكبر من عرشك ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى قال الطبرى ان اسم بلقيس بلقمة وهى بنت هداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وانها تسجد للشمس من دون الله أخذ سليمان ليدعوها للاسلام *(فقال للهدهد)* سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وكان مضمون كتاب سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على وأتونى مسلمين فاخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به الى أرض سبأ وهو قوله جئتك من سبإ أى من نواحى اليمن فسار الهدهد والطير حوله وألبسه سليمان التاج على رأسه فحمل الكتاب فى منقاره وصار يدعى من يؤمن رسول سليمان فلما وصل الى قصر بلقيس وقت القائلة فوجدها على سريرها نائمة وكان فى قصرها ثلثمائة وستون كوة تشرق الشمس كل يوم فى كوة فلا تعود اليها الا فى سنة اخرى فى مثل ذلك اليوم وكان لذلك القصر سبعة أبواب فلما أتى الهدهد بالكتاب دخل به من الكوة التى مقابلة لوجه بلقيس فالقى الكتاب على صدرها ثم رجع الى تلك الكوة التى دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها *(قال السدى)* لما القى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت الى الاسلام ثم انها أمرت باحضار قومها وقالت أيها الملاء انى القى الى كتاب كريم قيل كرامته ختمه فأعلمتهم بما فى الكتاب فلما سمعوا ذلك قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين وكانت بلقيس تحكم على اثنى عشر قبيلة من قبائل اليمن فلما قال أقوامها نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك

يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وكانت بلقيس من ذوى العقول قد دبرت ملك اليمن وساسته رعيته أحسن سياسة ﴿قال قتادة﴾ ان بلقيس ارسلت الى سليمان هدية حافلة أرسلت اليه خمسمائة لبنة من الذهب ومثلها من الفضة ووزن كل لبنة مائتى رطل وخمسة أسياف من الصواعق وتاجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وأرسلت اليه حقة فيها درة مثمنة وخرزة من الجزع وهى معوجة الثقب وأرسلت خمسمائة جارية وخمسمائة غلام مرد وألبست الغلمان لبس الجوارى والجوارى لبس الغلمان ثم أمرت الغلمان أن يتكلموا بكلام لين والجوارى يتكلمن بكلام غليظ وأرسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت معه كتابا بشرح الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز لنا بين الجوارى والغلمان وأخبر بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الخرزة ثقبا مستويا من غير علاج انس ولا جان ثم قالت للرسول انظر اليه فان كان نظره اليك بغير غضب فهو نبى والا فهو ملك فلا يهولك أمره وافهم قوله ورد على الجواب كما تسمعه منه فلما توجه الى سليمان سبقه الهدهد وأخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضى على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وصار يرى الماء تحت الارض فكان دليل سليمان على الماء فى سفره وصار من الطيور المباركة ثم ان سليمان أمر الجن بأن يعملوا لبنا من ذهب وفضة أكثر من أن يحصيها العدد على طريق جماعة بلقيس فلما بسطوها كانت مقدار سبع فراسخ ثم أمرهم أن يجعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التى مع رسول بلقيس قدرا وعددا وجلس سليمان على كرسيه فأمر الجن أن يأتوه بأحسن دواب البر والبحر فجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الانس والجن والطيور معكفة من فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة فلما رأى تلك اللبنات المطروحين بالفلوات

خاف أن يتهم بنقصه من اللبنات فعند ذلك تحير وسار بين اللبنات حتى
أتى على محل خالى بين اللبنات فوضع الخمسمائة لبنة فى المحل الخالى الذى
جعله سليمان غنيمة له ومازال بعد ذلك سائراً حتى دخل الرسول على سليمان
فنظر اليه نظر البشاشة وقال له أين الحقة التى معك فأتى بها فقال قبل أن
يفتحها سليمان قال للرسول ان فيها درة مثمنة وفيها خرزة جزع وهى معوجة
الثقب فقال الرسول لقد صدقت يانبى الله ثم ان سليمان أمر الارضة وهى
دويبة صغيرة فأخذت شعرة فى فيها ودخلت فى تلك الدرة وخرجت من
الجانب الآخر وأمر دودة بيضاء أن تثقب تلك الخرزة فثقبت تلك
الخرزة ثقبا مستويا وخرجت من الجانب الآخر ثم نظمهما وأعطاهما
للرسول ثم أمر الجوارى والغلمان بأن يغسلوا وجوههم بين يديه بأيديهم
فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله فى الاخرى فتضرب به
وجهها والغلام يأخذ الماء من الاناء دفعة واحدة ويضعه على وجهه
﴿قال الثعلبى﴾ كانت الجارية تصب الماء على باطن كفها والغلام يصب
الماء على ظاهر كفه فعند ذلك ميز بين الجوارى والغلمان ثم رد جميع
الهدية الى الرسول فلما رجع الرسول الى بلقيس أخبرها بجميع مارأى
وبما سمع وبما شاهد من عظيم ملكه فقالت بلقيس كنت أظن ذلك وهو
نبى وليس لنا بحربه طاقة ثم انها أرسلت تقول لسليمان انى قادمة اليك
أنا وقومى لانظر ماذا تدعونا اليه من دينك وعزمت على التوجه اليه
وجعلت عرشها فى قصرها وأغلقت عليه سبعة أبواب وجعلت عليه
حراسا وأوصتهم بحفظه ثم انها توجهت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قبيلة
من قومها فلما نزلت على مقدار فرسخين من مدينة سليمان فبلغه ذلك فأراد
أخذ عرش بلقيس قبل أن تصل اليه ليريها قدرة الله تعالى وما أعطاه
من المعجزات فجمع فرسان قومه وقال أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل
أن يأتونى مسلمين أى قبل أن يؤمنوا بالله فيحرم علينا أخذ أموالهم ثم انه
أحضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن يقال له صخر الجنى

قال له أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا أي من مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس وهو من مقدار أول النهار الى نصفه والاصح قبل وقت الزوال وقال العفريت واني عليه لقوي أمين أي أمين على الجواهر التي فيه مرصعة به فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذي عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴿قال مقاتل﴾ هو جبرائيل عليه السلام ﴿وقال السدي﴾ هو أبو العباس الخضر عليه السلام ﴿وقال مجاهد﴾ هو اصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الاعظم فقال انظر يا نبي الله الى جهة اليمن فنظر فما رجع نظره الا والعرش قد ظهر قدام كرسي سليمان وكان مجيئه من مسيرة شهرين فلما رآه مستقرا عنده في أسرع مدة قال هذا من فضل ربي فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان فقال لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فعلم سليمان انها امرأة عاقلة حيث لم تثبت أنه هو ولم تنفر لكن شبهت عليه كما شبه عليها ثم قال لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة أي ماء فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان على ساقيها شعرا مثل شعر المعز فصرف وجهه عنها وقال انه صرح ممرد قوارير ممرد أي مستوي وليس هو ماء ثم انه دعى بلقيس الى الاسلام فأسلمت على يده فأراد سليمان ان يتزوج بها ولكن كره منها ذلك الشعر فشكى ذلك الى بعض الجن فصنع لها النورة فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهي أول من استعمل النورة ثم ان سليمان تزوج بها واحبها حبا شديدا وجعلها على ملكها باليمن وأمر الجن ان يبنوا لها ثلاث قصور في بلاد اليمن أحسن من قصورها وكان سليمان يزورها في الشهر مرة وأقامت معه الى أن ماتت بعده بمدة يسيرة وكان سليمان متزوجا بثلاثمائة امرأة وكان عنده سبعمائة سرية فقال سليمان لوزيره مرادي أطوف على سائر النساء فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدون كلهم في سبيل الله فقال له وزيره قل ان شاء الله فاشتغل عنها فطاف عليهن في تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد حملت بولد نصف جسد ﴿قال النبي صلى الله عليه وسلم﴾

والذي

والذي نفسي بيده لو قال أخي سليمان ان شاء الله لجاءت فرسان يجاهدون في سبيل الله كما طلب *(قال العزيزي)* بينما سليمان سائر في بعض الغزوات في وادي النمل فرأى نملة قدر الذئب العظيم وهي عرجاء ولها جناحان فدنى منها سليمان فسمعها تقول لبقية النمل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها ثم قال آتوني بها فقال لها ايتها النملة لم حذرتي النمل من ظلمي اما علمتي اني نبي لم أظلم فعفى عنها ولم يدخل الوادي التي للنمل فيه *(قال)* بينما سليمان جالس في وقت القائلة واذا بخيل سقطت من الهواء وشربت ثم ارتفعت فجمع سليمان الجن وقال أريد ان تحضروا الي هذه الخيل فقالوا لا طاقة لنا بها فقال بعض الجن نحن نحتيل في قبضها فوضعوا خمرا في ذلك المكان بعد ان صرفوا الماء وجعلوا موضع الماء خمر فلما جاءت الخيل لتشرب نفرت من رائحة الخمر فجاءت ثانيا فشمت رائحة الخمر فلا زالت تأتي وتنفر حتى زادها العطش فشربت فسكرت فأتتها الجن فوضعوا اللجم في أفواهها وركبوها فلما صحت الخيول فلم تقدر ان تنفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته صلاة العصر فلما رأى ان العصر قد فاته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته أمر بضرب الخيل وقتلها فمنها من قطع رأسها ومنها من قطع قوائمها فقتل نحو سبعمائة فرس فكف عن البعض لاجل الجهاد في سبيل الله وقد استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان من نسلها الخيول الجياد السوابق الى الآن المعروفات بالاصائل

(ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليه السلام)

قال وهب بن منبه كان سليمان لا يزال الخاتم معه في اصبعه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان اذا دخل الخلا نزعه من أصبعه ويوكل به أحدا ممن يثق به وكان على ذلك الخاتم مكتوب الاسم الاعظم ففي مرة دخل الخلا وكان قد نزعه وأعطاه لجارية فجاء بعض الشياطين الى تلك الجارية وهو على صورة

سليمان ولم تشك فيه الجارية فأخذ الخاتم منها ووضعه في اصبعه وخرج الى
الموكب وجلس على الكرسي فجاءت الجنود من الانس والجن والطيور
ووقفت بين يديه على عادتها وهم لا يشكون فيه الا انه سليمان فلما خرج
سليمان من الخلاء طلب الخاتم من الجارية فنظرت اليه فرأت هيئته تغيرت
فقالت له ومن أنت فقال لها أنا سليمان بن داود فقالت له كذبت فان سليمان
أخذ خاتمه وذهب فجلس على كرسيه فعلم سليمان ان الشياطين احتالوا
عليها وأخذوا منها الخاتم فهرب سليمان الى البراري والقفار وكان قد زاد به
الجوع والعطش فكان يقف على الابواب ويسأل الناس ليطعموه ويقول
أنا سليمان بن داود ويكذبه الناس فأقام على هذه الحالة اربعين يوما جائعا
عريان مكشوف الرأس ثم انه أتى الى ساحل البحر فرأى جماعة من
الصيادين فاصطحب بهم وعمل صيادا معهم ثم ان آصف بن برخيا قال
يا معشر بني اسرائيل ان خاتم سليمان قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه
وان سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع الشيطان الذي على الكرسي
ذلك الكلام خرج هاربا الى البحر والقى الخاتم فالتقمه حوت من حيتان
البحر ثم ان سليمان اصطاد ذلك الحوت بأمر الله تعالى فشق بطنه واذ هو
بالخاتم فوضعه في اصبعه وسجد لله شكرا ثم انه قام من وقته ورجع الى
كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا الآية ﴿قال وهب بن منبه﴾ وكان سبب أخذ الخاتم وعوده
اليه ان سليمان خرج في بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله
فاحتوى على ملكه وأمواله وأسر أولاده وكان في أولاده جارية حسنة لم ترى
العيون أحسن منها فأحبها سليمان حبا شديدا فكان لا يصبر عنها ساعة
وكان يعلوا شأنها بالمحبة على سائر نسائه فدخل عليها يوما فرآها مهمومة
فقال لها ما بالك قالت قد تذكرت أبي وما كان عليه من الملك وأريد منك
ان تأمر بعض الشياطين بان يصور لي صورة أبي وهيئته حتى يذهب عني
الحزن كلما نظرت اليه فأمر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد بان

يصورلها هيئة أبيها فصنع لها صخر صنما كهيئة أبيها يكاد أن ينطق فزينته وألبسته التاج والحلة وصارت اذا خرج سليمان الى جنوده تسجد لذلك الصنم هي وجميع من عندها من الجوارى فداومت تلك الجارية على ذلك أربعين يوما وسليمان لا يعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ ذلك أصف بن برخيا وكان صديق لسليمان فجلس يوما على كرسى سليمان وجعل يعظ الناس فأثنى على من مضى من الانبياء عليهم السلام جميعهم الا سليمان فلم يذكره بشئ فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ أصف من المجلس وقام ونفرت بنو اسرائيل فقال سليمان لاصف لم لم تذكرنى مع جملة من ذكرت فقال أصف وكيف أذكرك وقد عبد فى دارك صنم منذ أربعين يوما لاجل امرأة ثم ان سليمان أمر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل الى معبده وصار يبكى ويتضرع الى الله تعالى فابتلاه الله بذهاب الخاتم ونزع الملك منه

﴿قال أبو بكر الحافظ﴾ كان قد وقع قحط فى بنو اسرائيل فى زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فرسليمان بنملة ملقاة على قفاها رافعة يديها نحو السماء وهى تقول اللهم نحن بأنا خلقك ضعاف لا قوة لنا فلا تهلكنا وتأخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال أرجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم

﴿ذكر وفاة سليمان عليه السلام﴾ قال العزيزى ان ملك الموت أتى الى سليمان وكان صديقا له وكثيرا ما يزوره فقال سليمان متى موتى فقال له جبرائيل عليه السلام ان وقت موتك اذا خرجت من موضع سجودك شجرة الخرنوب فاذا رأيتها فهو وقت وفاتك وكان سليمان اذا صلى ببيت المقدس نبتت مكان سجوده شجرة فيسأل الشجرة عن أسمها فتقول اسمى كذا ومن منافعى كذا ومن مضارى كذا فيكتب ذلك ويأمر بغرسها فى بستان له فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت له اسمى الخرنوبة فقال ولاى شئ أنت قالت قد جئتك لموتك وخراب هذا المسجد يعنى بيت المقدس فلما سمع سليمان كلامها أمر

بغرسها في حائط البستان وكتب منافعها ومضارها ثم لبس اكفانه ودخل الى محرابه واتكى على عصاه وقال اللهم أكتم موتي عن الجن حتى يعلمون الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فأتاه ملك الموت وقبض روحه وهو متكى على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر أحدا من الانس والجن بموته ولا يشعرون بحاله الا أن سلط الله تعالى الارضة على العصاة فأكلت منها يوما وليلة فخر ماقي على الارض لما سقطت العصاة من يد سليمان فعلموا أنه قد مات من سنة مضت وهو قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل من سأته فلما خر تبين للانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا *(قال)* وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من أبيه داود كان عمره يومئذ ثلاثة وعشرين سنة وتوفي سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة واختلفوا في مكان قبره قيل دفن في طبرية وقيل ببيت لحم وقيل عند أبيه داود ببيت المقدس والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

(ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس) قيل ان بلوقيا الاسرائيلي طاف في الارض فر بالبحر الثاني فرأى جبلا فيه كهف فدخل في ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والاخرى على بطنه وهو كالنائم وفي أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فأراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام اليه التنينان وصعدت من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يا بلوقيا أتجسر على نبي الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا وهو مرعوب *(قال)* الثعلبي أوحى الله الى داود عليه السلام أن يتخذ في بيت المقدس مسجدا فشرع في بنائه ومات قبل أن يتكمله فلما توفي داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهما الاعمال في البناء والسقوف والرخام ثم انه جعل فيه اثني عشر رباطا وأنزل كل سبط في رباط وأمر الجن أن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل في وسط المسجد قبة

وجعل فيها عمودا أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضئ به المسافرون فى الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه وصف فيها الف الف لخيوله وهى باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة ذراع وخمسين ذراعا ثم أسقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لاجل الامطار ثم فرش أرض ذلك المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة *قال* السدى وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الابيض اذا نظر فيه انسان وكان ولد زنا فيسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الابنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الانبياء لم يضره مسها واذا مسها أحد وكان من نسل غير الانبياء احترقت يده وكان به كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شئ من علم السحر فينبح الكلب عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب اذا دخل منه ظالم يضيق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة مالا يسمع بمثلها قال العزيزى أقام سليمان فى بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنايين سبعين ألف بناء ومن النجارين ثمانين ألفا وكان له فى كل ليلة ألفين رطل دمشقى من الزيت برسم القناديل (قال) كعب الاحبار كان يجبى لهذا المسجد من البلاد فى كل سنة ستمائة ألف قنطار من الذهب والفضة لاسيما من بلاد الروم *وروى* فى بعض الاخبار ان صخرة بيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من سائر البحار العذبة ثم تتفرق فى الارض وفيه دفن أكثر الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بخت نصر وخرب البلاد فخربه مع جملة ما خرب *قال* النورى لما خرب بخت نصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر انتهى (ذكر قصة بخت نصر البابلى) وقيل اسمه بخت فارسى

وذكر ما وقع له مع أرمياء عليه السلام قال وهب بن منبه كان أرمياء من سبط أولاد يعقوب عليه السلام *(قال)* السدى أرمياء استخلف على بنى اسرائيل فأوحى الله اليه ان هلاك بنى اسرائيل على يد رجل يقال له بخت نصر وهو من ملوك بابل وكان بخت نصر هذا من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان بخت نصر قد عمر دهرا طويلا قيل انه عاش ألف وخمسمائة سنة فلما سمع أرمياء ما أوحى الله تعالى اليه بكى وصاح وأتى الى ملك بنى اسرائيل وكان رجلا مؤمنا صالحا فأخبره بما أوحى الله تعالى اليه فلما سمع ذلك جمع أعيان بنى اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى الى أرمياء وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من أمور يفعلونها فمكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين وهم لا يزدادون الا طغيانا وفسقا ومعاصى فلما حلت بهم نقمة الله خرج بخت نصر عليهم وأتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة ألف أمير من امرائه واقفون بالرايات عند الجند والعسا كر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا الى بيت المقدس فقال أرمياء اللهم ان كان بنو اسرائيل على طاعتك فابقهم وان كانوا عاصيين فأهلكهم بشئ من قدرتك فحين دعى أرسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فأهلكت من بنى اسرائيل جانبا عظيما وأحرقت مكان القربان ثم دخل بخت نصر الى بيت المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وأمر رجاله أن يرموا فيه ترابا فملؤه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير وأحرقوا التوراة التى كانت به ثم شرعوا فى القبض على بنى اسرائيل من كبير وصغير وصار يقتلهم واستمر بخت نصر ينهب ويقتل ويخرب فى البلاد والجوامع ويقتل الناس من الفراة الى العريش وهو على ما ذكرناه من القتل والنهب والخرب ولم يرحم كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره *(قال)* الثعلبى لم يبق من بنى اسرائيل رجل الا وقتله وأما الاطفال ففرقها على جنوده فأصاب كل رجل أربعة أولاد *(قال)* وكان فى هذه الاطفال جماعة من الاسباط من أولاد يعقوب ويوسف

عليهما السلام وكان فيهم جماعة من اهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ شابا صغيرا لم يبلغ الحلم وهو قوله تعالى فجاسوا خلال الديار ثم ان بخت نصر جعل الاسارى على ثلاث فرق ترك الشيوخ والعجائز والزمنى وجعل النساء في الاسواق فرقا وفرق الاطفال وقتل الشبان والشجعان وحمل الاموال والتحف ورحل ورجع الى الشام ثم توجه الى مصر فقتل في القبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة والطلسمات وأخذ الاموال والتحف فرحل عنها وتركها خرابا بلقعا وبقيت مصر خرابا مدة أربعين سنة لا ساكن بها فكان النيل يتفرش على الارض ويذهب ولا يزرع أحد عليه ثم ان بخت نصر توجه الى بلاد الغرب وفعل كذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو أول من فعل الكمين من العساكر في الحرب فكان بخت نصر نقمة في الارض وجعله الله كالطاعون في الارض ﴿وقد ورد﴾ في الاخبار عن الله عز وجل ألا قال من عصاني ممن يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني ثم رجع بعد ذلك بخت نصر الى بابل ﴿قال الله تعالى﴾ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة الآية فمن يومئذ تفرقت بنو اسرائيل في البلاد خوفا من بخت نصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة ببابلة وغير ذلك من الاماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كيرش ﴿قال﴾ فمن يومئذ فقدت التوراة ونسي أمرها وصار بنو اسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحدا حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه السلام ﴿قال﴾ السدى ان بخت نصر أخرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار ﴿ذكر قصة العزير عليه السلام﴾ قال الله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه أى لم يتغير ﴿قال﴾ قتادة طعامه من التين الاخضر

(قال) الطبري كان طعامه من العنب الاسود وقد أتى عليه مائة عام ولم يتغير *(قال الله تعالى)* وانظر الى حمارك وكان حماره قد أماته الله وهو نائم فلما أفاق من نومته رأى عظامه فأحياه الله والعزير نظر الى العظام حين كساها الله لحما وأحيى له الحمار فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير *(قال)* السدي جاء بعد بخت نصر ملك من الجبابرة يقال له بردادس وكان بمدينة ادربيجان وكان على دين المجوس فأباح للناس نكاح الامهات والاخوات وعبادة النيران ولم يزل على هذا الحال هو وولده عند الفرس الى زمن كسرى أنوشروان فأبطله في أيامه انتهى *(ذكر قصة دانيال عليه السلام)* قال الثعلبي لما أسر بخت نصر الاطفال كما تقدم وأسر من جملتهم دانيال أخذه معه الى أرض بابل فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الاسباط ثم ان بخت نصر رأى في منامه رؤيا افزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشيء فقالت السجان وقالت لبخت نصر ان عندنا في السجن شاب يقول انه يفسر ما رأيت فقال أتوني به فلما حضر بين يديه لم يسجد له فقال لاي شيء لم تسجد لي فقال دانيال لا ينبغي السجود لغير الله فتعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا أمر سهل وكانت الرؤيا انه رأى صنما رأسه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا نزل من السماء فأصاب الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملأ المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها في الارض وفرعها في السماء ورأى عليها رجلا وبيده فاس وهو يقطع فروع تلك الشجرة ثم ترك أصلها قائما على حاله فلما سمع دانيال فسر له ذلك على أحسن وجه ثم ان بخت نصر أكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف بشيء الا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نهوا بخت نصر عنه وحرضوه منه فأمر بقتله فحفر له أخدودا في الارض وألقاه فيه وألقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة وأصبح وجده بخت نصر لم تضره السباع فقربه الملك بخت نصر فحسده المجوس وأتهموه فقالوا لبخت نصر ان دانيال يقول انك تبول في الفراش كلما نمت وكان ذلك عارا

عند الملوك فأمر بخت نصر بوليمة وأحضر دانيال اليها وجاء الليل فأمر بخت نصر دانيال أن ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بخت نصر للبوابين اذا خرج عليكم من يريد البول فاقطعوا رأسه ولو كنت أنا فلما نام دانيال هو وبخت نصر على فراش واحد حبس البول على دانيال وانطلق على بخت نصر فكان أول من قام يريد الخلاء فمضى وهو يسحب أذياله ولا يستطيع رفع قامته من البول فرأته الحجاب فقاموا اليه بالسيوف فقال أنا بخت نصر فقالوا كذبت انه أمرنا أن نقتل من خرج يريد البول فقتلوه وأهلكه الله بما اختاره لدانيال وأنجى الله دانيال ﴿وذكر﴾ بعض المؤرخين ان بخت نصر مسخه الله وأقام ممسوخا سبع سنين على صورة ثور فكان ذلك تأويل رؤياه فلما مات تولى بعده ابنه بلسطاس فأقام بعد أبيه أربعين سنة ثم ان دانيال توجه الى جهة السوس فأقام بها الى أن مات ودفن هناك وهو أول من فرق بين الشهود عند الشهادة ﴿قال العزيزي﴾ لما فتحت مدينة السوس فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فدخلها المسلمون فرأوا مخبأة مقفولة بأقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضا من الرخام الاخضر مغطى برخامة خضراء فكشفوها فاذا فيها رجل وعليه أكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا انفه فزاد على شبرين فأرسلوا اعلموا عمر بن الخطاب فأحضر عليا رضى الله عنهما وأخبره بذلك فقال على رضى الله عنه هذا نبى الله دانيال فأرسل عمر رضى الله عنه بأن يجددوا له أكفانا فوق ما عليه من الاكفان وان يحصن قبره حتى لا يقدر عليه أحد فحفروا له قبرا فى نهر السوس ﴿ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام﴾ قال وهب بن منبه كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا ﴿وقال﴾ عكرمة كان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل وكان أصله عبدا حبشيا وقيل نوبيا وكان اسمه لقمان بن سرون وكان لرجل قصار من بنى اسرائيل من أهل مدينة ايلة فاشتراه بثلاثين دينارا فأقام عنده مدة ثم أعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريبا من بيت المقدس

فكان بنو اسرائيل يأتون اليه ليسمعون منه الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء اليه رجل من عظماء بني اسرائيل فقال له يالقمان ألم تكن عندنا بالامس نوبيا لفلان قال نعم فقال له من أين لك هذه الحكمة قال بصدق الكلام وبترك لا يعني وكان نبي الله داود عليه السلام يأتي اليه ويسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات ودفن بين المسجد الذي بها وبين السوق ﴿قال﴾ السدي دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم في يوم واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بني اسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله لقمان في القرآن العظيم حيث قال ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية ﴿قال﴾ وهب بن منبه كان من الانبياء ثلاثة وهم سود الالوان لقمان وذو القرنين ونبي الله صاحب الاخدود ﴿ذكر قصة صاحب الاخدود﴾ قال وهب بن منبه كان ملك من ملوك الفرس وكان جبارا عنيدا فسكر ذات ليلة فنكح أخته فلما أفاق من سكره جمع العلماء الذين في زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت به فلم يجيزوا له ذلك فقالت أخت الملك ان من الرأي ان تخرج الى أهل مملكتك وتخبرهم بأن الله قد أحل نكاح الاخوات ففعل فأنكر عليه نبي ذلك الزمان الذي بعثه الله اليهم فلما بلغ الملك انكار النبي عليه أحضره الى بين يديه وقال له اخبر الناس بأن الله قد أحل نكاح الاخوات فامتنع من ذلك وقال ان هذا لا يجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فأمر الملك بأن يقال يحفر له اخدودا في الارض وجعل فيها نارا موقدة فقذفه في تلك النار وقذف معه اثني عشر ألف انسان من العلماء من بني اسرائيل ممن خالف أمره انتهى ﴿ذكر قصة بلوقيا﴾ قال الثعلبي كان في زمن بني اسرائيل رجل يقال له أرشيا وكان من علماء بني اسرائيل وكان يقرأ في الكتب القديمة فوجد فيها على بعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم فجمع ذلك كله في صحيفة وخبأها عنده في صندوق وقفل عليها اقفالا وأخبأه فتاحه في مكان خفي عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا اوصى ابنه بأن

يقضي في بني اسرائيل من بعده فلما كان في بعض الاوقات اذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل أمه فقالت لا أدري ما فيه ولا أعلم أين مفتاحه ثم ان بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق واذا بالصحيفة المكتوب فيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الانبياء والمرسلين وان الجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها هو وأمته فلما قرأ الصحيفة وأخرجها لعلماء بني اسرائيل فلما سمعوا ببعث محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا بلوقيا كيف كان أبوك يعلم بذلك ولم يخبرنا فوالله لولاك لحرقنا قبره لاجل انه كتم علينا خبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم ان بلوقيا ودع أمه وقال يا أماه اني قد وجدت بعث نبي آخر الزمان واني مسافر ولا أرجع حتى أقف على أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار من مصر في طلب محمد صلى الله عليه وسلم فطاف البلاد من المشرق الى المغرب ووصل الى البحر السابع ورأى العجائب الكثيرة الذي لم يرها غيره من الناس ﴿فمن جملة﴾ ما رأى في جزائر البحر جزيرة فيها حيات كأمثال الجمال الكبار وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا السلام عليكم فقالت له الحيات ما سمعنا قط بهذا فقال هذه سنة آدم فقالوا من أنت فقال من بني اسرائيل فقالوا ولا نعرف آدم ولا بني اسرائيل فقال لهم بلوقيا كيف عرفتم محمدا فقالوا نحن منذ خلقنا الله تعالى على ذلك أمرنا الله بذلك ونحن من حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقالوا اسود امتقتة تتنفس في كل سنة مرتين مرة في الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة في الشتاء فذلك البرد من نفسها ثم ان بلوقيا ادخل الى جزيرة أخرى فرأى فيها حياتا أعظم مما رأى أولا كأمثال جذوع النخل ورأى بينهم حية صفراء اذا مشت مشت حولها الحيات فلما رأوا بلوقيا قالوا له من أنت فقال أنا بلوقيا من بني اسرائيل فقالت ما سمعنا بهذا الكلام من قبل فقالت أنا موكلة بجميع الحيات التي في الدنيا ولولاي لشردت على بني اسرائيل وقتلتهم في يوم واحد فمضى بلوقيا الى أن وصل الى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول

شرحه فمن جملة مارأى جزيرة فيها نخل من ذهب اذا طلع عليه الشمس يصير له لمعان كالبرق فلا تستطيع الابصار رؤيته من شدة بريقه وفي هذه الجزيرة أشجار عظيم حملها فدنى الى حمل بعض الاشجار فنادته اليك عني ياخاطئ فتأخر وجلس واذا هو بجماعة نزلوا من السماء وبايديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت الى هذا المكان فقال لهم أنا من بني اسرائيل واسمي بلوقيا ومن تكونوا أنتم قالوا نحن قوم من الجن مؤمنين وقد كنا في السماء فأنزلنا الله الى الارض وأمرنا ان نقاتل كفار الجن في الارض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك عظيم الخلقة وهو واضع يده اليمنى في المشرق والاخرى في المغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فتقدم اليه وسلم عليه فقال له من أنت قال بلوقيا رجل من بني اسرائيل خرجت في طلب خاتم النبيين فقال له بلوقيا ومن أنت قال أنا الملك الموكل في ظلمة الليل وضوء النهار فقال له بلوقيا ما هذان السطران اللذان في جبينك فقال له مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار وقصرهما فما أمسك الليل الا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا واذا بملك آخر عظيم الخلقة وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد السلام فسأله بلوقيا عن ماهو فقال أنا ملك موكل بالريح وبالبحر فما أخرج الريح الا باذن من الله واني ماسكه بيميني وماسك البحر بشمالي ولولا ذلك لهلك جميع من في الارض فتركه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعها فمن شعاع ذلك ترى سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا أراد الله أن يزلزل جانبا من الارض أمر ذلك الملك أن يحرك العرق الذي يتصل بذلك الجانب الى جبل قاف فتصير الزلزلة واذا أراد الله خسف قرية فيأذن الله لذلك الملك أن يقطع عرقها من الارض فتنخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل فقال أربعون ألف مدينة غير مدائن الدنيا وهي من ذهب وفضة وليس يغشاها ليل ولا نهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون

قال بلوقيا وما وراء تلك المدن قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب الا الله تعالى فتركه ذلك ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نعبد الله ها هنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يرهج كالشمس فسألهم عنه فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التي في الارض فهي ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من أنت يا خلق الله قال أنا بلوقيا من بني اسرائيل وأنا في طلب محمد خاتم النبيين هل عندكم ما تطعموني فأخرجا له من غيب الله رغيفا فأكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه ما يدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة مشوية فدنى من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة أرسلني الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا منها ثم أمرني الله أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرني أن أطعم منها كل من مر بها فأكل منها بلوقيا فلم ينقص منها شيء وهي على حالها فسأله عن حالها فقال الطائر ان طعام الدنيا ينقص ويتغير وأما طعام الجنة لا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبو العباس يأتي أحيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع بلوقيا ذلك أقام ليظفر بالخضر ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل وعليه ثياب بيض فقام اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له بلوقيا يا أبا العباس خرجت في طلب نبي آخر الزمان حتى انتهيت الى هذا المكان فكثت الى قدوم ملك الخضر فقال له يا بلوقيا ان نبي آخر الزمان لم يظهر في هذا الاوان ولا تدركه الآن يا بلوقيا أتدري كم بينك وبين أهلك قال لا أعلم قال مسيرة خمسمائة عام

تحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال فأغمض عينيك فأغمضت فحملني لحظة ووضعني فلم أشعر الا وأمي بجانبي ففتحت عيناي وسلمت على أمي وقلت لها من جاء بي اليك يا أمي فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه قصته وخرج الى بني اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله في غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون جميع مارأى من العجائب مدة أربعين سنة فلم يحصوا ما عنده مما رأى قيل ان بلوقيا عاش نحوا من ألف سنة والله أعلم *(ذكر قصة اسكندر ذو القرنين)* قال الله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين الآية قيل هو من أولاد الضحاك وكان أصله من حمير وكان أسود اللون وكانت أمه من بنات الروم وقيل انه اسكندر بن دارب ملك اصطخر وبابل والمدائن بالمشرق وقد كفله جده أبو أمه واسمه فيلسوف وكان ملك الروم قال الامام على رضي الله عنه وعكرمة كان اسكندر ذو القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام *(قال بعضهم)* كان طول انفه ثلاثة أشبار وقس على ذلك عظم رأسه وجثته ويقال انه هو الذي بنى المنار بالاسكندريه وقيل عاش نحو ألف سنة وزيادة واختلف في نبوته *(فقال وهب)* ابن منبه كان عبدا صالحا *(وقال عكرمة)* كان نبيا مرسلا الى أهل بابل وكان قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام بثلاثمائة سنة *(قال)* الحسن البصري كان ملكا وغزى النمرود بن كنعان وكان مسلما على ملة ابرهيم الخليل وكان في زمن ابراهيم خا كاوهو الذي قضى لابراهيم في وادي السبع لما رحل عن قومه ومرت هذه القصة عند قصة ابراهيم الخليل وكا اسكندر اذا مر على مكان ابراهيم ينزل عن فرسه حتى يفوت ويركب وهو الذي ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقلاع من المشرق والمغرب * وقال الامام على *رضي الله عنه كان الاسكندر سير والله مساعده فتطوى له الارض ويسهل الله له الامور ببركة صلاحه وحسن سيرته *(وقيل في سبب تسمية ذا القرنين)* قال الامام

على لما غزا ودعا الى عبادة الله ضربه قومه على جانب رأسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهم ثم جاءهم فضربوه على الجانب الآخر فأثرت فسمى ذا القرنين قال ابن عباس لما سار الى مغرب الشمس والى مشرقها سمى ذا القرنين وقيل انه رأى فى منامه انه ماسك بقرون الشمس فسماه قومه ذا القرنين لما قص رؤياه عليهم وقيل انه ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيل كانت له ذؤابتان من الشعر فى رأسه فسمى بذى القرنين وقيل انه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى رأسه عظمان ناتئان مثل قرون الكبش ويلبس عليهما عمامة فيسترهما وهو أول من لف العمامة وأول من صافح بكفه وقيل انه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة أقوال فى ذلك ﴿قال﴾ وهب بن منبه ان اسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهر عليهما أحدا الا أنه ذهب يوما الى الحمام فنزع عمامته عن رأسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه ان ظهر أمرى فيكون منك فكان الكاتب يأخذه الهيمان ليظهر الكتمان فلم يستطع الاظهار غيرانه يخرج الى الفضاء وينادى ويقول اسكندر له قرنان فيذهب حال الكتم ويأتى وكان هناك قصبتان يسمعان صوته فلما كبرت القصبتان أنطقهما الله فقالتا اسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك الاسكندر هذا أمر أراد الله اظهاره (قال وهب بن منبه) أوحى الله الى ذى القرنين فى منامه انى باعثك الى أمم فى الارض سبعة أمم مختلفة الالسن والصفات فامتان يقال لهما هاويل وهما فى قطر الارض الايمن والامة الاخرى يقال لها تاويل وهى فى قطر الارض الايسر ومنهم امتان فى طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاثة أمم فى وسط الارض يقال لهم يأجوج ومأجوج قال ذو القرنين يارب وهل أقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فأوحى الله اليه انى ألبسك الهيبة وأسخر لك النور والظلمة حتى أجعلهما لك جندا ﴿قال الحسن البصرى﴾ كان ذو القرنين اذا ركب يركب معه فى خدمته من الجيوش ألف ألف

وأربعمائة ألف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره يدبر ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس الآية قال السهيلي هم قوم ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم احاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش ثم استدعاهم اليه وأوقفهم بين يديه ودعاهم الى توحيد الله فنهم من آمن ومنهم من بقي على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة وغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار في أفواههم وآذانهم فأيقنوا بالهلاك فأجابوا الى توحيد الله فتركهم ومضى الى أهل هاويل ففعل بهم مثل ما فعل بالاولى فامنوا ثم سار حتى أتى الى القطار الاعين فدخل على أهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاول وقد قال الله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴿قال السدي﴾ هم أهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس ﴿قال الامام السهيلي﴾ لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب وباب فرسخ ووجد أهل تلك المدينة بشعين المنظر عراة الاجساد وليس لهم من دون الشمس سترا فاذا دخلت الشمس عليهم دخلوا في أسربة تحت الارض من حر الشمس ليس لهم طعام الا ما تحرقه الشمس بحرها اذا طلعت فاذا امشت الشمس الى وسط الفلك طلعوا من الاسربة الى معاشهم فيتفقدون ما أحرقته الشمس من طير ووحش وغير ذلك ﴿قال مجاهد﴾ ان ذلك القوم سود الالوان عراة الاجسام حفاة الاقدام وهم من جنس الزنج الاعلى وهم أمم لا يحصون لكثرتهم ﴿قال السدي﴾ ان الشمس تشرق من عين ماء هناك فاذا طلعت على تلك العين النار فيصير كهيئة الزيت في اللون من حر الشمس فتنفر من تلك العين الاسماك على وجه الارض فتخرج القوم من الاسربة فيلتقطونها ويأكلونها ﴿قال السدي﴾ لما بلغ الاسكندر

مغرب الشمس رأى هناك العين الحمئة التي ذكرها الله في القرآن فاذا غربت الشمس في تلك العين فيسمع لها دكدكة مثل صوت الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلي كغليان القدر فيفيض ماؤها على الارض مسيرة ثلاثة أيام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش الا ويموت فتأكله أهل تلك المدينة *(قال الثعلبي)* مر ذو القرنين على واد النمل فرأى كل نملة مثل الجمل البختي فنفرت منها خيول الاجناد فجاء حتى مر بقوم من أمم الانس فشكوا اليه وقالوا له يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين أقواما من خلق الله لا نعرف أهم من الانس أم من الجن يقال لهم يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يفترسون الدواب والوحوش ويأكلونها وهو قوله تعالى ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا الآية قال بعض المفسرين ان فساد يأجوج ومأجوج اللواط بمن يظفرون به من كبير وصغير قال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير أى الذى أعطانيه ربي من المال خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد *(قال السدي)* وجد الاسكندر معدن الحديد فاتخذ منه لبنات من حديد وبنى بها السد *(قال الثعلبي)* ان ذا القرنين لما بنى السد قاس ما بين الجبلين ثم بنى ردما من اللبن الحديد وجعل ارتفاعه من الارض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه ثلثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين الحديد ويذوب النحاس ويجعله بينهما (قال الثعلبي) كان مقدار ما بين الجبلين مائة فرسخ فحفر أساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه بالحديد حتى ارتفع بناء السد وساوى ذلك الجبلين فصارا قطعة واحدة من حديد قال الله تعالى فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فعند ذلك قال ذو القرنين هذا رحمة من ربي الآية (قال ابن عباس) رضي الله عنه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني قد رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفه لي فقال له الرجل انه ردم أسود وعليه صفائح من نحاس أحمر قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم هو هو ﴿قال الثعلبي﴾ كان من بناه السد الى الهجرة النبوية ألف وخمسمائة وثلاثون سنة وفي بعض الاخبار ان هذا السد يفتح في آخر الزمان عند اقتراب الساعة ويخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون في الارض ويشربون نهر سيحون وجيحون وبركة طبرية في يوم واحد ويأكلون الاشجار والنبات جميعها في يوم واحد فاذا كثر منهم الفساد في الارض وحصل منهم الضرر العام فيرسل الله عليهم ريحا أسود مثل الريح الذي أرسله الله على قوم عاد فيدخل في أفواههم ويخرج من أدبارهم فيموتون أجمعين في ساعة واحدة فتجيف منهم الارض لكثرتهم فيرسل الله تعالى اليهم طيورا سود الهم أعناق فيلتقطونهم من الارض ويلقونهم في البحر المالح (ومن الحكايات الغريبة) ما حكاه أبو الحسين بن النادالبغدادي قال بلغني ان أمير المؤمنين الواثق بالله هارون بن المعتصم رأى في منامه شخصا فقال له ان السد الذي بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فانتبه من النوم مرعوبا فأحضر سلام الترجمان وأمره أن يسافر الى مكان السد الذي بناه الاسكندر ويكشف أخباره ثم ان الواثق دفع اليه خمسة آلاف دينار وقال له هذه ديتك ادفعها الى أولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم الى من يمر عليه من النواب في البلاد ثم ان سلام الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان الى أن وصل الى أرمينية فكتب له صاحب أرمينية الى ملك اللان ثم كتب له صاحب اللان الى ملك الخزرج فلما وصل الى ملك الخزرج أرسل معه جماعة من جنوده يدلونه على الطريق فلما سار من عنده مشى خمسة وعشرين يوما ودخل الى أرض سوداء وخمة فسار فيها عشرة أيام فرأى بها مدائن خربة فسأل عن خراب تلك المدن فقالوا هذه المدن التي كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهي الى الآن خراب ثم سار من تلك المدائن الخراب حتى أشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرؤن القرآن وعندهم المساجد والجوامع ويصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبها من

أين أقبلتم قال لهم سلام الترجمان نحن رسل أمير المؤمنين الواثق بالله هارون فلما سمعوا تعجبوا من قوله أمير المؤمنين ويقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ الا في هذا اليوم منكم فتركهم ومضى فدخل على جبل أملس وقدامه جبل منقطع وبينهما وادعرضه مائة وخمسون ذراعا ﴿قال السدى﴾ ان يأجوج ومأجوج ليس لهم مخرج الا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر المحيط ولولا ذلك ما كان يفيد السد شيأ ثم ان سلام قد رأى عضادتين مما يلى هذا الجبل من جانب الوادى وعرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا وكل ذلك مبنى باللبن الحديد ورأى دروند حديد طرفه على تلك العضادتين وطول ذلك الدروند على العضادتين مائة وعشرون ذراعا وفوق ذلك الدروند بناء السد الى رأس ذلك الجبل الأملس فى ارتفاعه بمقدار مد البصر اليه وفوق ذلك البناء شرافة من الحديد فى كل شرافة قرنان ينثنى كل واحد منها على صاحبه وفى وسط ذلك البنايات درفتان عرض كل درفة منها خمسون ذراعا فى مثلها ارتفاعا وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر دنداخة كل دنداخة قدر يد الهون وهو معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة أذرع وطولها مائة ذراع ورأى سلام لتلك الحصون فارسا يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارسا وبأيديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون بآذانهم الى ما وراء الباب فيسمعون دويا كدوى النحل فيعلم يأجوج ومأجوج ان هنالك حرسة وحفظة خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت فى ذلك الحصن عين ماء تجرى وحول تلك العين آلة البناء وهى قدور من حديد ومغارف وبقية من اللبن الحديد وطول كل لبنة ذراع ونصف فى سمك شبرين وقد مرت عليها الدهور وصدت والتصق بعضها على بعض قال سلام فسألت أهل الحصون هل رأيتم أحدا من يأجوج ومأجوج فقالوا انما نراهم

مرارا عديدة فوق شرفات السد ربما يقع منهم أحد الى جانبنا من الريح
الشديد فكتب سلام ذلك جميعه مما رأى وسمع من السد وأخبار يأجوج
ومأجوج فصار المكتوب دربا وعزم على الرجوع الى بغداد فسار فى برارى
وقفار حتى خرج الى أرض سمرقند الى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية
وعشرين شهرا فلما دخل الى بغداد صار يحدث الناس بعجائب ما رأى وما
سمع انتهى وأورد ذلك ابن الجوزى فى كتابه تنوير الغبش *ذكر أخبار
يأجوج ومأجوج* قال الحسن البصرى ان يأجوج ومأجوج أصلهم
من ولد يافث بن نوح عليه السلام ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج من
الترك *قال وهب بن منبه* انما سمى الترك تركا لان ذا القرنين لما بنى
السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد
فتركوا خارجا عن السد فسموا تركا *وقال بعضهم* ان يأجوج ومأجوج
خلقوا من نطفة آدم حين احتلم لما أهبط الى الارض فاختلطت تلك
النطفة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وليس هم من حواء
فأنكر بعض العلماء هذا القول وقالوا ان هذا ليس بصحيح *قال ابن عباس
رضى الله عنهما ان يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء والعالم جميعه جزء واحد
ذكر صفاتهم قال السدى انهم على ثلاثة أصناف فمنهم كالنخل الطويل
حتى قيل ان فيهم من طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف منهم طوله وعرضه
سواء يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى فهذا الجنس لا يترك وحشا ولا
ذا روح الا ويأكله ومن مات منهم أكلوه وصنف منهم فى غاية القصر فمنهم
من طوله شبر وشبران لا يموت أحدهم حتى يرى له ألف ولد وهم لا يحصون
بكثرتهم *(وقيل فى الاخبار)* ان يأجوج ومأجوج يلحسون السد
بألسنتهم حتى يرون منه شعاع الشمس اذا غربت ويقولون غدا نفتحه ولم
يقولوا ان شاء الله فيأتون اليه فى اليوم الثانى فيرونه كما كان أولا فى الشدة
والسمك وهكذا دأبهم الى قيام الساعة فيلحسونه فى آخر الزمان اذا جاء الوعد
ويقولون غدا نفتحه ويقولون ان شاء الله فلما يعودون فى اليوم الثانى

فيعدونه مفتوحا فيخرجون على الناس ويسعون في الارض ويأكلون الاشجار ويشربون الانهار ويرمون الناس بسهامهم ويفسدون على الناس معيشتهم ويأكلون زروعهم فيرسل الله عليهم الريح التي أهلك الله بها قوم عاد فيموتون في ساعة واحدة وتنتن الارض من جيفهم فيرسل الله طيورا فتلتقطهم الى البحر كما تقدم *(قال الثعلبي)* ان الناس يلتقطون أسلحتهم من الارض ولا يزالون يلتقطوا ذلك في سبع سنين (ذكر قصة دخول ذي القرنين الى الظلمات) روى الثعلبي عن الامام علي رضي الله عنه انه قال لما سار ذو القرنين في الارض فأراد أن ينتهي الى جانب الارض وكان الله تعالى قد وكل بذي القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه أينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذو القرنين يارفائيل حدثني عن عبادة الملائكة في السماء فقال ان في السماء من هو قائم لا يرفع رأسه ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا الى يوم القيامة ومن هو راكع لا يرفع رأسه دائما أبدا فقال ذو القرنين أحب أن أعيش دهرا طويلا وأنا في عبادة ربي فقال له الملك ان الله خلق عين ماء في الارض فسماها عين ماء الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت الى يوم القيامة أو حتى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم أنت مكان هذه العين فقال الملك لا أعلم مكانها ولكن كنت أسمع عنها في السماء انها في الارض المظلمة فلما سمع ذو القرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم خبرا فقال عالم منهم اني قرأت في وصية آدم عليه السلام قال ان الله تعالى وضع في الارض ظلمة وفي تلك الظلمة عين الحياة فقال ذو القرنين أين موضعها من الارض قال في مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين في المسير اليها وقال لاصحابه أي الدواب أبصر في الظلمة فقالوا الحجورة البكارة فجمع ذو القرنين ألف حجرة بكارة ثم انتخب من جيشه ستة آلاف انسان من أهل العقول وأهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر أمام الجيش وجدوا في المسير نحو مطلع الشمس من جهة القبلة فلا زالوا يجدون في المسير

نحو اثني عشر سنة حتى بلغ طرف الظلمة فاذا هي ظلمة تفور مثل الدخان
وليس هي كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها
الملك ان الملوك السابقة لم يدخلوها لانها مهلكة فقال لابد من ذلك فلما رأوه
عازما على الدخول تركوه فقال لهم أقيموا مكانكم هذا مدة اثني عشر سنة
فان جئتكم فيها والا فامضوا الى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل
هل اذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضا فقال لا ولكن أنا أدفع
اليك خرزة اذا طرحتها على الارض تصيح بصوت عال فيرجع اليكم من
يضل عنكم من رفقائكم ثم ان ذا القرنين دخل الى تلك الظلمة ومعه بعض
جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا
نهارا ولا طيرا ولا وحشا فمشى هو والخضر فبينما هما يسيران فيها اذ أوحى الله
الى الخضر ان العين في أيمن الوادي وأخص بها غيرك من الناس فلما سمع
الخضر ذلك فقال لاصحابه قفوا مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار
الخضر في ذلك الوادي فظفر بالعين فنزل الخضر عن فرسه ونزع أثوابه ونزل
في تلك العين واغتسل منها فوجد ماءها أحلى من العسل فلما اغتسل
وشرب طلع منها ولبس أثوابه ثم ركب ولحق بذي القرنين ولم يشعر بما وقع
للخضر من رؤية العين والاغتسال *(قال وهب بن منبه)* ان الخضر كان
ابن خالة اسكندر ذي القرنين واستمر اسكندر دائرا في تلك الظلمة أربعين
يوما اذ لاح له ضوء مثل البرق فرأى الارض بذلك النور فوجدها حمراء رملة
وسمع خشخشة تحت قوائم الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له
هذه خشخشة من أخذ منها ندم ومن لم يأخذ منها ندم فحمل منه الجيش شيأ
قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة فوجدوها ياقوتا أحمر وزمردا أخضر فندم
من أخذ حيث لم يكثر وندم الذي لم يأخذ ليته أخذ *(ومن النكت)*
ما يقال في أمر الطمع نقل الشعبي ان رجلا من بني اسرائيل في أيام نبي الله
سليمان رأى رجلا صاد قنبرة فأنطقها الله فقالت له ما تفعل بي فقال أشويك
وآكلك فقالت أنا ما أشبعك ولا أغنيك من جوع فان أطلقتني أعلمك

ثلاث فوائد يحصل لك بهن خيرا فقال لها هاتي فقالت الفائدة الاولى أعلمك
هي وأنا على كفك والاخرى أعلمك بها وأنا على الجبل والثالثة أعلمك بها
وأنا على الشجرة فوضعها على كفه وقال لها هاتي ما عندك فقالت لا تندم
على ما فات ثم طارت وقالت له ان الفائدة الثانية لا تفرح بما هو آت والفائدة
الثالثة لا تصدق بما لا يكون أن يكون وقالت أنا أعلمك عن شئ فاتك وهي
ان في حوصلتي جوهرة لو ذبحتني لحصلت عليها فاندم على اطلاقها فقالت له
أفدتك أولا وثانيا وثالثا فلم تستفد لندمك على اطلاقي وقد فات ما فات مني
وصدقت ان عندي جوهرة ومن أين لي بالجوهرة وهذا من دلايل الطمع
﴿قال﴾ السدى فلما انتهى ذو القرنين في الظلمة لاح له قصر من نحاس
أصفر طوله فرسخ وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل
القصر فرأى طائرا أبيض قدر البختي فدنا منه وسلم عليه فأنطقه الله فرد
عليه السلام وقال اما كفاك ما فعلت حتى جئت الى هذا المكان فقال له
ذو القرنين اني سائلك عن أشياء فأخبرني عنها فقال سل ما بدا لك فقال
ما وراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر واني سائلك عن أشياء فقال
ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشى فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم
فانتفض ذلك الطائر وصار ملاء القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم
قال هل فشى فيكم الربا وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول
ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول
حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك
الناس شهادة أن لا اله الا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس
صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من
الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا اسكندر
أصعد على ظهر هذا القصر وانظر ما فوقه فلما صعد واذا هو بشخص حسن
المنظر وهو قائم على أقدامه شاخص الى السماء وفي فمه بوق من نور فلما رأى
ذو القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال ما كفاك ما فعلت

فى الارض حتى وصلت الى هذا المكان فقال الاسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال أنا اسرافيل صاحب الصور قال مالى أراك شاخصا قال انتظر أمر ربى متى يأذن لى فى النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعها الى ذى القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل الى جنده الذى تركه خارج الظلمة فأخذ يحدث جنده فيما رأى من العجائب ثم ان ذو القرنين جمع العلماء الذين كانوا فى عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فوضعوه فى كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فلا زالوا يضعوا حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقالت العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فأحضر ذو القرنين الخضر وسأله عن ذلك فأخذ الخضر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر فى الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذى لم تبلغه ولا أمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد مكنك من البلاد وحكمك فى العباد وأعطاك ملكا كثيرا وأنت لا تقنع ولا تشبع دون ان تكون فى التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين ﴿ومن اللطائف﴾ عند أهل الظرف واللطائف ﴿قال﴾ أبو الفرج الاصبهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه الى بلاد الصين فحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد انه ملك الصين ولكن قال أنا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب أخبرهم انه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الاسكندر قال فاعلموا الاسكندر وادخلوه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقالوا له تكلم فقال انى مأمور أن لا أتكلم الا فى خلوة ففتشوا الرسول خوفا أن يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له أيها الملك اعلم انى ملك الصين بنفسى ولست برسوله

وقد حضرت بين يديك لعلمي بأنك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلي فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولا تحزن فاني مجيبك فيما تطلب فقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك أنا بين أمرين أما تقتلني فيقيم أهل مملكتي غيري ويحاربوك أو تفدي بلادي مما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك أطرق مليا متفكرا وعلم ان ملك الصين من ذوي العقول ثم انه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كاملا معجلا ثم بعد ذلك تعطي في كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيأ قال لا فقال قد أجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندي ولم أكلف رعيتي الى التعجيل والله على ما نقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار أقبل ملك الصين بعسكر حتى سد ما بين المشرق والمغرب وأحاطوا بعسكر ذي القرنين حتى أيقنوا بالهلاك فظن الاسكندر وقومه ان ملك الصين خدعهم فبينما هم في هذه الفكرة واذا بملك الصين وعلى رأسه التاج فلما رآه ذو القرنين قال أغدرت فيما قلت قال لا ولكن أردت أن أريك اني لم أخضع لك خوفا واعلم ان الذي غائب من جيوشي أكثر ممن حضر فقال له الاسكندر قد تركت لك جميع ما قررته عليك من أمر الخراج فلما رجع عن بلاد الصين أرسل له ملك الصين تحفا وأموالا كثيرة على سبيل الهدية ﴿نكتة عجيبة﴾ قيل ان رجلا مجنونا كان اذا مر في الاسواق والطرقات يتبعه الاولاد الصغار ويرمونه بالحجارة فبينما هم كذلك اذ مر بذلك المجنون رجل على رأسه عمامة مقرنة فعمش في اقرانها فتعلق به ذلك المجنون وهو يقول يا ذو القرنين خلصني من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من أمر المجنون وقوله ذلك قال وهب بن منبه كان الاسكندر اذا جمع أهل النجوم يسألهم عن موته فكانوا يقولون له انه يموت في أرض من حديد وسماؤها من خشب فيتعجب حتى مرض وكان مسافرا في أرض حارة

فاشتد به المرض فشكى من الحر فوضعوا تحته الدروع وخيموا له بالرماح فنام فتأمل قول أرباب النجوم أرض من حديد وسماؤها من الخشب وهو ذلك الذى هو عليه فأيقن بالموت فجد بالمسير حتى وصل الى مدينة بابل فمات بها ودفن هناك وكتب على قبره هذين البيتين

ولا تأسفن على الدنيا وزينتها * وأرح فؤادك من هم ومن حزن
وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(قال السدى) قال بعض المؤرخين ان الله يسر لذو القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذى بنى مدينة همدان والديوسوية وشيرك وبرج الحجارة ببعلبك وسد نديب بالهند وغير ذلك والله أعلم انتهى *(ذكر قصة أهل الكهف رضى الله عنهم)* قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا *(قال السدى)* الكهف هو غار فى الجبل والرقيم لوح من الرصاص كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم وذلك اللوح موضوع على باب الكهف *(قال وهب بن منبه)* ان أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء الروم وكانوا فى زمن فترة بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يسكنون بأرض رومية فى مدينة يقال لها أفسوس فلما جاء الاسلام غيروا اسمها وسموها طرطوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فأقام عليهم مدة ومات فلما مات تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال دقيانوس وكان مشركا بالله تعالى يعبد الاصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من أعمال الغرب ثم سار الى مدينة أفسوس فملكها واتخذها دارا له مملكته وبنى بها قصرا من الرخام الملون طوله فرسخ وعرضه فرسخ وعلق به ألف قنديل من الذهب والفضة يسرج فى كل ليلة بدهن البان واتخذ فى ذلك القصر سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وجعل فيه أنواع من الجواهر الفاخرة ونصب عن يمينه ثمانين كرسيا من الفضة وعن شماله ثمانين من الذهب ثم اتخذ من أبناء البطارقة خمسين غلاما حسانا كالاقمار وألبسهم حلل الفاخرة والتيجان وبأيديهم قضبان

الذهب

الذهب يقفون على رأسه وقت الموكب ثم اتخذ من عقلاء مملكته ستين رجلا وجعلهم وزراءه وكان من جملة هذه الوزراء تمليخا وهو أكبرهم ثم ان الملك طغى وتجبر وادعى الربوبية وأطاعه قومه واستمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض حجابه وقال له ان جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس لذلك غما شديدا حتى وقع التاج عن رأسه فلما رأى تمليخا ذلك تفكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس ربا كما يزعم لم يخف من ملك غيره ولا ممن يطرق أرضه فلما انصرفت الوزراء أجتمعوا عند تمليخا في بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا تمليخا مالك متفكر فقال قد وقع في نفسي شئ منعني عن الأكل والشرب قالوا وما هو فقال من الخارج قالوا ونحن وقع لنا مثل ما وقع لك فقال بعضهم وكيف الحيلة في خلاصنا من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا ما لنا حيلة أحسن من الهرب من هذه المدينة والخروج من أرضه فقالوا كلهم نعم الرأى فهبط تمليخا من وقته وساعته باع له شيأ من غلال أرضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم في مكان واحد ثم تواروا ومضوا وقيل ان جبرائيل عليه السلام أخبرهم بان يتخذوا أكرة يخرجون على هيئة اللعب بها فركبوا على خيولهم وضربوا الأكرة حتى خرجوا من المدينة ولم يسألهم أحد فلما صاروا في الصحراء نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة فمشوا حفاة عراة سبعة فراسخ فتمزقت جلود أقدامهم فبينما هم يمشون واذا براعي غنم فتلقاهم فطلبوا منه اللبن فأسقاهم فقال انكم من أهل النعمة وان لكم شأنا فأخبروني فان لكم عندي ما تريدونه وأظنكم قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وأنا قد وقع في نفسي كما وقع في نفوسكم ولكن قفوا الي عندكم ساعة حتى أعطي هذه الأغنام لأصحابه ثم ذهب وأعطا الغنم لأصحابها وعاد اليهم مسرعا ومضى معهم فتبعهم كلب الراعي فطردوه مرارا وهو يأبى الانصراف عنهم فأنطقه الله الذي أنطق كل شئ وقال بلسان فصيح أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له قال وكان الكلب اسمه قطمير وكان أبلق ذا بياض وسواد *(قال السدي)* كان

أحمر اللون ثم ان الكلب قال لهم دعوني معكم أحرسكم فعند ذلك تركوه
يكون معهم ثم ان الراعي توجه بهم الى جبل فوجدوا به كهفا فدخلوا فيه
وهو قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الآية فلما جن عليهم الليل ناموا
وصار الكلب حارسا لهم على الباب وهو قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد الآية فلما ناموا أمر الله ملك الموت ان يقبض أرواحهم فقبضها
ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال كما
قال الله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴿قال السدى﴾ كانوا
فى مغارة مظلمة وهم نائمون وأعينهم مفتوحة وهم يتنفسون ولا يتكلمون
قال وكانت لهم شعور مسبولة على أكتافهم وقد طالت أظفارهم وكانت
عليهم هيبة عظيمة وكأنهم ينطقون وقال الله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم
رقود فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سأل عن الفتية فقيل له انهم
اتخذوا الها غيرك فلما سمع بذلك ركب فى طلبهم ولا زال يقفوا آثرهم حتى
وصل الى ذلك الكهف فدخل عليهم ونظر اليهم فوجدهم نائمين فقال
لجيشه لو أردت أن أعاقبهم ما عاقبتهم بمثل ما هم عليه ثم أمر بسد باب
الكهف عليهم فسده بالحجارة واستمروا فى رقادهم ثلثمائة سنة وتسع سنين
كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم فلما سدد دقيانوس عليهم ظن انهم
يهلكون من العطش ثم ان راعيا أدركه المطر عند ذلك المكان فقال
فى نفسه لو فتحت باب الكهف وأدخلت اليه الاغنام لكان حسنا فعالج
حتى فتح الباب فدخل عليهم الراعى فرد الله عليهم أرواحهم وجلسوا فلما
رآهم الراعى ولى هاربا وأخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على
بعض وقالوا لقد غفلنا فى هذه الليلة عن عبادة ربنا فقوموا بنا الى الصلاة
فجاؤا الى عين ماء عند شجرة بالقرب من الكهف فوجدوا العين قد غارت
والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من ذلك وقال بعضهم لبعض فى ليلة
واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم ان الله تعالى ألقى عليهم
الجوع فقالوا لبعضهم ايكم يذهب بهذا الورق أى الفضة التى باع بها تمليخا

غلالا كما تقدم ذكر ذلك فيشتري لنا بها طعاما وهو قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الآية * وقال السدي * أما قولهم فلينظر أيها أزكى طعاما قيل زادوا من الطعام الذي لا يوضع به شيء من شحم الخنزير كما كان يعمل دقيانوس فقال تمليخا أنا بهذا الطعام ثم قال للراعي الذي معهم ادفع ثيابك وخذ أنت ثيابي فأعطاه الراعي ثيابه فلبسها تمليخا ثم سار حتى أتى الى باب المدينة فوجد على بابها مكتوب لا اله الا الله عيسى روح الله فجعل تمليخا يمر من باب الى باب فيجد على كل الابواب مكتوب لا اله الا الله الخ فجعل يمسح عينيه ويجدد نظره في تلك الاماكن فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فجعل يمر بأقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى آخر السوق فاذا هو بخباز فوقف عليه وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها أفسوس فقال وما اسمك قال عبد الرحمن ثم ان تمليخا دفع الدرهم الى ذلك الخباز فقال له اعطني بهذه الورق خبزا فلما رأى الخباز الدراهم صار يتعجب منها وقال لتمليخا يا هذا الرجل أنت ظفرت بكنز فقال تمليخا لا والله وانما هذه الدراهم من ثمن غلال فقال الخباز ان كنت أصبت كنزا فأعطني منه فقال له اني خرجت من هذه المدينة منذ ثلاثة أيام وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذه غلالا وتقول بعد ذلك كنت منذ ثلاثة أيام كان الملك دقيانوس ان أمرك عجيب فطال بينهما الجدال فأتوا به الى الملك وكان الملك من ذوي العقول فقال لتمليخا ما قصتك فقال تمليخا زعم واني أصبت كنزا فقال له الملك لا تخف ان كنت أصبت كنزا فادفع لي منه الخمس وامض لشأنك سالما فقال له تمليخا تثبت لامري فاني من أعيان هذه المدينة فقال له الملك هل تعرف بها أحدا فقال تمليخا وكان لي بها دارا وكان لنا ملك يقال له دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيأ مما قلته ولكن أتعرف دارك التي كانت في هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من أعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم تمليخا فلم يعرف داره لان البناء كان قد تغير فشكى في سره الى الله فأرسل الله اليه جبرائيل عليه السلام فجعل يسوق به حتى أوقفه على باب

داره فقال تمليخا هذه دارى فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم رجل كبير يرتعش من الكبر فقال رجل من جماعة الملك للشيخ ان هذا الرجل يزعم ان هذه الدار داره فغضب ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم ان تمليخا تقدم الى ذلك الشيخ وقال له أيها الشيخ المبارك أنا اسمى تمليخا بن قسطين وكانت هذه دارى ولى فيها علامات فلما سمع الشيخ من تمليخا هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدى تمليخا فالتفت الشيخ الى أعوان الملك وقال لهم هذا جدى وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى بن مريم يخبرنا بخبرهم وقصتهم وانهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام فركب الى تمليخا وجاء نحوه وجعل يقبل يدى تمليخا فشاع أمره فى المدينة فاجتمع الناس عليه وجعلوا يتباركون به ويتعجبون من أمره ثم ان تمليخا قال للملك ان بقية قومى فى المغارة الذى فى الجبل وهم فى انتظارى لاجل الطعام *قال وهب بن منبه* كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا فركبا وتوجها مع تمليخا الى عند الكهف فقال لهم تمليخا قفوا مكانكم حتى أدخل اليهم وأعلمهم بما جرى لى معكم وأعلمهم ان الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فانهم خائفون من الملك دقيانوس فوقفوا قريبا من الكهف فدخل عليهم صاحبهم تمليخا فقاموا اليه واعتنقوه وقالوا الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا دعونى من دقيانوس كم لبثتم فى هذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقال لهم تمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة وتسع سنين وقد أهلك دقيانوس فى مدة نيامكم وانقرض من بعده قرنان وقد ظهر نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام ومضى ثم قال لهم ان ملك المدينة جاء هو وأهل المدينة ليسلموا عليكم ويتباركوا فيكم وقد أوقفتهم لاخبركم فعند ذلك بهتوا أصحاب الكهف ساعة ثم قالوا فما الرأى فقالوا أجمعين ان الرأى ان ترفعوا أكفكم الى الله تعالى بالدعاء بان يقبض أرواحكم فى هذه الساعة أجمعين فرفعوا أيديهم وقالوا الهنا بحقك أن تقبضنا اليك ولا تريد ان يطلع علينا

أحد غيرك فأمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض أرواحهم في تلك الساعة فلما بلغ الملك وأهل المدينة الخبر من تمليخا فأتى الملك الى الكهف ودخل فوجدهم موتى فأخذ يقبل أقدامهم و يتبارك بهم وأمر بأن يجعل كل واحد منهم في تابوت من ذهب فلما نام الملك في تلك الليلة رأى في منامه أصحاب الكهف فقالوا له أيها الملك أنا خلقنا من تراب لا من ذهب ولا من فضة فأتركنا كما كنا في التراب الى يوم البعث والحساب فأمر الملك أن يجعلوهم في التراب من غير توابيت لما أرادوا ثم ان الملك سد عليهم باب الكهف وأراد أن يبني على باب الكهف مسجدا فاعترضه الملك الكافر فقال أنا أبني على باب الكهف كنيسة فاقتتلوا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر وبنى المسجد الذي هناك وهو قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا الآية *(قال السدي)* ان عدة الفتية ستة أنفس والراعي الذي تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما أخبر الله تعالى في القرآن العظيم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل الآية (قال العزيزي) ان الكهف الذي مات فيه الفتية هو بمدينة البلستين من غربيها وقيل انه في دمشق الشام في جبل قيسون بمغارة هناك مشهورة عنهم تمت قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله تعالى أعلم *(ذكر قصة نبي الله يونس ابن متى عليه السلام)* واسم أمه زاد قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لعبد ان يقول أنا خير من يونس ابن متى *(قال كعب الاحبار)* رضي الله عنه كان في بني اسرائيل خمسمائة رجلا زاهدين لباسهم من الشعر الاسود وطعامهم من خبز الشعير ولم يكن في القوم يومئذ من يوحى اليه الا نبي الله زكريا عليه السلام فأوحى الله الى زكريا عليه السلام أن يختار من الخمسمائة مائة رجل منهم فاختار منهم مائة رجل ثم أوحى الله تعالى اليه أن يختار من الخمسين عشرين ثم أوحى الله اليه ان يختار من العشرين رجلا واحدا فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن في القوم أزهد منه فأوحى الله تعالى الى زكريا ان يبشر

يونس بالنبوة وقد جعله الله نبيا ورسولا فلما سمع يونس ذلك خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذى جعلنى نبيا *(قال العزيزى) ان متى أبو يونس كان رجلا صالحا وكان بأرض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر سنه فأتى الى العين التى اغتسل منها أيوب فعافاه الله فاغتسل منها متى وزوجته وصليا ركعتين ودعيا الى الله فاستجاب الله منهما ورزقهما يونس عليه السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا فى الاودية والجبال فبينما هو سائح اذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمى حسن الصورة وقال له يا يونس ان الله يأمرك بأن تتوجه الى مدينة نينوى وهى قرية من قرى الموصل وكان بها ملك من الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل كل من يدعوه الى الله تعالى فلما تحقق يونس ان الله تعالى يأمره أن يتوجه الى أهل نينوى حمل زوجته وأولاده على ناقة وأخذ معه جماعة من أعيان بنى اسرائيل وكان عمره يومئذ أربعين سنة فلما دخل مدينة نينوى نزل فى مغار فى جبل والى جانبه عين ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الارض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته انى ماض عنكم فانتظرونى أربعين يوما فان زدت عليها فاعلموا انى قد قتلت كما قتل من قبلى من الانبياء ثم ان يونس لبس جبة صوف وأخذ بيده عصاة وتوجه حافيا مكشوف الرأس فصعد على تل عال فى نينوى وصاح وقال لا اله الا الله يونس رسول الله فاجتمع القوم اليه وضربوه ضربا مؤلما حتى غشى عليه فأوحى الله الى طائر يقال له الورشان بأن يغمس جناحه فى الماء ويرش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك أفاق يونس من غشيته ورجع الى القوم وقال لهم كما قال فى الاول فحمل الريح كلام يونس والقاه فى اذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ما هذا الصوت فقالوا دخل المدينة غلام فقير وهو مجنون يقال له يونس يزعم ان فى السماء الها يعبد فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وأمر بسجنه فسجن فى مكان ضيق مظلم فأمر الله جبرائيل بأن يأتيه بقنديل

من الجنة ويعلقه فى ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب من الجنة فأقام يونس فى السجن نحو أربعين يوما ثم ان الملك تذكره فقال لوزيره أمض الى السجن وآتنى بالرجل حتى اقتله فدخل الوزير على يونس وجده قائما يصلى وعنده قنديل يضئ ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت الى يونس وقال من صنع معك هذا فقال يونس صنعه ربى فقال الوزير يا يونس ان أنا آمنت بربك ماذا يصنع معى فقال يونس يغفر لك ما تقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال الوزير أنا أشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله وخرج الوزير وأتى الى الملك وقال دخلت على يونس الى السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلى وفوق رأسه قنديل يضئ منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس هو مثل طعامنا فقلت يا يونس من فعل معك هذا قال فعله معى ربى فعلمت ان له ربا يقدر على كل شئ فآمنت بربه فغضب الملك على الوزير ثم أمر باخراج يونس من السجن واستحضاره الى بين يديه فلما حضر قال له يا يونس أخرج من أرضنا فقد أفسدت رعيتى بسحرك فخرج يونس الى أهله فأوحى الله اليه يا يونس أرجع الى اهل نينوى وأدعوهم الى التوحيد ثانيا أربعين يوما فان أجابوك والا فانى منزل عليهم العذاب فقال يارب وما علامة العذاب فأوحى الله اليه فى اليوم الاول تصفر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم الرابع تحمر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم السابع تسود وجوههم وأبدانهم فى اليوم العاشر فانى منزل عليهم العذاب فلما رجع يونس وصعد على التل العالى وقال يا قوم قولوا معى لا اله الا الله وانى يونس رسول الله فاجتمع حوله القوم وصاروا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس ان لم تجيبونى الى توحيد الله بعد أربعين يوما والا ينزل ربى عليكم العذاب وعلامته ان تصفر وجوهكم وأبدانكم ثم بعد ثلاث أيام تحمر ثم بعد ثلاث أيام تسود ثم فى اليوم العاشر ينزل بكم العذاب فلم يزل يونس يدعوهم الى الاربعين فلم يؤمن أحد منهم فأوحى الله تعالى الى يونس ان يخرج من بينهم فخرج يونس ودخل القوم الى

الملك وقالوا له ما ترى فقد نزل بنا وهذا ما وعدنا به يونس من البلاء وكان قد اصفرت وجوههم وأبدانهم والملك معهم كذلك فقال لهم أحضروا الى أصنامكم واسألوها في كشف ذلك عنكم فعمد القوم الى أصنامهم وكانت أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها في كشف هذه النازلة عنهم فأوحى الله الى الموكل بالسحاب ان ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب والنيران والحجارة وأمر جبريل بأن يدنيها من القوم فأدناها منهم تنزل منها الصواعق وأظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له ان كنت الها فادفع عنا هذا العذاب فقال لهم امهلوني قليلا ثم دخل الى داره ولبس السلاح وركب جواده وخرج الى جبل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع الى قومه فقال لهم لا يهولكم هذه السحابة فان بها مطرا شديدا ورعدا مهولا ﴿قال كعب الاحبار﴾ فلما دنت منهم السحابة وصارت فوق رؤسهم ضاقت أنفسهم من شدة حرها وزادهم القلق حتى غلت جماجم رؤسهم فكان الرجل اذا أقترب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعند ذلك دخلوا على الملك وقالوا هذا العذاب الذى وعدنا به يونس فقال لهم الرأى عندى أن يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده فكسروا أصنامهم فقال لهم الملك الحق عندى والحق ما أقول أطلبوا يونس فانه كان ناصحا لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير انى كنت أسمع يونس يقول ان ربى حاضر لا يزول أيها الملك ان كان يونس قد غاب فان ربه حاضر لا يغيب فلما سمع الملك ذلك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الاسود وغل يديه الى عنقه وقيد قدميه بقيد من حديد وحمله بعض عبيده وخرج الى القوم في هذه الحالة ففعلوا القوم كلهم كما فعل الملك وحملوا أنفسهم وخرجوا الى الصحراء وصعدوا على تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ امامهم والشباب من خلفهم وورائهم الاطفال والنساء وبسطوا أيديهم بالدعاء وقالوا يارب يونس اكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ

شيبها بالرماد والشباب يحثونه على رؤسهم والنساء والاطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلمون بالبكاء والضجيج الى الله تعالى فكانوا يقولون اللهم انك أوعدت على لسان نبيك يونس أن لا تخيب سائلا سألك ولا داعيا دعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين انه لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك فاكشف عنا هذا العذاب برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم انا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا اله الا أنت وان يونس رسولك فلما اطلع الله على قلوبهم وجدها خالصة مخلصة بما يقولون فأوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بأن يكشف عنهم ذلك العذاب فكشفه عنهم ورحمهم وقد قيل في المعنى

يا طالبا ربه بصدق * بادر وان جلت الخطوب
واقصد كريما بلا توانى * فسائل الله لا يخيب

﴿قال كعب الاحبار﴾ لما صرف الله عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام اربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فجاء منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض جبال فهي لا تنبت شيأ الى ان تقوم الساعة وقطعة وقعت في البحار فهي تغلي وتفور الى يوم القيامة وقطعة وقعت في نينوى فكانت أشد بياضا من الكافور وأطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها الى الآن ثم ان الله تعالى رد على القوم ألوانهم وعافاهم وجعل يهنى بعضهم بعضا ثم ان ابليس اللعين تصور في صورة راعى وجاء الى يونس عليه السلام وهو عند أهله على الجبل فقال له يونس من أين جئت يا راعى قال من قرية نينوى فقال يونس كيف حال أهلها فقال انهم انتظروا العذاب الذي وعدهم به يونس فلم يأتهم فعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم فلما سمع يونس ذلك غضب غضبا شديدا ﴿قال قتادة﴾ ان غضب يونس كان لاهل نينوى لا على ربه لانه نظر الى ان القوم كذبوه ولما سمع كلام الراعى قال انهم يزيدون على ما هم عليه من تكذيبي وعداوتي قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية ﴿وقال كعب

الجبار﴾ فأتى الى زوجته وأولاده وحملهم على ناقته وأتى بهم الى شاطئ الدجلة فرأى هناك سفينة فأشار اليها فأتت اليه فنزل فى تلك السفينة هو وزوجته وأولاده فلما صارفى وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت زوجته على لوح فوصلت الى البر فرق فالتقطها بعض من الناس فحملها الى داره ثم طلع يونس هو وأولاده على خشبة الى البر فصارت الاولاد يبكون على امهم فأقام يونس على شاطئ الدجلة أياما ينتظر سفينة اخرى تحمله واذا بسفينة تلوح من بعد فأشار اليها فجاءته ففهم يونس ان ينزل فيها فبادر ابنه الكبير لينزل الى السفينة فأخذته موجة فقال ابنه الصغير ياأبت ادرك أخى فأراد أن يدركه فنادته الموجة ارجع يايونس فليس لك من لامرشئ فبينما هو فى أمر ولده الكبير اذنزل من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعنى فقال له الذئب يايونس ليس لك من الامرشئ ﴿قال كعب الاحبار﴾ وكان على وسط يونس خريطة فيها دراهم فتبددت كلها فعلم يونس انه أخذ بذنبه فعند ذلك جلس يونس وحيدا على الشاطئ فرت به سفينة فأشار اليها فجاءته وحملته وهو مهموم مغموم فألقى الله عليه النوم فنام وسارت السفينة الى وسط الماء فتوحلت وجلست فأعيا الملاحين أمرها فقالوا للركاب هلا فيكم رجل مذنب فقال لهم يونس أنا المذنب فظنوا انه قال ذلك من همه فقرعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فأعادوها ثلاث مرات وهى تقع على يونس وهو يقول لهم ألم أقل لكم انى أنا المذنب ﴿ذكر قصة كيفية القرعة وسببها﴾ كانوا يكتبون أسماء كل من كان فى السفينة فى ورق ويلقوها فى الماء فكل من غاصت ورقته فى الماء فهو المطلوب والسبب ان السفينة تسير فيعلم ان فى ركابها رجل مذنب فيرموا به فى الماء فتخلص السفينة بأذن الله فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده فى عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم أن يلقى نفسه فرأى الامواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى أيضا الامواج تضطرب فتحير يونس فى أمره

ثم ان الله تعالى أوحى الى الملك الموكل بالحيتان بأن أدفع الحوت الفلانى فانى جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فأحضر الملك ذلك الحوت وقال له سر الى يونس فأدركه قبل ان يصل الى الماء فلا زال ذلك الحوت يخرق البحار الى أن وصل الى السفينة فأرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت *وقال كعب الاحبار* كان يونس فى آخر السفينة فلما هم يونس ان يرمى نفسه هم الحوت ان يلتقمه ففزع يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وأنت المطلوب من بين القوم فلما سمع يونس كلام الحوت رمى نفسه فى فم الحوت فلما صار فى جوفه قال يونس آه وأغمى عليه فأوحى الله الى الحوت انى لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلت لك له حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذى التقم يونس حوت آخر أعظم منه فى الخلقة ثم ان يونس قام فى بطن الحوت على قدميه وقال الهى لاسجدن لك فى مثله ملك مقرب ولا نبى مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت *وقال كعب الاحبار* ان جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منه ما فى البحار من العجائب من حيوانات البحر وعظم اسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت فى البحار السبع فرأى غرائبها وما فيها من الملائكة الموكلين فى البحر وكان يونس يسبح فى بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح فى بطن الحوت قالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فأوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدى يونس عصانى فسجنته فى بطن حوت فلما سمعوا ذلك سجدوا أجمعين وهو قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقوله تعالى فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين *وقال ابن عباس رضى الله عنه* فى تفسير قوله تعالى فنادى فى الظلمات هى ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم ذلك الحوت النون فسمى يونس ذا النون *وقال كعب الاحبار* أمر الله تعالى الحوت أن يقذف يونس من بطنه فى ثلاث

الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى أخذه منه فلما دنى الحوت ليقذف يونس من بطنه أتاه جبرائيل عليه السلام ودنى من فم الحوت وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحبا بصوت كنت أخشى أن لا أسمعه أبدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس من بطنك باذن الله فقذفه من بطنه فجعل يبكى لفقده ويقول لا أوحش الله منك يا يونس ومن تسبيحك فلما خرج من بطنه كان مثل الفرخ الذى لا ريش له وقد وقع شعره وذاب جسده ولان عظمه من من حرارة بطن الحوت (قال الشعبى) ومجاهد مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين *(قال* كعب الاحبار لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فأنبت الله عليه من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب تخرج منها الرياح *(قال* ابن عباس هى شجرة اليقطين يعنى القرع *(قال كعب الاحبار* ان تلك الشجرة حملت فى ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لا يشبه بعضها بعضا وأنبع الله فى أصلها عينا أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأرسل الله اليه غزالة تدر من ثديها لبنا يتغذى به *(قال السدى)* ان الغزالة التى أرضعت يونس جعل الله قرونها وأظفارها من الذهب *(قال)* الثعلبى ان ببلاد الحبشة من أعالى الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون مثل لون الذهب وكذلك أظفارها وهى قليلة البقاء اذا صيدت لا تعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكرانها من نسل الغزالة التى أرضعت يونس عليه السلام *(قال كعب الاحبار)* فألقى الله على يونس النوم فنام وهو على تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس بهم فحزن على ذلك فأوحى الله اليه أن لا تحزن يا يونس ولكن أمضى الى أهل نينوى فانهم قد آمنوا بى فأقم عندهم وأمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر فسار يونس اليهم فبينما هو سائر اذ مر

براعي ومعه أغنام فقال له هل من شربة لبن فقال له الراعي أبشر فاحتلب له اللبن وأسقاه ثم جلس عنده ساعة يتحدث معه فقال له يونس من أين أنت يا راعي فقال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال له يونس أتحب أن يكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال امض اليهم وبشرهم بأن نبيهم يونس بن متى باق في قيد الحياة فقال له الراعي أكذب بينهم فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فانها تشهد لي بأني يونس بن متى فلما علم الراعي صدق مقاله توجه الى أهل نينوى وأخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة قال وما بشارتك قال له ان يونس قد ظهر وهو في مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم ان معي من يشهد لي قالوا وما شاهدك قال هذه الشاة وأحضرها بين يدي الملك وقال لها أيتها الشاة بما تشهدي لي فأنطقها الله تعالى وقالت ان يونس حي وانه احتلب مني اللبن وشرب فلما سمع القوم بذلك صدقوا الراعي وخرجوا وصحبتهم الملك الى ذلك المكان فوجدوا يونس قائما يصلي فجعل القوم يأخذون التراب من تحت أقدامه ويجعلونه فوق رؤسهم للتبرك ثم ان يونس سار معهم ودخل المدينة وجددوا اسلامهم عليه وآمنوا برسالته وأقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو جالس بينهم اذ أتاه رجل صياد وقال له يا نبي الله اني طرحت شبكتي يوما فطلع لي صبي من أحسن الناس وجها فقال له يونس هذا ولدي ورب ابراهيم فأحضره اليه ثم أتى اليه رجل آخر وقال له يا نبي الله اني كنت في الفلوات اذ رأيت ذئبا على ظهره ولد وهو من أحسن الناس وجها فقال يونس هذا ولدي ورب ابراهيم ثم أتاه رجل آخر وقال له اني رجل تاجر خرجت في طلب سفينة الى شاطئ الدجلة فرأيت امرأة على البر وهي عريانة وقد غرقت في الدجلة فمضيت بها الى منزلي وأحسنت اليها وألبستها ثوابا فقال يونس هذه زوجتي ورب ابراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وبزوجته على أحسن وجه فأقام يونس بنينوى مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

ثم بعد ذلك توجه الى الكرفة فمات بها ودفن هناك على ما قيل والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار *(ذكر قصة زكريا و ولده يحيى عليهما السلام)* قال الله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا قال وهب بن منبه هو زكريا ابن أدن من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام * قال الطبري هو زكريا ابن يوحنا وكان نبيا صليبا في الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولدا ذكرا * قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا *(قال)* السدى هو أول من تسمى بيحيى قبل الخلائق فلما سمع زكريا ما قالته الملائكة فقال لهم وما علامة ذلك فأتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يا زكريا الا تكلم أحدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا يا جبرائيل انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أى كيف يجيء الينا ولد ونحن على هذه الشيوخة قال لهم جبرائيل قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ *(قال السدى)* ان زوجة زكريا حاضت في يومها فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما رضعته وكبر وانتشا اعتكف على عبادة الله تعالى وصار باكيا حزينا ليلا ونهارا لا يأكل ولا يشرب ولا يمل من البكاء * فقال زكريا يا رب انى طلبت منك ولدا انتفع به وهذا يحيى مشتغل بالبكاء دائما فأوحى الله اليه يا زكريا أنت قلت فهب لى من لدنك وليا والولى ما يكون الا على هذه الصفة وكان يحيى عليه السلام لين الجانب رضى الخلق كما قال الله تعالى واجعله رب رضيا * قال السدى ان يحيى كان فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان وكان للملك زوجة وقد طعنت فى السن وكان لها بنت من غير الملك وهى جميلة فأرادت أن يتزوج بغيرها عندما كبر سنها فعمدت الى تلك البنت و زينتها باحسن زينة وأحضرتها بين يدى الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل من

يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك أم لا فأحضر يحيى وسأله عن ذلك فقال له لا يحل ولا يجوز وانها محرمة عليك فغضب منه الملك فقالت له زوجته ان لم تقتل يحيى والا ما بقيت اقيم عندك فأمر الملك بقتل يحيى فقالت علماء بني اسرائيل للملك ان وقع من دم يحيى قطرة على الارض لم ينبت فيها الزرع ابدا *(قال العزيز)* فلما سمع الملك ما قالته العلماء فأحضر طشتا من نحاس وأمر بذبح يحيى في ذلك الطشت فلما قدموه للذبح لم يتشفع اليهم يحيى ولا كلمة واحدة فذبحه في ذلك الطشت النحاس ولم ينزل من دمه شئ على الارض فلما ذبحه طلب أباه زكريا ليذبحه أيضا فهرب منه فلم يرى في وجهه الا شجرة قال لها أيتها الشجرة هل تجيرى نبي الله زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا في جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلما تتبعوه لم يجدوه فجاء اليهم ابليس اللعين في صفة شيخ زاهد وقال لهم ان زكريا قد دخل في جوف هذه الشجرة فأحضر الملك منشارا ونشر به تلك الشجرة *(قال السدى)* لما بلغ المنشار رأس زكريا صاح آه فنزل اليه جبرائيل وقال له يا زكريا ان الله تعالى يقول لك لئن قلت بعد ذلك آه مرة اخرى لأمحونك من ديوان الانبياء فسكت زكريا وصبر على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم فاعلم ان الانبياء أشد بلاء من جميع الناس *(قال الثعلبي)* مات زكريا وله من العمر نحو ثلاثمائة سنة وقيل دون ذلك والله أعلم *(قال السدى)* ان الشجرة التي نشر فيها زكريا كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل من بعد ذلك الى بيت المقدس ودفن به *(قال السدى)* ان يحيى بن زكريا ذبح بدمشق ودفن رأسه هناك ودفنت جثته بقلسطين ثم نقلت جثته من بعد ذلك الى بيت المقدس ودفن به *(قال الثعلبي)* مات يحيى بن زكريا وله من العمر خمسة وتسعون سنة *(قال قتادة)* لما دخل بخت نصر البابلي الى دمشق فرأى دم يحيى يفور ويغلي على الارض مثل غليان القدور فشرع بقتل قومه من بني اسرائيل حتى بلغ قتلاه منهم سبعين ألف انسان فعند

ذلك سكن الدم قليلا *(قال زيد بن واقد)* لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذى نشأه بدمشق فوكانى على البنائين فبينما أنا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة وبابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل أتى الوليد الى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة وأمر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعا نحو ثلاثة أذرع فى مثله ووجد بها صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى فيه رأس انسان وعليها شعر وهى على هيئتها لم يتغير منها شئ من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام أبيض مكتوب فيه هذه رأس يحيى بن زكريا فلما رأى الوليد ذلك قبل الرأس وأمر بردها الى الصندوق تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو المسقط الرابع من العواميد انتهى ما أوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام *(ذكر قصة عيسى ابن مريم عليه السلام وقصة امه عليها السلام)* قال الله تعالى واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين الآية *(قال وهب بن منبه)* كانت حنة أم مريم أخت زوجة زكريا وكان أبو مريم رجل من بنى اسرائيل يقال له عمران وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت حنة أملت ان يكون فى بطنها ولد ذكر فقالت ان ولدت ولدا ذكرا أجعله يكون خادما لالمتعبدين بمسجد الاقصى فيسقى لهم الماء عند الافطار ويحمل الزاد على رأسه ولهذا قالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فلما أخبرت زوجها بما نذرت قال لها لقد أخطأت فيما نذرتى فربما تلدين أنثى فكيف تخدم الرجال فى المسجد فلما وضعتها وجدتها أنثى وهو قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم الآية فضاق صدرها من ذلك النذر حيث كانت أنثى ثم ان حنة سمتها مريم ومعنى ذلك لاعيب فيها ثم ان عمران ابو مريم مات وهى صغيرة مرضع ثم ان حنة أقامت بعد زوجها عمران مدة يسيرة وماتت فلما ماتت حنة أخذت مريم خالتها زوجة زكريا وكفلتها من بعد

امها كما أخبر الله تعالى حيث قال وكفلها زكريا ﴿قال السدى﴾ كان زكريا رجلا فقيرا ضيق المعيشة فلما كفل مريم فكان اذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء في آوان الصيف وفاكهة الصيف في آوان الشتاء وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (قال وهب بن منبه) ﴿كانت مريم قد خالفت عادة النساء لان النساء لا يرجعن الى الطاعة والعبادة الا بعد مضى الشباب ومريم تعبدت وهي طفلة صغيرة وأخذت عادة العجائز فى العبادة والاعتكاف عن الناس فكان زكريا يتعجب من حال مريم فى العبادة فلما بلغت مبالغ النساء فأتاها الحيض فلما طهرت أرادت الاغتسال فخرجت الى عين ماء هنالك فجاء اليها جبريل عليه السلام فى صورة شاب من بنى اسرائيل يقال له تقى وكان مشهورا فى الحسن فى زمانه وهو قوله تعالى فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فمد جبرائيل يده وأخذ بزيق قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة الى صدرها خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴿قال العلماء﴾ ان الله تعالى خلق آدم من غير أب وأم وخلق حواء من أب ولا أم وخلق سائر المخلوقات من أب وام فاراد الله تعالى أن يكمل العناصر أربعة فخلق عيسى من أم لا من أب حتى أكمل بدائع حكمته وقد قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (قال وهب بن منبه) ﴿لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ﴿قال ابن عباس رضى الله عنه﴾

كان مدة حملها ثمانية أشهر وقد جرت العادة ان من ولد لثمانية أشهر لا يعيش ﴿قال مجاهد﴾ بل كان حملها تسعة أشهر كعادة النساء ﴿قال السدى﴾ وكان وضعه ببيت لحم الذى ببيت المقدس وولدته ليلة الاثنين فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط المعروف بليلة الميلاد عيد النصارى وفيها يشتد البرد فلما قالت مريم ياليتنى مت قبل هذا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴿قال وهب بن منبه﴾ ان النخلة التى أمرت مريم بهزها كان لها سبعمائة سنة يابسة لم تثمر فلما هزتها أورقت فى الحال وأثمرت وصار البلح رطبا جنيا من وقته فتساقط عليها الرطب كما أخبر الله تعالى وقيل فى المعنى

ألم ترى ان الله قال لمريم * اليك فهزى الجذع تساقط الرطب
ولوشاء اجنى الجذع من غير هزه * ولكن كل شئ له سبب

قال السدى لما أتت مريم بعيسى تحمله الى قومها قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا قال وهب بن منبه ليس المراد يا أخت هارون انها كانت أخت هارون بن عمران أخى موسى عليه السلام من النسب ولكن أخته فى العبادة لانه كان مشهورا بالعبادة وهى أيضا مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة فأشارت اليه أى كلموه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأنطقه الله تعالى لهم قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا فأول كلمة قالها عيسى انى عبد الله لان الله تعالى علم ان يقولون عنه بأنه ابن الله فكان ذلك تكذيبا لهم ﴿قال ابن عباس رضى الله عنه لم يتكلم فى المهد غير أربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص الثانى الذى تكلم فى زمان بنى اسرائيل حتى مر عليه الملك صاحب الاخدود ومنهم الذى شهد لجريج الراهب بأنه ابن الراعى ومنهم عيسى بن مريم عليه

السلام

السلام * قيل ان جماعة من النصارى سألوا عليا رضى الله عنه ان من كرامات عيسى انه نطق فى المهد فهل نطق نبيكم وهو فى المهد * فقال على رضى الله عنه ان عيسى كان محتاجا الى النطق لانه ولد من غير أب فخاف من التهمة فاحتاج الى النطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج اذ ذاك الى النطق * قال وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سواحا فى الارض لا يتخذ دارا ولا مسكنا ولا زوجة ولا دابة وكان يلبس جبة صوف على لحمه ويلبس على رأسه قلنسوة من اللباد وكان لا يأكل الا من غزل أمه وكانت تغزل الصوف (قال السدى) أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى ان لم يكن لك زوجة فأزوجك فى الآخرة ألف حورية من الحور العين ولاطعمن فى عرسك ألف عام وينادى منادى احضروا وليمة عيسى الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة * قال الواقدى لما ساح عيسى عليه السلام فى الارض أتى الى الربوة التى يحيرون من أراضى الشام فأقام بقرية هناك يقال لها الناصرة واليها ينسب النصارى فآوى اليها هو وأمه قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين * قال الواقدى لما أراد الملك هردوس ملك اليهود أن يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وأسلمت على الناس على يده فأخذته أمه مريم وخرجت به من بيت المقدس وكان معها يوسف النجار وهو رجل من عباد بنى اسرائيل فدخلوا الى مصر ومروا بمدينة عين شمس التى بالمطرية فوجدوا هناك بئرا وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب ذلك البئر فغسلت مريم أثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك البئر فأنبت هناك البلسان ويعرف بالبلسم وهو لا يوجد بأرض مصر الا فى هذا المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البلسان وتغاليهم فيه خصوصا الفرنج ويقولون انه لا يصح التنصر عندهم الا اذا كان فى ماء المعودية دهن البلسان وينغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وانقطع منها فى أواخر القرن التاسع ولم يتج من بعد ذلك * وقال الواقدى لما دخلت مريم

مصر انقطع عنها اللبن لان عيسى كان مرضع فالهمها الله أن تغلى النبيذة وتطعمها لعيسى ففعلت فكانت تغنيه عن اللبن ❊ قال فلما كبر عيسى وساح فى أراضى مصر حتى دخل الى الاشمون وكان بها فرس من نحاس اذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من فى المدينة فيعلموا انه دخل غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا فزاحموه فى الطريق فصرخ عليهم فصاروا حجارة سوداء ثم انه مر بسفح الجبل المقطم هو وأمه فالتفت اليها وقال يا أماه هذه البقعة مقبرة أمة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وهم غراس الجنة ❊ قال وهب بن منبه ثم ان عيسى خرج من مصر وتوجه الى البلاد الشامية وقد اشتهر أمره بأنه يحيى الموتى باذن الله تعالى ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فاجتمعت اليه اليهود وقالوا له ياعيسى لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير فقال لهم عيسى وأين مكان قبره فأتوابه الى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الى الله تعالى بأن يحيى له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد ابيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعالك معى يا ابن مريم فقال بل بطلب قومك لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يامعشر بنى اسرائيل آمنوا برسالة عيسى ابن مريم واتبعوا ملته فانه على الحق من ربه فقال نحو اسرائيل انا كنا نعهدك حين مت شابا وأنت أسود شعر الرأس واللحية وقد ابيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقال لى قم باذن الله تعالى فظننت انها صيحة القيامة فابيض نصف رأسى ولحيتى من هول ذلك اليوم وأتانى ملك وقال لى هى دعوة عيسى ابن مريم فلما أحيى الله العزير وظهر لبنى اسرائيل كرامة عيسى عند الله تعالى فآمن منهم فى ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى أن يعيد العزير لما كان عليه ميتا فأعاده كما كان ❊ وذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام ❊ قال سلمان الفارسى رضى الله عنه

أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء فقال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا
لا بد لنا من ذلك فخرج عيسى الى الصحراء ولبس المنسوج وطاطا رأسه
خاشعا لله تعالى يبكي ويتضرع وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين
فأوحى الله اليه اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه الآية ﴿قال
الترمذي﴾ فأنزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من
فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون اليها فلما نظرها عيسى قال
اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فلا زالت تنزل قليلا قليلا حتى هبطت
بين يدي عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند
ذلك خر عيسى ساجدا لله تعالى وسجد معه الحواريون ثم قالوا لعيسى
قم وا كشف عن هذه السفرة حتى ننظر ما فيها فقام عيسى وكشف عنها
فاذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شئ من الخل والملح وعند ذنبها خمسة
أرغفة كبار كل رغيف عليه شئ من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر
البقولات وكان الحواريون الذين سألوا عيسى فهم اثنا عشر انسانا فقال
شمعون وهو أكبر الحواريين يا عيسى ان هذه السمكة من طعام الدنيا
أم من طعام الجنة فقال عيسى ما أخوفني عليكم من عذاب الله تعالى
كما أخبر الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا
من العالمين ثم قال عيسى للسمكة أيتها السمكة أحيي باذن الله تعالى
فأحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينها الى بني اسرائيل فخافوا
منها فقال لهم عيسى مالي أراكم تسألون الشئ فاذا حصل لكم كرهتموه
ثم قال عيسى للسمكة عودي كما كنتي مشوية فعادت باذن الله تعالى
فقال الحواريون يا روح الله أنت أول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم
معاذ الله انما يأكل منها من سأل عنها فأبى الحواريون أن يأكلوا منها
خشية أن تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام للفقراء

والمساكين وأصحاب العاهات من المجذومين والبرصى والعميان والمقعدين بأن يأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو ألف وثلاثمائة انسان فبرئ منها أصحاب العاهات جميعهم باذن الله تعالى وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض في المعنى

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى * وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو جليت يوما على أكمه غدا * بصيرا ومن راووقها يسمع الصم

قال فلما تسامع الناس بذلك ازدحموا على الاكل منها وجاء اليها من سائر الاقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساما بينهم فللفقراء يوما وللاغنياء يوما فكانت هذه المائدة تنزل بعد يومين مرة كما كان ناقة صالح تختفي يوما وتظهر يوما فاستمرت على ذلك أربعين يوما ﴿قال مجاهد﴾ انها كانت تنزل في وقت الضحى فتنزل قليلا قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون اليها وهي بين الغمام حتى تتوارى (قال الواقدي) ان المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون ﴿قال وهب بن منبه﴾ ان جماعة من بني اسرائيل شكوا في أمر المائدة وقالوا بأنها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة خنازير وجماعة قردة فكان هذين من مسخ ثلاثين انسانا فجاؤا الى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم ألست أنت فلان وأنت فلان فأومؤا برؤسهم أي نعم فأقاموا على ذلك سبعة أيام انتهى ﴿حديث المائدة﴾ قال السدي فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال أن المائدة ما امتد وانبسط مثل المنديل والثوب وما أشبه ذلك وأما السفرة فهي التي تكون مضمومة بغلائف وحلق لانها اذا كانت مضمومة وفتحت اسفر ما فيها أي بان فلذلك سميت سفرة والسماط من الفوائد وأما المائدة فمن عرف العجم وأما السفرة فمن عرف العرب وتسمى المائدة خوانا أيضا ﴿قال كعب الاحبار﴾ لما ان ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت في الآفاق فرغب أكثر الناس في الدخول في ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت في أيام عيسى وأقبل الناس على عيسى وانزل الله

عليه

عليه الانجيل وكان يحيي الموتى باذن الله قال فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عول على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من أحبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند أمه مريم فقبضوا عليه وكشفوا رأسه وألبسوه تاجا من شعر وأركبوه على جريدة خضراء وطافوا به في المدينة ثم نصبوا له خشبتين مثل صاري المركب وأوثقوه بالحبال في يديه ورجليه وصار اليهود حوله ثم قدموه الى تلك الخشبتين وصلبوه عليها وصلبوا معه اثنان من اللصوص هذا وان الله تعالى ألقى شبه عيسى على رجل من اليهود فقبضوا على ذلك الرجل وظنوا أنه عيسى وكان الصلب لذلك الرجل اليهودي قال الله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وقوله وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه قال العزيزي ان الرجل الذي اشتبه عليهم بعيسى كان اسمه أشيوع وكان من أحبار اليهود قال وهب بن منبه لما صلب عيسى عليه السلام كان ذلك يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار وأظلمت الدنيا وأقامت مظلمة الى الساعة التاسعة من النهار وزلزلت الارض في ذلك اليوم وكان رفعه في خامس عشر نيسان من شهور الروم الموافق لتاسع وعشرين برمهات من شهور القبط قال الثعلبي كان عمر عيسى عليه السلام لما ان رفع الى السماء نحوا من ثلاثة وثلاثين سنة على ماقيل قال السدى ان عيسى رفع في كنيسة السليق ببيت المقدس فلما رفع الى السماء كساه الله تعالى الريش وألبسه النور مثل الملائكة وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكا سماويا أرضيا وهو حي الى الآن وهذا مذهب أهل السنة قال الثعلبي ان مريم عليها السلام توفت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحوا من ستين سنة والله أعلم بذلك ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هناك الى الآن وفي قول النصارى واليهود انه المسيح صلب يقول الشيخ عبد العزيز الديريني هذه الابيات وفيه رد عليهم وقيل ان الابيات لابن تيميه

عجباً للمسيح بين النصارى * حيث قالوا ان الاله أبوه
ثم قالوا ابن الاله الـــه * ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاؤا بشئ أعجب من ذا * حيث قالوا بأنهم صلبوه
ليت شعري وليتني كنت أدري * ساعة الصلب أين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الاعادي * أتراهم أرضوه أم أغضبوه
عجبي للمسيح بين النصارى * والى أي والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
واذا كان مايقولون حقا * وصحيحا فأين ما نسبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم * فاحمدوهم لانهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه * واعبدوهم لانهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصايغ الحنفي عروض ذلك وأجاد حيث قال

اعباد المسيح لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد * يهودي فما هذا الاله
وهل بقي الوجود بلا اله * سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت * ومن حفظ الوجود ومن حواه
وهل هو عاد لما شاء حيا * الهاً أم تولاه سواه
وهل رضي المسيح الصلب عمدا * وسكنى القبر أم أرضى أباه
والا عنوة فالعبد أقوى * من المعبود يفعل ما يراه
فمن يفهم ماقلنا جوابا * يجيب أو يتب مما افتراه

قال ابن رزق ان الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين الاكبر هي التي بنت كنيسة القوامة ببيت المقدس ولما توجهت الى هناك وجدت تلك الخشبتين التي صلب عليهما المسيح بزعمهم وهي ثلاثة أخشاب فزعمت النصارى ان ثلاثة من الاموات القوى على تلك الاخشاب فعادوا أحياء في الحال فلما رأت الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الاخشاب غلفا من الذهب فاتخذوا من ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة

المسيح

المسيح بثلاثمائة سنة وثمانية وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى في أمر الصليب وكان عيسى نبيا مرسلا وهو من أولى العزم من الرسل الخمسة وقد قال الله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد الآية (قال مقاتل) كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة * وقال الكلبي كان بينهما خمسمائة وأربعون سنة وهى زمن الفترة لانها هى الذى قد فتر فيها *(ذكر أخبار نزول عيسى عليه السلام)* الى الارض قال أويس الثقفى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله عند المنارة البيضاء التى بشرقى جامع دمشق وصفته مربوع القامة أسود الشعر أبيض اللون فاذا نزل يدخل الى المسجد ويقعد على المنبر فتتسامع الناس فيه فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هناك حتى يطؤا رؤس بعضهم بعضا فيأتى مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهى صلاة الفجر فيصلى عيسى مأموما مقتديا بالشريعة المحمدية *(ومن النكت اللطيفة)* ما أورده الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ان أبا الشيخ القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه كان مقيما فيما وراء النهر وكان شابا علامة عصره فى علم الشريعة والحقيقة فصنف ألف كتاب فى علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة فلما كان فى بعض الايام أخرج الشيخ أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المقدم ذكرها فوضعها فى صندوق من الخشب ووضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا الصندوق واذهب به الى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج به من عند الشيخ فقال فى نفسه وكيف ارمى ألف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب فى جمعها وافنى عمره عليهم فرجع بالصندوق الى داره ثم جاء الى الشيخ فقال الشيخ أرميت الصندوق فى النهر قال نعم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيأ فقال اذهب

فارمه ولا تخالف فذهب المريد فألقى الصندوق في النهر فلما ألقاه خرجت يد من الماء وتلقت ذلك الصندوق وأخذته فقال المريد من أنت أيها الشخص فقال عبد ربي مأمور بحفظ هذا الصندوق فرجع المريد الى الشيخ قال اني قد رميته وخرجت يد فتلقته فقال الشيخ الآن قد ألقيته ثم ان المريد صار في قلق من هذا الصندوق ولم يجسر على أن يسأل الشيخ عن حقيقة الصندوق والقائه في النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه فقال له يوما من الايام يافلان أتريد تعلم بحقيقة أمر الصندوق فقال التلميذ بلى ياسيدي فقال الشيخ انه اذا خرج الدجال فلا يبقى على وجه الارض كتاب فينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ويكون على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويأمره الله تعالى أن يحكم على شريعته فيتطلب مصحفا وكتبا فلم يجد فعند ذلك ينزل جبرائيل عليه السلام ويقول لعيسى عليه السلام ان الله يأمرك أن تتوجه الى نهر جيحون وتصلي ركعتين وتنادي وتقول ياأمين الله على كتب أبي القاسم القشيري سلم الى الصندوق فان الله تعالى أمرني أن احكم بين الناس بالشريعة المحمدية فيذهب عيسى ويفعل ما أمره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله ويخرج منه الصندوق فيأخذه عيسى عليه السلام فيجد في الصندوق المصحف والكتب فيقرأها ويحكم بين الناس بمقتضاها نقل ذلك ابن الجوزي *

قال ولما يظهر الدجال يخرج من بلاد اصفهان طوله عشرون ذراعا وعيناه في رأسه مشقوقتان بالطول ومكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل قارئ عن قرب وبعد ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقي من أطاعه ويظهر للناس أن له جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فيطوف البلاد ويقتل العباد ويقول أنا ربكم الاعلى فيجتمع اليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف فيجتمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألف فيزحف بهم من اصفهان الى دمشق في أربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس ويكثر فيه من القتل والسبي * فيظهر بعد ذلك شخص يقال له المهدي وصفته

على خده الايمن شامة وبين كتفيه شامة فيجتمع عليه الناس فيسير بهم الى محاربة الدجال فيدخل الى بيت المقدس * ثم ينزل من بعد ذلك عيسى ابن مريم فيلتقي مع المهدي ببيت المقدس فيصلي هناك المهدي اماما وعيسى مأموما ثم يخرج اليهما الدجال بمن معه من العساكر فيلتقي معهما على مدينة لد فيحاربه عيسى عليه السلام فينكسر الدجال ويقتله عيسى بحربته التي تكون بيده ثم ان عيسى بعد قتل الدجال يمهد الارض شرقا وغربا ولا يدع على وجه الارض يهوديا ولا نصرانيا ويصير الدين كله واحدا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر العدل بين الناس برا وبحرا فعند ذلك يوحي الله تعالى الى الارض بأن تخرج بركتها وخيرها الى الناس كما كانت في الاول حتى قيل ان عشرة أنفس من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى رمانة واحدة فيأكلون منها ويبقى من المأكول أكثر مما أكلوا منه وعلى هذا فقس في جميع الاشياء التي تؤكل وينفش العدل حتى ان الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه وهو يلعب بها وهي لا تضره ويكون الاسد مع الشاة فلا يفترسها ويكون الذئب مع الغنم فلا يكسرها وهو الى جانبها حتى ان الحي يمر على الميت فيقول له ليتك لو كنت حيا ورأيت هذه الايام فيستمر الحال على ذلك أربعين سنة ثم ان عيسى يتزوج بامرأة من أهل عسقلان ويولد له ولدان منها ثم ان عيسى عليه السلام يحج الى بيت الله الحرام ويزور قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيمرض هناك فيموت ويدفن الى جانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي في بعض الاخبار ثم ان المهدي بعد موت عيسى عليه السلام يأخذ جميع السادات الاشراف قاطبة ويسير بهم الى الكوفة ويموت هناك ويرسل الله تعالى ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن على وجه الارض ويبقى أشرار الناس فتقوم عليهم الساعة ويصير الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج ويخرجون الى الارض ويفسدون ما فيها من أشجار ونبات ويشربون الانهار والبحار ويصلون الى بحيرة طبرية ويشربون

ماؤها جميعا وقد تقدم الكلام على ذلك ومايسلم من فتنة يأجوج ومأجوج سوى أهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك فلا يدخلها الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون وقد قال ابن أبي حجلة مشيرا الى ذلك بقوله

مدينة شاعت أحاديث فضلها * وسارت بها الركبان في كل بلدة
فما روع الدجال ساكن أرضها * ولا مات في الطاعون فيها وبمكة

قال فلما تفسد الاحوال يخرج الله تعالى الى الناس دابة مما يلي المسعى من عند الميل الاخضر يقال لها السحاب وهو قوله تعالى واذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون *(قال وهب ابن منبه)* بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلي المسعى فتخرج من هناك الدابة فأول ما يخرج منها رأسها وهي ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يلمس السحاب ورجلاها فى تخوم الارض *(وقال السدي)* ان رأس الدابة كرأس الثور وعينيها كعيني الخنزير وأذنها كأذن الفيل ولونها كلون النمر وصدرها كصدر الاسد وقرونها كقرون الايل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها كقوائم البعير ووجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها عصاة موسى وخاتم سليمان فتختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلو وجه المؤمن بعصاة موسى فيعرف الكافر من المؤمن بالوسم الذي فى وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر ثم بعد ذلك *(تطلع الشمس من مغربها)* فمن شدة حرها يموت من بقى من الناس من أنس وجان ويغلق باب التوبة عن الناس *(قال أبوذر)* قلت للنبي صلى الله عليه وسلم كم عدد الانبياء قال مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي منهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا *(قال الثعلبي)* مجموع الكتب التي أنزلت على المرسلين أربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان

وأما الصحف المنزلة فهي مائة صحيفة نزل منها على شيث بن آدم خمسون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ومنها على ابراهيم عشرون صحيفة (قال وهب بن منبه) أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام في ألواح من الزمرد الاخضر فكتبها موسى في أربعة وعشرين سفرا وهي الف سورة في كل سورة ألف آية فسكها بنو اسرائيل من بعد موسى برهة من الزمان ثم حرفوها وغيروها (قال ابن عباس) رضي الله تعالى عنه لا يجوز للجنب أن يمس شيأ من الكتب المنزلة وأما الانجيل فانه أنزل على عيسى عليه السلام وان قومه بدلوه أكثر تبديلا من التوراة فان علماء بني اسرائيل كانوا أربعة وهم مرقس ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم انجيلا يحيله الى نفسه ليس لهم في ذلك حجة فصار كل انجيل فيه عن الآخر اما زيادة أو نقصان واظهار تصويرهم في كنائسهم ليس لهم به حجة وكذلك تركهم للختان ونقلهم صيامهم الى زمن الربيع وزيادتهم للصوم الى خمسين ليس لهم في ذلك حجة وأكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان فليس لهم به حجة ومشوا على ذلك الى الآن سؤال لطيف وهو ان الكتب المنزلة كلها ذهبت وحرفوها وغيروها فمشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا في ذلك الجواب ان الله تعالى قال في القرآن العظيم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل انه لا يحترق وان قال قائل اذا حرقته فيحترق نقول نعم يحترق لان المعنى اذا كان في الدنيا مصحف واحد فانه اذا حترق لم يحترق لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وقال الكلبي خمسمائة سنة وأربعين سنة وقال وهب بن منبه ان آدم عاش من العمر ألف سنة وقال الثعلبي من هبوط آدم الى الهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائة وثلاثون سنة قال وهب بن منبه كان بين موت آدم وطوفان نوح ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين ابراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة

سنة وكان بين داود وابنه سليمان وبين عيسى ألف ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ستمائة سنة والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل أقول وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ما روى الثعلبي ونقله والكسائي والجرى وابن الجوزى وابن سلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب بن منبه والسدى والواقدى وغير ذلك من الرواة والمورخين وما وافق مما وقع عليه اختياري وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على اقتدار وأنا أسأل الواقف عليه أن يصلح شيئا لا يوافق لديه والله الموفق للصواب

أخريدة برزت من الابكار * غرزت غصون الود بالافكار
أم ريح مسك فاح من عرف الشذا * مذ لاح روح المسك بالاسفار
أم بلبل في على بان بان * شخصت له الاطيار بالاسحار
أم عندليب صاح في قمرية * فتيقظ النوام بالاقمار
أم ذي بدائع للزهور تضمنت * لوقائع الدهر القديم السار
قدحاكها ابن اياس ذات محمد * نجل لاحمد ساطع الانوار
فغدت عروسا تجتلا بدرا بدا * وقرت من التبيان خير وقار
فاذا عجائب من مضى قد اسفرت * وتزينت بمحاسن الاسفار
تحكي لاخبار بلفظ رائق * يشفي الصدور برائق الاخبار
تحكي تفاصيل القرون وما حوت * من كل مكنون من الآثار
فاذا اطلعت على بدائع نقلها * شاركت للماضين في الاعصار
تعطيك أسرار الأولين برهة * كعمر قد فاق في الاعمار
جمعت مشتت كل نثر أرخت * بصدق يحوى بجميع نثار

٨٩١ ١٢٥ ٣٤ ٤٣٦

١٢٨٦

قد تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الشاهينية بمصر المحمية على ذمة ملتزمه حضرة مصطفى محمد افندى شاهين رئيس المطبعة المذكورة